القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10362 الأحد 22 آب (اغسطس) 2021 – 14 محرم 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10362 Sunday 22 August 2021

16

حوار: الحسين السباعي رئيس «مرصد الجنوب» المغربي

36

الدكة المصرية: قرية منسية هزمت الرومان

40

هل جار الزمن على رونالدو وابتسم لميسي؟

05

طالبان العراق: «داعش» أم الفصائل الولائية؟

26

رفيق شامي: حمل شمس دمشق إلى ألمانيا

46

ثنائية الثقافة والسياسة في السينما المصرية

أفغانستان اليوم التالي: العالم والطالبان

خلال أيام قليلة، وساعات معدودة في بعض المناطق، وجد العالم نفسه وجهاً لوجه أمام استحقاقات اليوم التالي في أفغانستان ما بعد انسحاب القوات الأمريكية والأطلسية، وانتصار الطالبان المترافق مع استسلام الجيش من دون قتال عملياً، وانهيار حكومة أشرف غني وفراره إلى أبو ظبي. لا أحد كان ينتظر هذه السرعة في استكمال سيناريو كان مع ذلك منتظراً ومتوقعاً، ولهذا فإن إرباك عمليات الإخلاء المتعجلة غطى على ارتباك أعمق وأوسع نطاقا يتصل بكيفية التعامل مع سلطة الطالبان. مطلوب من العالم الخارجي، ولكن من الولايات المتحدة والحلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي خصوصاً، اتخاذ إجراءات عاجلة سياسية ودبلوماسية واقتصادية وأمنية وإنسانية لمواجهة أوضاع تتطور كل ساعة، وليس هذا يسيراً بالطبع، بل تخيم عليه حالة الغموض وبعض التخبط.

(حدث الأسبوع، ص 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

جنين ومخيمها يطرحان سؤال: المقاومة الشعبية أم المقاومة الشاملة؟

من العرض العسكري في جنين

معركة سيف القدس أعادت تأكيد مفهوم المقاومة العسكرية وقدمت نموذجا ألهم الفلسطينيين في الضفة، ما ضخ الدم في خياراتهم أمام تنامي اعتداءات الاحتلال.

جنين – «القدس العربي»: سعيد أبو معلا

بتاريخ 18 اب/أغسطس من الشهر الجاري نظمت أجنحة عسكرية في مخيم جنين عرضا مسلحا جاب شوارع المخيم والمدينة، ومن ثم توجه العرض إلى بيت عزاء شهداء المدينة الأربعة الذين سقطوا قبل ذلك بيومين برصاص وحدات خاصة إسرائيلية اقتحمت المدينة ومخيمها لتنفيذ عملية اعتقال تقليدية.

بعد تأدية واجب العزاء نظم المسلحون ما أسموه «عرضا عسكريا» بسيطا في المنطقة المسلحة التي وقع فيها الشهداء الأربعة الذين انضموا لستة شهداء سقطوا في المدينة منذ بداية العام الحالي وهناك قالوا رسالتهم التي التفت حولها جماهير عريضة ومفادها أن المقاومة المسلحة مستمرة وهي بدون أي تنظيمات سياسية وبجهود ذاتية.

عد الحدث فارقا ولا سيما وأنه ضم مقاتلين من مختلف الفصائل: فتح، والجهاد الإسلامي، وحركة حماس..الخ، وفيه أكد المقاتلون أنهم يعملون من دون انتماء فصائلي، وأنهم ينتمون لصالح المخيم والمدينة «بكل ما يحمل من رمزية مقاومة وعنفوان وتاريخ طويل من النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي».

بعد ذلك العرض بساعات أصدرت حركة الشبيبة الفتحاوية في المدينة بيانا سياسيا جاء مساندا للحالة القتالية وخروجا عن الخطاب الفتحاوي التقليدي الذي يأت دوما متماشيا مع خطاب الرئيس محمود عباس والمتمثل بالمقاومة الشعبية.

طالب بيان الشبيبة الفتحاوية بالالتفاف حول «البندقية الطاهرة التي تعتبر أعلى درجات الشرعية، وبحماية البندقية والدفاع عن قرارها في مقارعة العدو».

كما دعا البيان قيادة حركة فتح ممثلة باللجنة المركزية والمجلس الثوري وجميع الأطر القيادية بالضغط على المستوى السياسي من أجل قطع الاتصال والتواصل مع العدو في شقيها الأمني والسياسي في ظل الهجمة الشرسة التي يشنها على الشعب الفلسطيني.

كما طالب البيان جميع فصائل العمل الوطني والهيئات والفعاليات الشعبية والنقابات والمؤسسات الوطنية بجميع مسمياتها إلى تحمل مسؤولياتها بالدعوة إلى التوقيع على ميثاق شرف يمنع كل الظواهر التي تهدد السلم الأهلي وفي مقدمتها استعمال السلاح المنتشر في المناسبات خلافاً للسلاح المشرع بوجه الاحتلال.

وكانت «القدس العربي» قد نشرت بتاريخ 28 تموز/يوليو من الشهر الماضي تقريرا حمل عنوان «جيل جديد في جنين ومخيمها يعيدان خيار المقاومة المسلحة في مواجهة الاقتحامات الليلية لقوات الاحتلال» وخلاله رصد بدايات تشكل هذه الظاهرة التي تدحرجت وأصبحت «كرة ثلج» كبيرة رغم الخسائر البشرية التي مني بها مقاتلون من جنين ومخيمها.

معركة سيف القدس

ويؤرخ مراقبون لهذا التحول إلى معركة «سيف القدس» حيث قامت مجموعة من المقاومين في المدينة بعمليات إطلاق نار على قوات الاحتلال التي كانت تمارس قبل ذلك عملياتها بهدوء وسلاسة، فيما أكدوا أن نواة هذا العمل العسكري بدأت من خلية تتبع سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، حيث «كانت خلية جميل العموري (الشهيد) هي الأولى، وكان بمثابة رأس التنظيم، وتوقع الاحتلال أن يترتب على اغتياله تشتت الخلية ووقفها على القيام بنشاطها المقاوم».

ويؤكد المراقبون أن أغلب من يقود هذه الحالة النضالية الجديدة التي بدأت تتسع مع تصاعد وتيرة الاعتداءات الإسرائيلية في الضفة والقدس وغزة هم شباب ولدوا مع الانتفاضة الثانية عام 2000 حيث قادت الأجهزة الأمنية الفلسطينية جهودا لوأد كل مظاهر المقاومة المسلحة.

د. جمال حويل، محاضر العلوم السياسية وأحد قادة العمل الفصائلي في مخيم جنين يقول: «هذه إشارة إلى أن المقاومة مستمرة، لا يمكن ان تموت هذه الجذوة».

وأكد أن جنين تستند على تاريخ طويل وممتد منذ ثلاثينات القرن العشرين، أي منذ أن جاء عز الدين القسام للمدينة مقاتلا، وهو ما يجعل النفس المقاوم تعبيرا عن ثقافة وتكوين للوعي الجمعي في المدينة وكل فلسطين.

وتابع قائلا: «الشباب غاضب ويشعر بالإحباط، لكنه مع ذلك مفعم بالأمل، هؤلاء شباب ملتحمون مع أبناء شعبهم، وطالما نحن تحت الاحتلال يجب ان تظهر المقاومة».

وأكد أن الفصائلية غائبة عن حياة هؤلاء، فيما الوحدة الوطنية المعمدة بدماء الشهداء هي السائدة، ونحن بحاجة إلى المقاومة المسلحة التي تعتبر بمثابة المقاومة الصلبة.

ويرى حويل أن مفهوم المقاومة الشاملة، بحسب ما طرحه الأسير مروان البرغوثي، هو نوع المقاومة الذي نحتاجه في هذه الأوقات وليس مفهوم المقاومة الشعبية السلمية، فهي مقاومة ليست مهادنة بل تعمل على تدفيع الثمن.

يذكر أن اجتماع مجلس الأمناء العامين للفصائل الفلسطينية الذي عقد بتاريخ 2020/9/3 برئاسة الرئيس الفلسطيني محمود عباس، وبحضور الأمناء العامين لحركتي المقاومة الإسلامية «حماس» والجهاد الإسلامي، وشارك فيه ممثلون عن 14 فصيلًا فلسطينيًا في رام الله وبيروت قد ناقش قواعد الاشتباك مع الاحتلال، وأكدوا خلاله حق الشعب الفلسطيني في ممارسة كافة أساليب النضال المشروعة، وتوافقوا على تفعيل وتطوير المقاومة الشعبية الشاملة «كخيار أنسب للمرحلة».

غير أنه وفي نهاية أعمال الدورة الثامنة للمجلس الثوري لحركة فتح التي عقدت أواخر شهر حزيران/يونيو اعتمدت الحركة المقاومة الشعبية بصفتها طريقا لمواصلة المقاومة والنضال، حيث وعدت بالعمل على انخراط كل أطر فتح القيادية والقاعدية في عملية المقاومة الشعبية خلال الفترة المقبلة. وبالعمل على «تشكيل قيادة موحدة للمقاومة الشعبية للعمل ميدانيا مع جميع الفصائل التي ترغب بمشاركتنا هذا النهج، والباب سيكون مفتوحا لكل الفصائل ومنظمات المجتمع المدني». وهو ما لم يترجم حتى اللحظة.

ويؤكد حويل أن الأمناء العامين لفصائل الوطنية والإسلامية اعتمدوا المقاومة الشعبية فيما غابت المقاومة المسلحة عن أجندة الفعل السياسي.

ما أشبه اليوم بالبارحة

ويضيف حويل: «وضعنا اليوم أسوأ من عام 2002 حيث بدأت الانتفاضة الثانية بعد مفاوضات كامب ديفيد التي فشلت، في تلك اللحظة قام ياسر عرفات بوضع السلاح على الطاولة، أما وضعنا اليوم فهو أكثر سوءا، لا يمكن أن تكون الأسلوب الرئيسي للنضال، وإنما شكل من أشكال الدفاع عن النفس، ومسعى لإيجاد نوع من الردع. ورأى أن هناك إمكانية للجمع ما بين المقاومة والاستعداد للمفاوضات والتسوية.

يذكر ان «معركة سيف القدس» التي خاضتها فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة وأطلقت خلالها مئات الصواريخ على المدن الفلسطينية المحتلة عام 1948 أعادت التأكيد على مفهوم المقاومة العسكرية كونها قدمت نموذجا ألهم الفلسطينيين في الضفة الغربية، وهو بحسب مراقبين، ما ضخ الدم في خيارات الفلسطيني أمام تنامي الاعتداءات الاحتلالية التي لم تنفع معها خيارات المقاومة الشعبية حتى اللحظة وكان تقرير استراتيجي صدر قبل أيام عن «مركز مسارات» في مدينة رام الله قد أشار أن القضية الفلسطينية تمر بوضع قد يكون الأصعب منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة، فليس من المبالغة القول إن القضية الفلسطينية الآن أمام لحظة فارقة مصيرية، حيث يتعمق الفعل الاحتلالي بتهويد القدس وأسرلتها، والاستعمار الاستيطاني يتوسع بمعدلات كبيرة جدًا، والضفة مقطعة الأوصال ومستباحة من قوات الاحتلال التي لم تعد تميز منذ أكثر من 18 عامًا بين المناطق المصنفة (أ) و(ب) و(ج) وقطاع غزة محاصر.

والسؤال المطروح برأي جمال حويل يتمثل في: من يدافع عن المخيم؟ مسؤولية من؟ من يدافع عن القدس والشعب الفلسطيني؟ وهو ما يعجل من ظهور هذه الحالة النضالية التي تلقى قبولا منقطع النظير في الشارع الفلسطيني.

وأضاف: «المقاومون هم بمثابة المنبه لوجود الاحتلال، هؤلاء لا تعنيهم المناصب ولا التعديلات الحكومية، ما يعنيهم حياة الفلسطيني المنتهكة من الاحتلال بشكل يومي».

حويل يشير إلى مشكلة كبيرة تتعلق بهذه الظاهرة وهي تتمثل في أن «الفصائل الفلسطينية على اختلافها تخاف من الاقتراب من هؤلاء المقاتلين، هناك خوف من التواصل معهم، وهم بحاجة إلى النصح والدعم والتنظيم، هم بحاجة إلى تنظير وتنظيم، وهناك خوف من الاقتراب منهم لكونهم معرضون للتصفية، فإسرائيل تضعهم تحت المجهر طوال الوقت وبشكل لحظي».

وختم أن هؤلاء ليسوا جزءا من حالة «فوضى السلاح» التي تعيشها الضفة الغربية، فمن يقوم بفوضى السلاح ليسوا من المقاتلين، وهؤلاء معروفين للجميع.

بدوره اعتبر التقرير الاستراتيجي لمركز «مسارات» المقاومة المسلحة للاحتلال بالحق الطبيعي المقر في القانون الدولي، ولكن في الظروف العربية والدولية الراهنة لا يمكن أن تكون الأسلوب الرئيسي للنضال، وإنما شكل من أشكال الدفاع عن النفس، ومسعى لإيجاد نوع من الردع. ورأى أن هناك إمكانية للجمع ما بين المقاومة والاستعداد للمفاوضات والتسوية.

يذكر ان «معركة سيف القدس» التي خاضتها فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة وأطلقت خلالها مئات الصواريخ على المدن الفلسطينية المحتلة عام 1948 أعادت التأكيد على مفهوم المقاومة العسكرية كونها قدمت نموذجا ألهم الفلسطينيين في الضفة الغربية، وهو بحسب مراقبين، ما ضخ الدم في خيارات الفلسطيني أمام تنامي الاعتداءات الاحتلالية التي لم تنفع معها خيارات المقاومة الشعبية حتى اللحظة

حرائق الغابات ومنظمة «الماك» والتآمر مع إسرائيل خلفيات قرار الجزائر بإعادة النظر في علاقاتها مع المغرب

من حرائق غابات الجزائر

اتهمت الجزائر مجموعات إجرامية بالوقوف وراء الحرائق، وكان الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون قد أعلن عن اعتقال 22 متهما بإشعالها.

الجزائر – «القدس العربي»: رضا شنوف

دخلت العلاقات الجزائرية المغربية مرحلة عالية التعقيد في مسار الأزمة المتصاعدة بين الرباط والجزائر، خاصة بعد الحرائق التي عرفتها الأخيرة وما صاحبها من اتهامات بتورط المغرب فيها إلى جانب ظروف مقتل الشاب جمال بن سماعين والتنكيل به، وسبق ذلك تصريحات وزير خارجية الاحتلال الإسرائيلي يائير لبيد من الرباط ضد الجزائر، وأيضا إعلان المملكة المغربية دعمها لمزاعم «تقرير مصير شعب القبائل» كلها أسباب دفعت الجزائر لإعلان إعادة النظر في العلاقات بين البلدين، قرار طرح عدة تساؤلات حول الخطوات التي ستتخذها الجزائر ضد المغرب.

عاشت الجزائر خلال الأيام الماضية حرائق متزامنة غير مسبوقة، مست حوالي 20 محافظة وسط وشرق البلاد، خلفت مقتل69 شخصا من بينهم 28 عسكريا بين 2500 و4500 يورو شهريا وفق ما نشرته جريدة «النهار» آنذاك، ولم تنف الرباط إلى يومنا هذا تصريحاته، كما تقوم قيادات من التنظيم بزيارات دورية إلى المغرب آخرها كانت لرئيس ما يسمى «حكومة القبائل المؤقتة» أكسب بلعباسي، حسب ما نشرته مواقع إعلامية مختلفة.

علاقة المغرب بأحداث الجزائر

ويرى الصحافي والحلل السياسي أمين بلعمري أنه «لا يمكن فهم العلاقات الجزائرية–المغربية بدون العودة إلى عام 1963 على اعتبار أن ما وقع في هذه السنة أصبح إطارا محددا للسلوك الخارجي الجزائري تجاه الجارة الغربية الذي يتميّز بالحذر واللائقة إثر العدوان المغربي على الجزائر بعد عام واحد على استقلالها، محاولا احتلال ولايتي تندوف وبشار بدعوى أنهما تابعتان له وهذا طبعا وفق العقيدة التوسعية الاستعمارية لحزب الاستقلال المغربي وهذا ما تأكّد عام 1975 عندما قام المغرب باحتلال الصحراء الغربية بمجرَّد انسحاب الاستعمار الإسباني».

وفيما يتعلق بعلاقة المغرب بالحرائق التي عاشتها الجزائر يعتقد بلعمري في حديث مع «القدس العربي» أن «اتهامات الجزائر للمغرب بالضلوع في الحرائق التي شهدتها ولايتا تيزي وزو وبجاية (منطقة القبائل) لم تأت من فراغ. وبالربط المنطقي والموضوعي لتسلسل الأحداث وتطورها نكتشف ذلك وقبل اندلاع تلك الحرائق التي أتت على الأخضر واليابس في منطقة القبائل بأسبوعين، كان هناك تصريح خطير وعدواني لممثل المغرب بالأمم المتحدة عمر هلال، الذي دعا صراحة إلى حق استقلال هذه المنطقة عن الجزائر كما وزّع على المجتمعين في إطار لقاء للدول الأعضاء في منظمة عدم الانحياز خريطة تظهر المنطقة مبتورة عن الجزائر» وحسب الأعراف الدبلوماسية والعلاقات الدولية لإعلان حرب» وهذا بالإضافة يقول بلعمري «إلى تصريحات وزير خارجية الاحتلال الإسرائيلي الذي تهجَّم على الجزائر وتوعدَّها بكل وقاحة، بدعوى وقوفها ضدَّ انضمام تل أبيب إلى الاتحاد الأفريقي كعضو مراقب، وهذه التصريحات العدائية أطلقها من المغرب وجاءت عشية اشتعال الحرائق، فهل كل ذلك محض صدفة؟».

ويرى الباحث في العلوم السياسة بجامعة «الجزائر 3» شاكر عبد الرزاق محفوظي أن هناك مؤشرات عديدة تفيد بأن «الرباط متورطة في الحرائق التي شهدتها الجزائر، بغض النظر عن الأدلة التي قد تكون الآن بحوزة السلطات الأمنية، ولم يتم بعد الإفصاح عنها».

ومن بين هذه المؤشرات التي ذكرها محفوظي في حديثه مع «القدس العربي» محاولة بعض «المجرمين المتورطين في جريمة قتل وحرق الشهيد جمال بن سماعين الفرار نحو التراب المغربي، علما بأن الحدود البرية بين البلدين مغلقة بعكس تونس مثلا، وعليه فالوجهة المغربية لا يمكن أن تكون ملاذا لهؤلاء، إلا إذا كان هناك تنسيق مسبق وتعليمات بالتوجه مباشرة إلى الحدود المغربية بعد إتمام المهمة».

كما توقف عند مؤشر خر «وهو الرسالة المريبة التي وجهها الملك محمد السادس في خطابه لشعبه إلى الجزائر، والتي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، إذ لا يعقل بعد أيام من توزيع مندوب المغرب لدى الأمم المتحدة رسالة تدعم انفصال منطقة من الوطن وتروج لحركة إرهابية وتجاهل طلب الجزائر الرسمي للمغرب بتقديم توضيحات حول الموضوع ما أدى لاستدعاء الجزائر لسفيرها بالرباط للتشاور، أن يوجه الملك رسالة ودية تكذبها كل الوقائع على الأرض، مما يضع علامات استفهام كثيرة حول مغزى تلك الرسالة المشفرة».

ووافق محفوظي ما ذهب إليه بلعمري بخصوص «تصريحات وزير خارجية الكيان الصهيوني في زيارته المشؤومة للمغرب» والتي كشفت حسبه «بعض الغموض، والتي عبر فيها عن تقاسمه القلق مع الرباط حول الجزائر ودورها الإقليمي والتي باتت أكثر قربا من إيران حسب زعمه، والمعروف أن مثل هذه الزيارات يتم التحضير لها مسبقا والاتفاق بشأن محاورها الأساسية، والنقاط التي يتم إثارتها فيها والتباحث بشأنها» وقول المتحدث في هذا الشأن «هنا تبدو الصورة أكثر وضوحا، بأن المستهدف الأساسي من التطبيع المغربي الصهيوني هو الجزائر التي باتت مصدر قلق وانزعاج للكيان الإسرائيلي وبالتبعية نظام المخزن المغربي، باعتبارها الدولة العربية الأكثر صلابة في الدفاع عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وبأن العمل المباشر على الميدان ضد الجزائر قد شرع فيه بالفعل ومنذ زمن».

السيناريوهات المحتملة

وبخصوص قرار إعادة النظر في العلاقات مع المغرب الذي اتخذه الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون، يقول المحلل السياسي أمين بلعمري أنه أمر «طبيعي بالنظر إلى الانهيار الكلي للثقة في هذا البلد الذي ضرب بعلاقات الجوار والأخوة عرض الحائط وانتقل من مرحلة الخطابات العدوانية إلى الأعمال العدائية، لهذا من حق الجزائر أن ترد على التصرفات المغربية الطائشة بما تمليه الأعراف الدبلوماسية والقانون».

ويعتقد المتحدث «أن الجزائر وفي حال لم تلجأ إلى قطع العلاقات الدبلوماسية فستلجأ إلى تخفيض التمثيل الدبلوماسي كأضعف الإيمان، ولكن الأكيد أن الجزائر التي تؤمن بسياسة حسن الجوار وتقدِّر العلاقات الأخوية والتاريخية بين الشعبين لن تلجأ إلى العدوان أو الطعن في الظهر».

أما الباحث في العلوم السياسية محفوظي فأشار في معرض قرائته للقرار الجزائري «إلى أن البلدين قد حافظا خلال عقود رغم التوتر المستمر على شعرة معاوية في العلاقة بينهما، وكان هناك دائما سقف يقف عنده التصعيد، وظل الأمل دائما قائما في إمكانية تطور العلاقات نحو الأحسن وفتح صفحة جديدة» لكن وفقه فإن «تطبيع المغرب مع الكيان الصهيوني أو بعبارة أدق انتقال العلاقات المغربية الصهيونية من طور السرية إلى العلنية، غير المعادلة تماما ونقل العلاقات بين البلدين من مرحلة التوتر المتحكم فيه إلى مرحلة التوتر غير المتحكم فيه».

وذكر المتحدث في هذا السياق «اكتشاف استخدام المغرب لبرنامج بيغاسوس الإسرائيلي للتجسّس على مسؤولين ومواطنين جزائريّين، وموقف المغرب الداعم لحركة الماك الإرهابية الداعية لانفصال منطقة القبائل عن الوطن الأم، والتي تؤكد جل المؤشرات ضلوعها لحساب الرباط والكيان الإسرائيلي في سلسلة الحرائق التي شهدتها الجزائر وجريمة القتل البشعة التي راح ضحيتها الشهيد جمال بن سماعين والتي أريد من خلالها إذكاء الفتنة العرقية بالجزائر»، ويقول في هذا الشأن إن استعمال «الدبلوماسية الجزائرية مصطلح الأعمال العدائية لوصف هذه الأفعال الشنيعة، وهو ما يجعل تطورات العلاقة بين البلدين مفتوحة على كل الاحتمالات».

وتوقع محفوظي «اتخاذ تدابير أخرى علاوة على استمرار غلق الحدود البرية، قد يكون منها تخفيض التمثيل الدبلوماسي، أو فرض التأشيرة على المواطنين المغاربة، وقد تصل لحد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين».

هربا من تسليم السلاح الخفيف: مفاوضو درعا يطلبون الانضمام إلى «الفيلق الخامس»

صدم المقترح الروسي اللجنة المركزية والنشطاء السياسيين والفاعلين العسكريين وحاولت اللجنة تدوير الزوايا مع الجانب الروسي في قضية تسليم السلاح الخفيف الذي يعتبر بمثابة خط أحمر بالنسبة لأهالي درعا.

منهل باريش

رفض مفاوضو اللجنة المركزية في درعا خريطة الطريق التي قدمها الجانب الروسي بحضور قائد تجمع القوات الروسية في سوريا، العماد يفغيني نيكيفوروف، الأسبوع الفائت، وحصلت «القدس العربي» على نسخة منها. ونص المقترح الروسي الذي جاء في أربع صفحات على حل مسألة درعا خلال مرحلتين، تبدآن في 12 آب (أغسطس) وتنتهيان نهاية أيلول (سبتمبر) وتتداخل المرحلتان زمنيا في بنودهما، وتنقسم الخريطة إلى أعمال وإجراءات، هي «تشكيل لجنة لتنفيذ مهمة سحب السلاح والذخيرة، إخراج المسلحين إلى منطقة خفض التصعيد في إدلب، تنظيم المفاوضات مع قادة المجموعات المسلحة لإجبارهم على تسليم الأسلحة الثقيلة والمتوسطة والخفيفة وإعفائهم مستقبلا من المسؤولية وشطب أسمائهم من اللوائح الأمنية والعودة إلى الحياة الطبيعية». وشددت الخريطة الروسية على «إجبار المسلحين على تسليم السلاح وتنفيذ عمليات تفتيش لكل فئات المسلحين بمن فيهم المتصالحون وغير المرضي عن وضعهم اقتصاديا واجتماعيا من قبل الأجهزة السورية». وكرر المقترح عدة مرات «إجبار المسلحين على تسليم السلاح» وحدد مدة نهاية أيلول (سبتمبر) من أجل «تنفيذ ما تم الاتفاق عليه». وأشار إلى «تفعيل عمل تسوية أوضاع المسلحين وتقديم ضمانات اجتماعية واعطائهم حقوقهم المدنية خلال فترة 3 أشهر» في حين «تلتزم روسيا بمهام إدخال مؤسسات الحكومة السورية إلى المناطق المحاصرة بعد انتهاء الجزء الأمني» حسب المرحلة الأولى.

أما المرحلة الثانية، فحددت شهر أيلول (سبتمبر) من أجل «إعادة عمل الأجهزة الأمنية المنفذة للسلطة في درعا البلد، وتشكيل لجان لتنفيذ مهمات سحب السلاح، تنظيم اجتماع اللجنة الخاصة لمكافحة الإرهاب بنهاية أعمالها مركز مشترك لمراقبة الوضع في درعا».

وحدد المقترح أن «تنفيذ خريطة الطريق» يتم بـ«مشاركة ممثلين عن وزارة الدفاع الروسية ووزارة الدفاع السورية والقوى الأمنية–المخابرات» على أن يجري «إعادة عمل أقسام الشرطة في درعا البلد خلال المدة بين 20– 31 آب (أغسطس)».

ونص على «تنظيم وتنفيذ دوريات مشتركة روسية–سورية بالمحيط الخارجي لدرعا البلد، تسيرها الشرطة العسكرية والمخابرات».

كما يفتح مركز «لتسوية أوضاع المسلحين الذين ليست لديهم رغبة بالخروج باستثناء مسلحي داعش وجبهة النصرة « حسب الورقة. وبخصوص المنشقين من ضباط وصف ضباط ومجندين من جيش النظام أو القوى الأمنية باختلاف تبعيتها أكد المقترح على «تسوية أوضاع الفارين وإرسالهم إلى قطعاتهم العسكرية مع تقديم الضمانات بعدم الملاحقة». منوها إلى «تأمين عودة السلطة القانونية ومؤسسات الإدارة المحلية».

ونوه المقترح إلى ضرورة «القيام بالبحث عن المطلوبين الذين لم يقوموا بتسوية أوضاعهم وكذلك البحث عن مستودعات الأسلحة والذخائر وتنفيذ دوريات مشتركة روسية سورية في الأحياء الداخلية لدرعا البلد وباتجاهين عن طريق الشرطة العسكرية الروسية والمخابرات». وتعهدت روسيا بعملية «إعادة المدنيين إلى قراهم وبلداتهم والقيام بالمفاوضات مع أعضاء اللجنة المركزية بحضور ممثلين عن السلطة القانونية في درعا وذلك للنظر في عدة أمور اجتماعية كالتأمين الطبي والكهرباء والماء ومواد الإطعام وتنفيذ الأعمال الأولية اللازمة لحلها».

وخصص المقترح جزءا من الإجراءات يتعلق بالتواصل المباشر مع السكان المحليين، مثل القيام بـ«حملة إغاثة والمشاركة في العمل لتسوية أوضاع المواطنين وتأمين عمل نقاط استقبال المواطنين، العمل على إقناع المواطنين بعدم العودة للأعمال العسكرية ضد الجيش السوري».

وعن التزامات النظام السوري، حمل المقترح النظام مسؤولية «تأمين الظروف لإعلان عفو عن المسلحين».

في مسألة الإجراءات، فقد تنبه الروس إلى كل التفاصيل التي تفرض عودة سلطة النظام، ابتداء من إعادة تأهيل المباني الاجتماعية كالمدارس والجوامع ومحطات المياه والكهرباء، وتأمين فرص عمل للمسلحين السابقين بالدرجة الأولى ولأسرهم، وتنظيم أعمال وإجراءات تعويض الحد الأدنى في غضون شهر، ومراقبة وتقديم المساعدة لعمل اللجنة بتسوية الأوضاع وتقديم الدعم لعمل المؤسسات البديلة والطبية والتقليدية.

وفيما يتعلق بالإجراءات التي كلف بها الروس لقيادة جيش النظام السوري فقد اختصرت بمسألة «إنشاء نقاط تفتيش بمحيط درعا وتنظيم عبور المدنيين» حتى 15 آب (أغسطس).

وذيلت خريطة الطريق باسم قائد تجمع القوات الروسية في سوريا العماد يفغيني نيكيفوروف ورئيس أركان تجمع القوات الروسية، العماد ر. بيريكوف، بدون توقيعهما على المقترح أو وضع ختم رسمي باسمهما، وهي عادة الروس في كل الاتفاقيات المبرمة، تجنبا لتحمل المسؤولية القانونية عن أي تبعات.

صدم المقترح الروسي اللجنة المركزية والنشطاء السياسيين والفاعلين العسكريين السابقين وحاولت اللجنة المركزية تدوير الزوايا مع الجانب الروسي في قضية تسليم السلاح الخفيف حيث يعتبر بمثابة خط أحمر بالنسبة لأهالي درعا عموما. وبعد تشاور مع باقي الوجهاء وقادة الفصائل العسكرية السابقين، وجد أهالي درعا الحل للحفاظ على السلاح هو بتقديم مقترح لضم المقاتلين السابقين جميعا في فصائل الجبهة الجنوبية إلى الفيلق الخامس الروسي، لكن رئيس إدارة المخابرات العامة (أمن الدولة) اللواء حسام لوقا رفض المقترح الذي نقله الروس. وأصر على تسليم السلاح الخفيف ومن ثم النظر بمسألة الانضمام إلى الفيلق، وتحدث لوقا العراق وتفرغ بنفس الطريقة. وتعرض الخط إلى التلف في عدة مناطق نتيجة الأعمال الحربية وقصف طيران النظام.

وتأتي المواقة الأمريكية على تشغيل الخط من أجل تزويد لبنان بالغاز المصري لحل أزمة الطاقة في البلد الذي يعاني من فساد وانهيار، كاول تنازل عن قانون «قيصر» الذي يعاقب التعامل مع النظام السوري.

وجوه مدينة درعا المحامي عدنان المسالمة عبء التفاوض والاتصالات اليومية، حيث يدير العملية التفاوضية حتى اليوم بكثير من الدبلوماسية والصلابة، ويستند المسالمة إلى دعم كافة الأطراف في محافظة درعا، ويعتبر الرجل الأكثر ثقة بالنسبة لقادة الفصائل السابقين، كونه غير عسكري وهذا ما يخفف من الحساسية تجاهه.

انحشرت لجان درعا عموما في زاوية صعبة للغاية بعد ثلاث سنوات على توقيع اتفاق 2018 خصوصا فيما يتعلق في مسألة تسليم السلاح الخفيف، فتسليم السلاح يعني تسليم الرقبة للعدو من أجل الذبح، فكل شيء ماعدا السلاح قابل للمقاربة والموازبة، إضافة إلى أن تسليم السلاح الخفيف يعني عملياً انقلاب روسيا على الاتفاق الذي رعته في جنوب سوريا مع أمريكا وبموافقة أردنية إسرائيلية.

اليوم، يشعر قادة درعا جميعا بالندم على رفض الانضمام إلى الفيلق الخامس عندما طلب الضباط الروس منهم الالتحاق به في مفاوضات بصرى الشام.

ختاما تأتي الموافقة الأمريكية على تشغيل خط الغاز العربي الآتي من مصر إلى سوريا عبر الأردن، لتزيد من تصلب النظام في حسم الوضع في درعا مرة وإلى الأبد، فوجود السلاح وعدم التشدد يعني عدم سيطرة النظام على الخط الذي بدأ العمل به عام 2009 ووصلت امداداته إلى منطقة عين علي في منطقة الكسوة جنوب دمشق، وتوقفت مع انطلاق الثورة السورية ربيع 2011 على أن يستمر العمل به إلى منطقة حسيا جنوب حمص ومن هناك سيتفرع إلى فرع باتجاه بانياس وفرع باتجاه مدينة طرابلس اللبنانية إلى جانب خط «النفط العربي» الذي قدم من العراق وتفرع بنفس الطريقة. وتعرض الخط إلى التلف في عدة مناطق نتيجة الأعمال الحربية وقصف طيران النظام.

وتأتي المواقة الأمريكية على تشغيل الخط من أجل تزويد لبنان بالغاز المصري لحل أزمة الطاقة في البلد الذي يعاني من فساد وانهيار، كاول تنازل عن قانون «قيصر» الذي يعاقب التعامل مع النظام السوري.

مَن سيكون طالبان العراق «داعش» أم الفصائل الولائية؟

قوات الحشد الشعبي

بات معروفا ان سقوط الموصل جاء لتحقيق أهداف، أبرزها إسقاط مكانة الجيش وإيجاد مبررات لتشكيل الحشد الشعبي ومنحه نفوذا عسكريا وسياسيا للهيمنة على السلطة، في إطار الدولة العميقة.

بغداد–«القدس العربي»: مصطفى العبيدي

هل يمكن تكرار السيناريو الأفغاني في العراق بعد الانسحاب الأمريكي؟ ومن يكون طالبان العراق، «داعش» أم الفصائل الولائية؟ أسئلة تتكرر بقوة لدى العراقيين هذه الأيام بعد سقوط النظام الذي زرعه الأمريكان في أفغانستان، على يد حركة طالبان.

وتباينت ردود الأفعال للقوى العراقية عقب سيطرة حركة طالبان على أفغانستان، بين الترحيب والتوجس.

فالقيادات الشيعية المتحكمة بالسلطة في العراق، رحبت بالحدث واستغلته للترويج لادعاءاتها بان الاعتماد على الأمريكان في تدريب القوات المسلحة غير مجدي، مع التشديد على ضرورة مغادرة القوات الأجنبية للعراق بأسرع وقت، إضافة إلى انتقاد تدخل واشنطن في العراق والمنطقة، والشماتة بهزيمة الأمريكان وفشل مشاريعهم لترتيب أوضاع المنطقة، رغم ان أمريكا، كما في أفغانستان، هي التي جاءت بهم إلى السلطة في 2003 إلا ان المطلوب الآن هو ترك العراق لنفوذ إقليمي أحادي. أما القوى الكردية والسنية فقد تجددت لديها مخاوف من تكرار سيناريو طالبان في العراق.

وكان اجتياح طالبان لمدن أفغانستان مناسبة لانتشار تحليلات مقارنة سيناريو سقوط كابل بسقوط الموصل عام 2014 وكيف ان تراجع الجيش والقوات الأمنية العراقية أمام تقدم «داعش» آنذاك، لم يكن بسبب ضعف القوات الحكومية وقلة معداتها، بل كان جزءا من سيناريو نفذه زعيم حزب الدعوة رئيس الوزراء آنذاك نوري المالكي، حسب تقرير اللجنة التحقيقية البرلمانية على نكسة الموصل، الذي أكد بالوقائع والشهود، ان انسحاب القوات العراقية، كان بناء على أوامر من القيادات العليا في حكومة المالكي، وعدم استجابة بغداد لتحذيرات المسؤولين في الموصل من تنامي تنظيم «داعش» بل ورفضها إرسال قوات إضافية لوقف تقدم التنظيم، إضافة إلى أسباب أخرى. وقد بات معروفا الآن ان ذلك السيناريو جاء لتحقيق أهداف سياسية، أبرزها إسقاط مكانة الجيش وتحطيم معنوياته وإيجاد مبررات لتشكيل الحشد الشعبي وضم الفصائل الولائية إليه، من أجل منحها نفوذا عسكريا وسياسيا للهيمنة على السلطة، في إطار الدولة العميقة.

ومع تباين تقييم القوى السياسية لأسباب سقوط كابل بيد حركة طالبان، ومدى تشابه الحالة مع سقوط الموصل ومحافظات عراقية بيد تنظيم «داعش» عام 2014 فلا يختلف المراقبون والعراقيون، على وجود عوامل ومبررات متشابهة في سيناريو سقوط المدن وفرار القوات المسلحة الحكومية، أمام «داعش» في العراق وطالبان في أفغانستان، والتي أبرزها فساد الأحزاب الحاكمة وهيمنة أمراء الحرب على مقدرات البلد، وتعدد القيادات الأمنية والولاءات غير الوطنية، وانفصال السلطة عن الشعب، إضافة إلى تأثير العوامل الخارجية.

وإذا كان ساسة العراق متفقين على تشابه أسباب سقوط كابل والموصل، مقرين بانها جزء من فشل العملية السياسية، فإن هناك تغافلا متعمدا عن أسباب جوهرية أخرى ساهمت في حالة الانهيار في تلك المحافظات العراقية، وأبرزها النهج الطائفي الانتقامي الإقصائي لحكومات ما بعد 2003 التي قسمت الشعب وأبعدت الكفاءات الإدارية والعسكرية من السلطة لأهداف سياسية وطائفية، ما أضعف الدولة في مواجهة أعداءها، وساهم في خلق قوى شعبية معارضة للنظام السياسي، ظهرت في مؤشرات عديدة منها انضمام الكثير من الشباب إلى تنظيم «داعش» قبل ان يكتشفوا حقيقته القبيحة وأهدافه المشبوهة، وفي عزوف الشعب عن المشاركة في الانتخابات الصورية عام 2018 كما برزت في انتفاضة تشرين الأول/اكتوبر 2019 المليونية ضد العملية السياسية ورموزها.

وبالنسبة للرأي القائل بعدم امكانية تكرار سيناريو سقوط كابل في العراق، فإنه يستند إلى مبررات متباينة أيضا. فالقوى الشيعية تركز على أن «العراق ليس كأفغانستان، بسبب وجود فتوى المرجعية الشيعية والحشد الشعبي، الذي تصدى لداعش» مع التشديد على تمجيد دور الحشد وفضله في القضاء على «داعش» ومنع سقوط بغداد، وسط تعمد اغفال دور الجيش والشرطة في ذلك الإنجاز.

فيما يؤكد وزير الدفاع العراقي الأسبق خالد العبيدي، وهو من أبناء الموصل، «أن العراق وجيشه لا يمكن أن يكونا كأفغانستان، ففي العراق جيش وقوات أمنية بطلة متسلحة بعقيدة حب الوطن، وإن العراقيين بطبعهم يقدسون مفهوم الدولة ويحرصون على دعم قوتها، خصوصًا إذا وجدوا نية وقدرة سياسية على ذلك». وأشار إلى أن احتلال الإرهابيين مساحةً واسعة من أراضينا، «سببه لم يكن ضعفا في القدرات القتالية لقواتنا، بل كان نتيجة حتمية لفساد كبير ضرب مؤسستنا الأمنية التي كانت ساحة لتدخلات سياسية وحزبية، وزاد من حدة الوضع تسميم مجتمعي عبر ممارسات طائفية أدت إلى انهيار أمني». لذا حذر العبيدي، من سعي السياسيين «لتحويل العراقيين إلى فرق وأحزاب متناحرة تتقاتل فيما بينها وتستقوي بالغريب على أشقاء الوطن». وهو ما نلمسه في واقعنا الحالي للأسف.

وإذا كان احتمال عودة «داعش» إلى العراق في هذه المرحلة، يبدو ضعيفا بعد الضربات التي تلقاها، إلا ان أطرافا كردية وسنية، أبدت مخاوف من أن الانسحاب الأمريكي الكامل من العراق قد يدفع الفصائل الولائية الشيعية لمحاولة فرض سيطرتها على البلاد وتكرار سيناريو الحوثيين في اليمن أو طالبان. ولذا يتمسك القادة الكرد وبعض السنة بوجود بعض القوات الأمريكية في العراق لتحقيق التوازن مع إيران وحلفائها. وما عزز هذا التوجس والمخاوف، مواصلة الفصائل الولائية، محاولاتها لتحدي الدولة وإضعاف الجيش والتشكيك بقدراته على الوقوف بوجه الأعداء، وذلك ضمن استراتيجية تعظيم دور الحشد الشعبي، الذي توعد قائده فالح الفياض قبل أيام ومن طهران، بتحويله إلى نسخة من الحرس الثوري الإيراني.

باخرة النفط الإيرانية بروباغندا لا تحلّ

بدأ اللبنانيون يلمسون طلائع مغامرة عسكرية من خلال استخدام الأجواء اللبنانية لعبور الصواريخ الإسرائيلية لتقصف أهدافاً داخل الأراضي السورية بعضها تابع لحزب الله.

بيروت–«القدس العربي»: سعد الياس

فتح الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله باباً كبيراً ليس فقط للجدل حول استقدام النفط الإيراني إلى لبنان بل لانقسام سياسي حاد مع قوى سياسية لبنانية في طليعتها «تيار المستقبل» وحزب القوات اللبنانية وعدد من الأحزاب والشخصيات، في ظل صمت رسمي بدءاً برئيس الجمهورية ميشال عون الذي لم يستشعر التعرّض لموقع الرئاسة ولسيادة البلد مروراً برئيس مجلس النواب نبيه بري وصولاً إلى رئيس حكومة تصريف الأعمال حسان دياب. وليست المرة الأولى يلتزم فيها كل من عون ودياب الصمت حيال سلوك حزب الله وآخر مآثر الصمت عدم صدور أي موقف بعد إطلاق الصواريخ في اتجاه مزارع شبعا وما تلاها من حادثة في منطقة شويّا الدرزية بحيث أن السلطة الرسمية تتصرّف مع الحزب على طريقة «شاهد ما شفش حاجة».

ولكن على الرغم من عدم صدور موقف رسمي إلا أن كلاً من عون ودياب لا يتحمّلان تغطية استقدام النفط الإيراني إلى لبنان نظراً لما للخطوة من تداعيات سلبية على الدولة اللبنانية لناحية العقوبات ومن توريط للبلد في وحول المحاور الإقليمية والصراعات بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية من جهة وكل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من جهة أخرى. وجاء تلويح نصرالله باعتبار السفينة الإيرانية أرضاً لبنانية ليؤكد على واقع أن لبنان أشبه بتلك السفينة وهو مخطوف وليقول إن أي استهداف للسفينة سيواجَه برد من قبل حزب الله، ما يعني الدخول في مغامرة عسكرية بدأ اللبنانيون يلمسون طلائعها من خلال استخدام الأجواء اللبنانية لعبور الصواريخ الإسرائيلية لتقصف أهدافاً داخل الأراضي السورية بعضها تابع لحزب الله، وكأن هذه الصواريخ تحمل رسالة إضافية بأن لبنان ليس بمنأى عن خطر هذه الصواريخ. وكان بيان الرئيس سعد الحريري الأكثر وضوحاً في رفض اعتبار السفن الإيرانية أراض لبنانية، معتبراً أنه «يشكّل قمة التفريط بسيادتنا الوطنية، ودعوة مرفوضة للتصرّف مع لبنان كما لو انه محافظة إيرانية».

لذلك، لم يكن إعلان أمين عام حزب الله بدء استيراد النفط من إيران خبراً سارّاً للبنانيين بإنفراج أزمة المحروقات، ولاسيما أن لبنان لا يعاني حصاراً بمعنى الحصار الذي تحدّث عنه نصرالله، بل يعاني من أزمة ارتفاع سعر الدولار قياساً للبرة اللبنانية، وإذا تمّ تأمين اعتمادات بالدولار أو إذا تمّ رفع الدعم فإن البواخر الراسية في المياه الإقليمية اللبنانية تدخل فوراً إلى السوق المحلي وتتوافر المادة.

ويتوقف خصوم حزب الله عند حاجة الحزب إلى بروباغندا لضخّ معنويات في بيئته الحاضنة بعد الوعود المتكررة لأمينه العام التي بقيت مجرد أقوال من دون أفعال. كما توقّف الخصوم عند توقيت إعلان قدوم الباخرة الإيرانية، قبل أيام من بدء وصول الفيول العراقي، ليتم ربط أي إنفراج على اعتبار السفن الإيرانية بوصول الباخرة الإيرانية التي لا يمكن لها أن تسدّ حاجة السوق لأكثر من يومين أو ثلاثة وفي مناطق محددة لأن من الصعوبة بمكان تفريغ الباخرة الإيرانية في مستودعات الدورة أو في مصفاة طرابلس، ما يعني أنه سيتم تفريغها إما في مصفاة الزهراني مع ما تحمل الخطوة من مخاطر من جانب العدو الإسرائيلي أو في بانياس في سوريا على أن يتم استقدامها إلى لبنان بالبرّ.

ويذهب بعض الخصوم في قراءتهم لمخاطر الباخرة الإيرانية إلى حد تشبيهها بباخرة نيترات الأمونيوم التي وصلت عام 2014 وكانت نتيجتها التفجير والخراب والقتل، فيما باخرة العز والكرامة عام 2021 ستكون نتيجتها عقوبات وحصاراً أكبر.

في المقابل، يرى جمهور حزب الله أن مواقف نصرالله أثمرت على الفور بدليل مسارعة السفيرة الأمريكية دوروثي شيا للاتصال برئيس الجمهورية وإبلاغه قرار إدارتها بالسماح باستجرار الطاقة الكهربائية إلى لبنان من الأردن عبر سوريا وتسهيل وصول الغاز المصري علماً أن اتصال السفيرة شيا تمّ قبل خطاب نصرالله وأن هذا الأمر كان يتم الإعداد له منذ أشهر. ورأى مناصرو الحزب في خطوة السفيرة الأمريكية تراجعاً تكتيكياً بهدف إجهاض استيراد النفط الإيراني. لكنهم يضيفون «ربّ ضارة نافعة، وهذا إن دلّ على شيء فعلى أن الفعل الصادق في تنفيذ التهديد يستجلب ردة فعل والتراجع دون المواجهة المباشرة التي لا يرغب بها الأمريكي في ظل انسحابه العسكري من المنطقة وتراجع مشروعه في إنهاء محور المقاومة وأفغانستان تؤكد على فشل إمكانية الأمريكي على إنهاء قوة الشعوب».

وبحسب جمهور الحزب فإن القرار الأمريكي بالسماح باستجرار الكهرباء ووصول الغاز المصري هو أول الغيث، وسألوا» إذا لم تصل الباخرة الإيرانية وبدأ يهطل خير المحروقات من خلال إعلان شركة «توتال» عن تفريغ شحنة البنزين والمازوت فكيف إذا وصلت الباخرة؟!».

يبقى أن باخرة النفط التي أعطيت أكثر من حجمها وصُوّرت كأنها الحل لأزمة طوابير الذل أمام المحطات ليست هي الحل ولن تكون لأن لبنان يحتاج إلى ما يزيد عن باخرتين أو ثلاثة في الأسبوع لحل أزمته. وكل ما ستفعله الباخرة أو البواخر الإيرانية هو توريط لبنان مع جديدة والتسبّب بتأزم سياسي وبشرخ كبير، وإذا صحّت وعود نصرالله ووصلت البواخر الإيرانية بشكل استعراضي إلى بيروت أو إلى كل من الزهراني وطرابلس، فهذا يعني عقوبات على الجهات الرسمية وعلى كل شركة تتعاون مع طهران، كما يعني تعريض المصارف المراسلة ومؤسسات مالية وتجارية إلى وقف التعامل معها من جهات دولية.

أزمة الطوابير بل مغامرة تورّط لبنان

طوابير أمام المحطات

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10362 الأحد 22 آب (اغسطس) 2021 – 14 محرم 1443 هـ

تركيا-الأردن نحو «استعادة التواصل»: كيف عرقلت بوابة بن غوريون التناغم؟

تقدر تركيا الدور الذي تلعبه الأوقاف الأردنية في الحرم المقدسي وعمان تريد بصراحة ان يتدخل المستوى الأمني والسياسي التركي لمنع تنظيم زيارات عبر بوابة بن غوريون التي تتبع المحتل.

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

لماذا تسببت بوابة بن غوريون الإسرائيلية لسنوات متعددة بإعاقة نمو العلاقات السياسية بين الأردن وتركيا؟

يبدو السؤال مثيرا بعد مراجعة بعض الوقائع التي تحاول فهم الأسباب التي دفعت لسنوات طويلة نسبيا العلاقات الأردنية التركية الرسمية إلى مربعات ضيقة قبل إظهار الطرفين فجأة خلال الأسابيع الثلاثة الماضية الرغبة في فتح صفحة جديدة وتجاوز مرحلة الحساسية والانفعال في إدارة العلاقة بين البلدين.

سمحت زيارة وزير الخارجية التركي جاويد شاويش أوغلو قبل أيام قليلة إلى عمان بتداول بعض المعطيات التي لا يعرفها الجمهور، وفي نقاش بحضرة رئيس الوزراء الأردني الدكتور بشر الخصاونة فهمت «القدس العربي» بأن عمان مستعدة للانفتاح أكثر على تركيا الرئيس رجب طيب اردوغان وبأن العلاقات اليوم إيجابية وقابلة للتطوير وان النوايا طيبة من الجانبين خصوصا بعد تقديم شروحات يبدو انها كانت غائبة في الماضي القريب.

مجددا أوضح الخصاونة ما كان يردده على مسامع «القدس العربي» بالعادة وزير الصناعة والتجارة الأردني الأسبق الدكتور طارق الحموري عبر التأشير على أن عمان قررت تجميد اتفاقية التبادل التجاري قبل أكثر من عامين بصورة فردية لأسباب وطنية محضة ولا علاقة لها بالحسابات السياسية. وذلك حسب خبراء بهدف احتواء تضجر وشكوى القطاع الصناعي الأردني الذي قدر بأن تلك الاتفاقية الملغاة الآن ظالمة في التنافس للصناعيين الأردنيين المرتابين مع انهم يميلون إلى الشكوى بكل الأحوال.

يلمح الخصاونة أيضا إلى ان بعض وسائل الإعلام في تركيا بالغت في تفسير وتسييس قرار إجرائي بيروقراطي لصالح القطاعات الأردنية.

وما أعلن مؤخرا على هامش استقبال الوزير أوغلو في عمان هو المصادقة بعد أشهر طويلة على اتفاقية جديدة للتعاون والتبادل يرى الأردنيون انها أكثر إنصافا لهم تقدم الأتراك خطوة بالمصادقة على اتفاق جديد. وهي خطوة تعني ضمنيا سياسيا قبول أنقرة بصرف النظر عن أسبابها لشروحات وتقارير ووثائق أردنية تظهر أو تثبت بأن مسألة تعليق الاتفاقية السابقة ذاتية ومحلية ولا علاقة لها بأي خيارات سياسية.

لكن الجانب التركي بالمقابل قدم شروحات لمسائل محددة كانت تثير إرتياب عمان طوال الوقت، والجديد سياسيا هنا أيضا أن عمان بدورها ولأسباب تخص حساباتها المتقاطعة إقليميا تقبلت تلك الشروحات مما سمح بتبادل المعطيات لا بل بالتنسيق أحيانا خصوصا في الجزء المتعلق بتقارب واتصالات بين تركيا ومصر. وفي الجزء الذي سيتعلق لاحقا بإجراء مشاورات للتوافق ثنائيا على تكتيك مرسوم له علاقة بملف اللاجئين السوريين وكيفية التعامل مع المجتمع الدولي بخصوصه في المرحلة اللاحقة.

عبر الخصاونة هنا عن أمله في ان يتفهم الصديق التركي والجار المهم فكرة بان بقاء قضية اللاجئ السوري حية وفعالة ونشطة في الضمير العالمي هو عنصر لمساحة مشتركة يمكن ولا بد من العمل عليها ثنائيا لتعزيز ميزان المصالح للبلدين بعد تضررهما بسبب اللجوء السوري وبحكم سعي عدة أطراف دولية لطي ملف هذا اللجوء، الأمر الذي يلحق ضررا بتركيا والأردن معا.

هذه الإشارات الحكومية الأردنية تثبت بأن محور عمان أنقرة بدأ يتبادل التقديرات ولو عن بعد إثر إنتهاء مرحلة تقبل الشروحات بصورة تبادلية والمرجح أن الشروحات التركية أجابت على بعض الأسئلة الأردنية الحساسة بخصوص كيفية تصرف الجمهورية التركية إزاء ملف في غاية الأهمية أردنيا ليس له علاقة فقط بالقدس والوصاية الهاشمية، لكن له علاقة وقد يكون هذا الأهم لعمان بالمسجد الأقصى.

هنا شرحت أنقرة بانها لا تقصد رسائل سياسية محددة عندما تصر منظمات ومؤسسات تركية على تنظيم رحلات لمواطنين أتراك إلى القدس عبر الوكيل الإسرائيلي، وشرحت بانها تفضل أن يزور المسجد الأقصى والقدس عبر أغوار الأردن لكن الجانب الأردني يتحدث عن بنية لوجستية عن المعابر والجسور لا تسمح بذلك وهي مسألة تثبت بأن الجانبين خلف الستارة تحدثا بصراحة عن ما يقلقهما فيها.

جددت تركيا تأكيدها على دعم الوصاية الهاشمية على القدس وأظهرت مرونة في باطن الاتصالات بتقدير الدور الذي تلعبه الأوقاف الأردنية في الحرم المقدسي وعمان تريد بصراحة ووضوح ان يتدخل المستوى الأمني والسياسي التركي لمنع تنظيم زيارات عبر بوابة بن غوريون التي تتبع المحتل.

وتؤسس عمان في السياق لنظرة تفترض انها أكثر عمقا قوامها التضحية قليلا والانتظار بدلا من منح قوة الاحتلال والأمر الواقع الفرصة لتنظيم زيارات للمسجد الأقصى عبرها وعلى أساس ان قيمة عروبة القدس وأهميتها أهم فيما سيحاول الأردن التغيير في المعطيات اللوجستية في الجسور والمعابر.

هذا التبادل للمعطيات والشروحات لا ينقل العلاقات الأردنية والتركية بعد إلى مستويات متقدمة أو استراتيجية لكنه بالحد الأدنى وفي غضون الساعات القليلة الماضية ساهم بفتح صفحات جديدة، وأظهر براغماتية الطرفين قليلا فيما الجزء الاستراتيجي يمكن تأجيله وفيما تقول عمان بانها طالبت واشنطن في عهد جو بايدن باحترام وتقدير وانخراط الدور التركي في عملية السلام.

اليمن: تجارة النفط خلال فترة الحرب تنعش السوق السوداء وتخلق ثراء مفرطا لقيادات جماعة الحوثي

القيادات الحوثية اشتغلت منذ الوهلة الأولى في تجارة النفط وهيمنت على المؤسسات العامة للنفط في العاصمة صنعاء، وخلقت شركات توزيع المنتجات النفطية عبر شبكاتها الخاصة عبر السوق السوداء.

تعز – «القدس العربي»: خالد الحمادي

ذكرت مصادر اقتصادية عديدة أن تجارة النفط في اليمن خلال فترة الحرب الراهنة خلقت ثراء فاحشا لكبار قيادات جماعة الحوثي إثر استغلالها لسلطة الأمر الواقع في مناطق سيطرتها في بيع البنزين وبقية المشتقات النفطية في السوق السوداء بأسعار مبالغ فيها، رغم أنها تحصل على هذه الكميات بأسعار رسمية مخفّظة.

وقالت لـ«القدس العربي» إن «الشركات التابعة للقيادات الحوثية تسيطر حاليا على نحو 60 في المئة من سوق النفط في عموم اليمن، بما في ذلك مناطق سيطرة الحكومة الشرعية».

وذكرت أن «القيادات الحوثية خلقت شراكات تجارية في مجال النفط مع شركات إيرانية وخليجية في دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث أنشأت شركات نفطية كبيرة في مدينة دبي وأصبحت هذه الشركات بديلة لاستيراد النفط إلى اليمن وتضييقها للشركات التقليدية التي كانت متخصصة في ذلك».

وأوضحت أن القيادات الحوثية، وفي مقدمتها المقيمة في العاصمة صنعاء وفي سلطنة عُمان، اشتغلت منذ الوهلة الأولى في تجارة النفط وهيمنت على هذه التجارة عبر سيطرتها على المقار الحكومية الرئيسية للمؤسسات العامة للنفط في العاصمة صنعاء، وهو ما سهّل لها عملية خلق شركات بديلة للاستيراد وتوزيع المنتجات النفطية عبر شبكاتها الخاصة والتي غالبا ما تكون عبر السوق السوداء التي ازدهرت في عهد الحوثيين في العاصمة صنعاء وبقية المدن الواقعة تحت سيطرتها بالإضافة إلى تصديرها لمناطق سيطرة الحكومة الشرعية.

وكشفت ان «تجارة الحوثيين بالنفط خلقت ثراء فاحشا للعديد من قيادات الجماعة التي كانت معدمة قبل الحرب الراهنة، بينما أصبحت خلال فترة وجيزة في عداد الأثرياء اليمنيين الذين يشار اليهم بالبنان لما يمتلكونه من ممتلكات عقارية ضخمة في العاصمة صنعاء وفي العديد من الدول العربية والأجنبية وفي مقدمتها دولة الامارات ومصر وتركيا والمانيا وكندا والولايات المتحدة».

وعلى الرغم من حصار قوات التحالف العربي بقيادة السعودية للموانئ التي تسيطر عليها جماعة الحوثي وفي مقدمتها ميناء الحديدة إلا أن الحوثيين أصبحت لديهم طرقهم الخاصة وشبكات مصالح مشتركة مع تجار آخرين ومسؤولين في الحكومة الشرعية لتسهيل عملية ايصال المشتقات النفطية لمناطق سيطرتهم وبيعها في الغالب في السوق السوداء بأسعار مبالغ فيها مع بيع جزء يسير منها عبر سلسلة المحطات الرسمية بالأسعار الرسمية.

وكان تقرير لمركز بحثي سويسري صدر مؤخرا، كشف أن شبكات التوريد للنفط داخل الأراضي اليمنية عبر الموانئ الخاضعة لسيطرة الحكومة الشرعية في الجنوب عوّضت انخفاض دخول المشتقات عبر ميناء الحديدة (الخاضعة لسيطرة الحوثيين) ولم يؤدّ تعليق ميناء الحديدة من قبل التحالف إلى نقص إمدادات النفط في مناطق شمال اليمن التي يسيطر عليها الحوثيون.

وقال تقرير أصدرته منظمة «أكاسيا» السويسرية مؤخرا تحت عنوان (آثار حظر استيراد الوقود عبر ميناء الحديدة على ديناميكيات إمداد الوقود وأسعاره في اليمن) انه «على الرغم من الإمداد الكافي بالوقود قامت السلطات بتقنين توزيع الوقود للمستهلك النهائي في السوق الرسمية، بينما لا يتم تقنين الوقود في السوق الموازية (السوداء) والتي تتلقى معظم الكميات، حيث يُباع الوقود بسعر مبالغ فيه في هذه السوق الموازية».

وذكر التقرير ان أزمة بيع الوقود في مناطق سيطرة الحوثيين في الشمال (أزمة مفتعلة) على الرغم من عدم وجود نقص في الإمدادات، «فقد تم تقنين الوقود في مناطق سلطة الأمر الواقع (الحوثيون) بشكل مصطنع في محطات البنزين التابعة لشركة النفط التي يديرها الحوثيون».

وأوضح تقرير «أكاسيا» أن «معظم الوقود يذهب الآن إلى السوق الموازية (السوداء) حيث الوقود متاحًا بسهولة ولكن بأسعار أعلى بكثير». مؤكدا ان سلطات الحوثيين «عوّضت العائدات المفقودة، بسبب الاستيراد من الموانئ الأخرى على حساب ميناء الحديدة، من خلال تحصيل الرسوم عند نقاط التفتيش الجمركي في مناطق سيطرتها.

وأشار إلى أن جماعة الحوثي وأصلت تحقيق إيرادات من واردات الوقود المنقولة بالشاحنات برا، التي من المفترض ان تدفع هذه الإيرادات كرواتب لموظفي القطاع العام غير المسددة.

ونتيجة الخلاف على إدارة العملية التجارية في البلاد بين الحكومة الشرعية والحوثيين لجأت الشرعية إلى عدم السماح بدخول الوقود إلى البلاد عبر ميناء الحديدة، كوسيلة للضغط على الحوثيين نتيجة الإجراءات الأحادية التي قام بها الحوثيون في آذار (مارس) 2020 بتقضيم لاتفاق تنظيم استيراد الوقود، من خلال سحبهم لنحو 45 مليار ريال لصالحهم من حساب البنك المركزي في مدينة الحديدة، هي عائدات بيع الوقود الواصل إلى البلد عبر ميناء الحديدة، والتي كانت مخصصة كرواتب لموظفي القطاع العام تحت إشراف مكتب مبعوث الأمم المتحدة إلى اليمن، وفقا للاتفاق المبرم مع الحوثيين.

ناقلة نفط في ميناء عدن

Volume 33 - Issue 10362 Sunday 22 August 2021

الليبيون يتعظون من تجربة جيرانهم التونسيين ويختارون النظام الرئاسي

بحسم مسألة انتخاب رئيس الدولة من الشعب مباشرة، يكون الليبيون قد فضلوا النظام الرئاسي على البرلماني، بعد فترة غير طويلة من التجاذبات حول طبيعة النظام المُفضل.

رشيد خشانة

بعد احتدام الجدل بين الفرقاء الليبيين على شروط الترشيح لرئاسة الدولة، توصل أعضاء مجلس النواب إلى صيغة اعتُبرت «توافقية» قبل أن يُحيلوا المشروع على لجنة الصياغة النهائية. وبموجب الاقتراح سيُنتخب رئيس الدولة من الشعب مباشرة، في الانتخابات المُقررة للرابع والعشرين من كانون الأول/ديسمبر المقبل. وسيُتاح لموظفي الدولة المدنيين والعسكريين الترشُح لرئاسة الدولة، بشرطين أولهما أن يتوقف المُترشح عن عمله قبل ثلاثة أشهر من تاريخ الاقتراع، مع إمكان العودة إلى مركزه السابق إذا ما أخفق في الحصول على ثقة الناخبين. ويتمثل الشرط الثاني في أن يكون ليبيا مسلما من أبوين مسلمين، ومتزوجاً من ليبية.

وبحسم مسألة انتخاب رئيس الدولة من الشعب مباشرة، يكون الليبيون قد فضلوا النظام الرئاسي على النظام البرلماني، بعد فترة غير طويلة من التجاذبات حول طبيعة النظام المُفضل.

ولدى مناقشة هذه المسألة، كان هناك تباعد في المواقف من الصلاحيات التي يمكن أن يتمتع بها الرئيس، ففيما كان أنصار النظام البرلماني يدفعون نحو الحد من صلاحيات الرئيس، مخافة الانزلاق مجددا إلى الحكم الفردي والنظام الاستبدادي، كان الفريق المقابل يُصرُّ على ضرورة منح الرئيس صلاحيات واسعة تجعله قادرا على حسم كثير من القضايا الشائكة. واستدل أصحاب هذا الرأي بإخفاق النظام البرلماني في تونس، في تحقيق انتقال سلس نحو الديمقراطية، ما أفسح المجال للرئيس قيس سعيد للاستئثار بجميع السلطات التنفيذية والتشريعية، بعد إقالة رئيس الحكومة وتجميد مجلس النواب.

ومن المدافعين البارزين عن النظام الرئاسي النائب سليمان فقيه، الذي اعتبر أن هناك «عقلا جمعيا في ليبيا يريد انتخابات رئاسية» مع ضرورة تجاوز الصراع السياسي، من دون الوقوع في دكتاتورية أو حكم الفرد. ولوحظ لدى مناقشة مواد مشروع قانون انتخاب الرئيس أن رئيس مجلس النواب عقيلة صالح، حليف الجنرال المتقاعد حفتر، أكد أن الانتخابات ستتم في ميقاتها المقرر.

وقال صالح في تصريح لوكالة «سبوتنيك» الروسية إن المجلس مستعد لاعتماد قانون الانتخابات الرئاسية خلال أسبوع أو أسبوعين، مؤكدا أن «الشعب يريد الانتخابات، وهي المخرج الوحيد للأزمة الليبية، كما أن إلغاءها سيؤدي إلى التقسيم والفوضى واستمرار الحرب». وجاء على لسان رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة كلام مشابه، للتحذير من مساعي مَن وصفهم بـ«الفاشلين» الرامية إلى تعطيل الانتخابات، مشددًا على أن هذا الاستحقاق «هدف سام لن نسمح للفاشلين بعرقلته» على ما قال الدّبيبة.

على الصعيد العملي أعلنت الحكومة أنها حولت أكثر من 200 مليون دينار لصالح وزارة الداخلية، للمساهمة في تنفيذ خطة تأمين الانتخابات، كما رفعت العراقيل الإدارية عن تسييل المبالغ المالية اللازمة للمفوضية العليا للانتخابات، وقامت بإيداعها في حسابات المفوضية.

ضغوط أمريكية

الظاهر أن أمريكا تمارس ضغوطا على الفريقين الليبيين المتصارعين، لضمان إجراء الانتخابات المقبلة. وتندرج في هذا الإطار الجولة الأخيرة للموفد الأمريكي الخاص إلى ليبيا، السفير ريتشارد نورلاند، على كل من مصر وتركيا والمغرب، والتي ركزها، بحسب بيان للسفارة الأمريكية، على «الضرورة الملحة» لوضع الأساس الدستوري والإطار القانوني المطلوبين لإجراء الانتخابات البرلمانية والرئاسية المقبلة.

كما حمي في الأيام الأخيرة وطيس الحرب الكلامية حول التأخير المسجل في توحيد مؤسسات الدولة المفككة، وخاصة المصرف المركزي ووزارات الدفاع والداخلية والمال، وهي إحدى المهمات الرئيسة التي أخذتها حكومة الوحدة الوطنية على عاتقها لدى تشكيلها في آذار/مارس الماضي، ولم يُسجل فيها تقدم يُذكر. وكان لافتا أن بوابة «الوسط» الليبية لاحظت عودة ما أسمته «مفردات لغة الحرب» مجددا مع اقتراب العد التنازلي للانتخابات.

في السياق نفسه أكد تقرير بريطاني صدر أخيرا، أن استمرار الانقسام السياسي والمواجهات المسلحة «يحدان من القدرة على مكافحة الإرهاب» على الرغم من محاولة السلطات الحد من عدد الإرهابيين في غرب البلاد وشرقها. وتطرق التقرير الذي أصدره «المركز الدولي لدراسة الراديكالية» التابع لكلية «دراسات الحرب» بجامعة «كينغز كوليدج» البريطانية، إلى موضوع «الجهود الرامية لمكافحة الإرهاب في منطقة شمال أفريقيا» ليُؤكد أنه بالرغم من القضاء على عشرات من مقاتلي تنظيمي «داعش» و«القاعدة» ما زالت جهود مكافحة الإرهاب في ليبيا غير كاملة أو منظمة. ويُشير التقرير بصورة خاصة إلى غياب حكومة يتوافق عليها الجميع أو برلمان يسنُّ التشريعات اللازمة للحد من أي نشاط إجرامي. كما يُشدد على أن استمرار الانقسام السياسي وبقاء المواجهات المسلحة بين المجموعات المتصارعة يزيدان من تعقيد الموقف، ويطيلان أمد التخلص من آفة الإرهاب.

وبالرغم من الدعوات المتكررة لسحب المقاتلين الأجانب من كافة الأراضي الليبية، وآخرها الدعوة الصادرة عن مؤتمر برلين الثاني، لا توجد محاولات جادة في هذا الاتجاه، إذ لم تسع حكومة الوحدة الوطنية إلى تقسيم المرتزقة بحسب جنسياتهم، كي تمارس ضغوطا حقيقية على الأطراف الأجنبية. ولا توجد إحصاءات دقيقة عن أعداد المرتزقة، التي تُقدر بما بين 20 و30 ألف عنصر.

أجنحة مُتكسرة

غير أن الباحث في الشأن الليبي جليل حرشاوي لا يعتبر مشكلة المقاتلين الأجانب أكبر المسائل المطروحة في ليبيا اليوم، على الرغم من أن السيادة الليبية تنتهك بشكل يومي، على ما قال. ويعتقد حرشاوي، وهو باحث في شبكة المبادرة العالمية لمكافحة الجريمة العابرة للحدود، ومقرها في جنيف، أن ليبيا تُجابه حاليا مشاكل أكثر إلحاحاً، واصفا الوضع الراهن بالانتكاسة، لأن وزارة المال على سبيل المثال، تتصرف بشكل مستقل في الشرق، في حين لم يتحقق حتى الآن توحيد جناحي المصرف المركزي، المُشتت بين مقره الرئيس في طرابلس والفرعي في بنغازي.

واعتبر تقرير جامعة «كينغس كوليج» أن هناك ثلاثة عناصر تؤثر في سياسة مكافحة الإرهاب بليبيا، وهي انقسام المؤسسات السياسية، والفساد الاقتصادي، وحالة الاستقطاب، علما أن البرلمان الليبي لم يسن أية تشريعات لمكافحة الإرهاب منذ انقسام المؤسسات بين الشرق والغرب في 2013 و2014 عدا القانونين رقمي 27 و53، اللذين يرميان إلى حل الميليشيات غير التابعة للدولة، ودمج الجماعات المسلحة في كيان جديد يمثل الدولة. ومع أن المؤتمر الوطني العام (برلمان انتقالي) اعتمد هذين القانونين، في 2013 فإنهما لم يعرفا طريقهما للتطبيق منذ ذلك التاريخ.

وأشار التقرير إلى أن القوانين الخاصة بمكافحة الإرهاب متضمنة في القانون الجنائي، حيث توجد مادتان تنصان على تجريم الأعمال التي تهدد الأمن القومي، بما في ذلك الإرهاب، والترويج للأعمال الإرهابية وتمويل الإرهاب. وتابع «بينما يقوم الدبلوماسيون الليبيون بالتوقيع على الاتفاقات الدولية، فإن قدرتهم على تطبيقها في بلدهم شبه منعدمة، فمنذ إجراء أول انتخابات حرة في ليبيا في 2012 تم طرح عدة تشريعات لمكافحة الإرهاب، مثل القانونين المذكورين، اللذين يهدفان لحل الميليشيات غير التابعة للدولة، ودمج الجماعات المسلحة في كيان جديد يمثل الدولة». وفي 2013 قام المؤتمر الوطني العام بتبني هذه القوانين ولكن لم يتم تطبيقها إطلاقاً.

في هذا المناخ تشهد ليبيا تطبيقاً عشوائياً من أطراف مسلحة كثيرة، لإجراءات مكافحة الإرهاب من دون أساس قانوني. وبحسب تقرير أصدرته منظمة العفو الدولية في نيسان/ابريل 2021 أصدرت المحاكم العسكرية الليبية أحكاماً بحق المئات من المدنيين في شرق ليبيا، بعد محاكمات «عسكرية سرية وغير عادلة إلى حد بعيد».

تساؤلات لدى المراقبين

ومع أن نفوذ تنظيم «داعش» في تراجع منذ العام 2016 يعتقد الخبراء الأمنيون أنه ما زال هناك احتياج لمواصلة جهود مكافحة الإرهاب، مع الأخذ في الاعتبار حالة عدم الاستقرار على الصعيدين الداخلي والإقليمي، وكذلك اتساع الأراضي الليبية، وهو ما يسمح للمنظمات غير الشرعية بحرية نسبية للحركة. ولوحظ أن الهجمات الإرهابية في السنوات الأخيرة تركزت في المناطق الخاضعة لنفوذ قوات الجنرال المتقاعد خليفة حفتر، أكثر مما كان عليه الحال في مناطق غرب ليبيا. ويُعزى ذلك إلى أن مناطق شرق ليبيا أكثر اختراقاً من قبل الجماعات السلفية الجهادية، قياسا على المنطقة الغربية. كما أن استمرار هذا النشاط الإرهابي يطرح تساؤلات لدى المراقبين بشأن مدى فاعلية الإجراءات القاسية والعشوائية التي تقوم بها قوات حفتر، في إطار ما تزعم أنه «مكافحة للإرهاب».

وأكد تقرير منظمة العفو الدولية أن المحاكمات العسكرية شملت مدنيين تم استهدافهم فقط «بسبب انتقادهم قوات حفتر» مشيراً إلى أن أحكاما بالإعدام صدرت بحق 22 شخصاً على الأقل وتم سجن المئات، في الفترة بين كانون الثاني/يناير 2018 ونيسان/أبريل 2021.

وعادة ما تقوم الميليشيات «المستقلة» باعتقال الأفراد بناء على تُهم مزعومة بالإرهاب، ولا يتم إخطارهم بحقوقهم. وعلى الرغم من إصدار عدة تعديلات قانونية، لم يتقدم مجلس النواب ولا حكومة الوفاق السابقة بأية خطة استراتيجية لمكافحة الإرهاب. ولم تطل الملاحقات القضائية سوى أعداد قليلة ممن يستحقون الملاحقة. ولاحظ واضعو التقرير أن «الميليشيات المرتبطة بشكل غير رسمي بالدولة تتصرف على أساس أنها أجهزة أمن تنفيذية، وتقوم باعتقال المتهمين بالتورط في الإرهاب» وهي تتصرف عادة بشكل محلي، بعيداً عن أية آليات للتنسيق أو الرجوع إلى المؤسسات المركزية.

من هنا لا توجد قوة عسكرية موحدة بين الشرق والغرب، بل يزداد هذا الانقسام استفحالا مع ارتباط كل طرف بقوة إقليمية منافسة للأخرى. ففي الشرق حصلت القاهرة على دعم من مجلس النواب، في تموز/يوليو 2020 لتدخلها في الشؤون الأمنية الليبية بعد الموافقة على قرار يسمح لمصر بالتدخل عسكريا في الأراضي الليبية. وحصلت القاهرة على صفقات مهمة في إطار خطة معاودة الإعمار الليبية.

في الجهة المقابلة أمنت تركيا الدعم والتدريب للقوات التابعة لحكومة «الوفاق الوطني» السابقة منذ نهاية 2019 في أعقاب توقيع مذكرات تفاهم بشأن التعاون العسكري والحدود البحرية والتعاون الاقتصادي. وتوصل وزيرا الصحة الليبي علي الزناتي والتركي فخر الدين قوجة إلى مذكرة تفاهم وقع عليها أخيرا وزيرا الصحة التركي والليبي تشمل التعاون والتدريب قصير المدى للكوادر الطبية، وتطوير خدمات الرعاية الصحية ومكافحة جائحة فيروس كورونا المستجد. كما شملت تجهيز وإدارة وتشغيل بعض المستشفيات ومراكز العزل في ليبيا. ولم يُكشف عن قيمة الصفقة، التي ستكون لها آثار سلبية على القطاع الاستشفائي الخاص في كل من تونس والأردن ومصر، الوجهات التقليدية لليبيين، في المجال الطبي، إلى جانب تركيا.

القوات الخاصة الليبية

حدث الأسبوع

انتصار طالبان وبسط سيطرتها على أفغانستان يسلط الضوء على أولويات الولايات المتحدة في المرحلة المقبلة

حوار وفد طالبان مع حميد كرزاي

الدوحة«القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

لفت تسارع وتيرة الأحداث في أفغانستان أنظار العالم، ووجه إليها عدسات الكاميرات، واعتلت الأخبار الواردة من كابول، ومدن البلد الذي أنهشته الحروب والمعارك وصور الدمار، الصدارة.

الكل يترقب الخطوة التالية لحركة طالبان التي تصدرت واجهة الأحداث، والجميع يتطلع إلى الإشارات التي يرسلها قادتها، وجلهم لم تكن حتى صورهم معروفة للرأي العام، والتأكد ما إن كانت طالبان العشرية الماضية، ذاتها التي يتجول رجالها وقادتها ورؤوسهم مرفوعة في الشوارع، أو لدى جلوسهم على كرسي الرئيس السابق أشرف غني الفار بأموال منهوبة إلى منفاه في أبو ظبي الإماراتية، هي ذاتها التي تخطط للعب أوراقها في البلد المدمر، أم أنها تغيرت.

يشير مركز «سترافور» الاستخباراتي (الذي يقدم على أنه مقرب من الاستخبارات الأمريكية) أنه في الوقت الذي تتطلع فيه طالبان لإضفاء الطابع الرسمي على سيطرتها على أفغانستان وتسعى إلى شرعية محلية ودولية، فإن الوضع يطرح العديد من الأسئلة خلال الأيام والأسابيع القليلة المقبلة، فيما ستشكل إجاباتها المرحلة التالية من الوضع الأفغاني.

ويشدد الباحثون أنه لابد من النظر إلى أن أفغانستان ما تزال مجتمعا عرقياً وقبلياً معقداً له مصالح محلية، وتتطلب السيطرة عليه على المدى الطويل نفوذاً كبيراً وقدرة عالية على استخدام القوة. فقومية الباشتون التي ينحدر منها معظم مقاتلي طالبان تشكل أ ثر من 62 في المئة من التركيبة السكانية للمجتمع الأفغاني، وبعضها تحددها عند نحو نصف تعداد الشعب الأفغاني. وهي من أبرز المعادلات التي لم تأخذها بعين الاعتبار الولايات المتحدة والقوات المتعددة الجنسيات التي راهنت على تيارات هامشية، وسعت لفرضها على المجتمع.

وما يفسر سرعة انهيار القوات الحكومية بعد ساعات من مغادرة ما تبقى من الجيش الأمريكي، هو تغلغل الحركة في الأوساط الاجتماعية، واعتبارها عنصراً أساسياً وليس دخيلاً، فكان الولاء لها أكثر من أي جهة أخرى.

وركز باحثون من صحيفة «الغارديان» البريطانية على موازين القوى، وكانت دهشتهم كبيرة من قدرة نحو 80 ألف من مقاتلي طالبان، على تعزيز كفتهم، مقارنة بـ300 ألف و699 جنديا بالاسم يخدمون الحكومة الأفغانية، ومع ذلك فقد تم اجتياح البلاد بأكملها فعلياً في غضون أسابيع، بينما استسلم القادة العسكريون دون قتال في غضون ساعات.

وأضافت أنها فعلاً حكاية جيشين، أحدهما ضعيف التجهيز ولكن لديه دوافع إيديولوجية عالية، والآخر مجهز بشكل جيد من الناحية الشكلية، ولكنه يعتمد على دعم الناتو، وقيادته سيئة وينخرها الفساد.

الحكام الجدد للبلاد

الانسحاب المعلن مسبقا للقوات الأجنبية من أفغانستان بعد حوالي 20 عاماً من بدء أطول حرب أمريكية، ساهم إلى حد كبير في زعزعة الثقة في الإدارة المدعومة من الغرب في كابول وشجع الناس على الانشقاق.

فلم يستغرق الأمر سوى بضعة أيام فقط، قبل أن تنهار القوات الحكومية المدعومة غربياً، وتجتاح حركة طالبان أفغانستان، وتسيطر على الأراضي التي كانت غائبة عن سيطرتها الفعلية، إضافة لعواصم الأقاليم الكبرى من دون حتى إطلاق رصاصة واحدة.

وانقسمت شاشات المتابعات لما يجري في كابول، بين أنباء الانهيار العسكري للجيش الأفغاني، وكانت على الجانب المقابل صور مقابلات زعماء طالبان وهم داخل القصر الرئاسي، أو في الشوارع الرئيسية.

استيلاء حركة طالبان السريع على السلطة في أفغانستان دلالة على أنه لن يكون بوسع الأطراف الفاعلة في المنطقة من الآن فصاعدا الاعتماد على القوة الأمريكية الآخذة في التراجع.

ويعزز قناعة العديد من الأنظمة السياسية العربية أن الدور الأمريكي في العالم العربي والإسلامي، في تراجع.

واعتبر محللون الانسحاب الأمريكي درساً فتح أعين الجماعات المتحالفة مع واشنطن، وبعث رسالة مفادها عدم الاعتماد على واشنطن كحليف. وأن الولايات المتحدة ترسم في المرحلة المقبلة سياسات مختلفة، وجهودها توجه حالياً نحو مناطق أخرى، ليس أقلها نفوذ الصين المتعاظم، ثم تغلغل روسيا في مناطق النفوذ في عدد من المحاور.

وما تزال عشرات الأسئلة بلا إجابة رسمية واضحة، تطرح في العاصمة الأمريكية واشنطن، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتكلفة المادية. وتنقسم تكلفة الحرب إلى شق يتعلق بالخسائر البشرية، وآخر يرتبط بالتكلفة المادية.

وكلفت حرب أفغانستان الخزانة الأمريكية حتى الآن حسب تقرير أصدره «مشروع تكاليف الحرب» في جامعة براون، ما لا يقل عن 2.261 تريليون دولار، أي ما يقرب من 16 ألف دولار لكل دافع ضرائب فدرالي.

لكن التقرير يشير إلى أن هذه التكاليف هي أقل من الواقع، لأن الأرقام لا تشمل الأموال التي يبقى دفع تكلفتها فيما يتعلق بتكاليف الرعاية الصحية المستقبلية لقدامى المحاربين في أفغانستان ولا مدفوعات الفائدة المستقبلية على الأموال التي تم اقتراضها لتمويل بقاء القوات الأمريكية هناك لما يقرب من 20 عاما.

ويقدر التحليل أن 241 ألف شخص لقوا مصرعهم في حرب أفغانستان، من بينهم 2442 من أفراد الجيش الأمريكي، وانتحار أضعاف هذا الرقم.

إضافة إلى مقتل ما يقرب من 4 آلاف متعاقد أمريكي، كما أشارت إلى مقتل 1150 شخصا بين عسكريين ومتعاقدين من دول التحالف الدولي، إضافة لمقتل نحو 141 ألف أفغاني، من بينهم 43 ألفا من عناصر طالبان، وما يقرب من 60 ألفا من عناصر الشرطة والجيش الأفغاني، إضافة إلى 38 ألف مدني أفغاني. ونجم عن الحرب إصابة ما يقرب من 40 ألف أمريكي، إضافة إلى مئات الآلاف من الأفغان.

طالبان النسخة الجديدة

مضت تحليلات وقراءات مراكز الأبحاث بعد استعراض الواقع الجديد الذي أفرزه قرار انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان، إلى وضع الحكام الجدد للبلاد في مجهر البحث.

وتسعى طالبان إلى تشكيل سردية حول وصولها إلى السلطة باعتبارها حقا مشروعا، وهي رسالة مهمة إلى الداخل الأفغاني والخارج.

كما تتطلع طالبان لإضفاء الطابع الرسمي على سيطرتها على أفغانستان وتسعى إلى شرعية محلية ودولية. وتقدم قيادات الحركة صورة مختلفة عن المشهد الذي سجل عليها في نسختها القديمة تسعينيات القرن الماضي.

وخلال حديث سابق لقيادي من الحركة مع «القدس العربي» يشدد المسؤول أن طالبان تستخلص الدروس من تجاربها السابقة، وستكون أكثر انفتاحاً على محيطها، وتستوعب الجميع، في إطار مرجعيتها الأساسية أي نصوص الشريعة.

ومؤخراً تعلن الحركة أنها تريد علاقات سلمية مع الدول الأخرى، وتؤكد أنها ستحترم حقوق النساء في حدود مبادئ الشريعة الإسلامية، وهي تبدي مواقف أكثر ليونة مما كانت عليه خلال حكمها قبل 20 سنة.

وتحاول طالبان في نسختها الجديدة تبديد الصورة القديمة عنها خلال حكمها لأفغانستان من عام 1996 إلى عام 2001 في ظل الشريعة الإسلامية، وكل المشاهد عن منع النساء من العمل وفرض عليهن عقوبات تصل إلى الرجم العلني، أو حظر الفتيات من الذهاب إلى المدارس وفرض ارتداء البرقع على النساء.

ويشدد ذبيح الله مجاهد المتحدث باسم طالبان في أحدث تصريح أنه سيُسمح للنساء بالعمل والدراسة وسيكن «نشطات للغاية في المجتمع لكن في حدود مبادئ الشريعة الإسلامية». وظهر مسؤولون من طالبان في مقابلات تلفزيونية مع صحافيات ومذيعات لم يكن يرتدين البرقع، ومشاهد لم تكن مألوفة لهذه الحركة التي توصف بالتشدد.

مفاوضات الدوحة مستمرة بالرغم من تشويش أبوظبي

ما تزال الأنظار معلقة على مفاوضات الدوحة، حيث جرت النقاشات والجلسات، لرسم مستقبل أفغانستان، والبحث عن حلول للمشاكل الحالية، والدفع نحو إحلال السلام في البلد المنهك بالحروب.

وأصبح مكتب طالبان الموجود في العاصمة القطرية الدوحة، جزءاً لا يتجزّأ من استراتيجية الولايات المتحدة للتفاوض على الانسحاب من البلاد في عهد إدارة الرئيس السابق دونالد ترامب.

وحافظت قطر على اتصالاتها مع طالبان خلال فترة حكمها السابقة، ولكنّها لم تقم علاقات دبلوماسية معها على غرار السعودية والإمارات وباكستان.

ومع ذلك، رأت طالبان في قطر التي تستضيف أكبر قاعدة جوية أمريكية في المنطقة، مضيفاً محايداً، وهو ما أكده الباحث في معهد «رويال يونايتد سيرفيسز» توبياس بورك، من أنّ الدوحة «كانت في قلب هذا المسار الدبلوماسي لفترة طويلة، ولم يكن ذلك ممكنا من دون تقارب جيد مع كافة الأطراف».

وأوضح «المحادثات التي جرت، الصفقة التي أبرمتها إدارة ترامب مع طالبان العام الماضي، كل ذلك تطلب وجود هذه المساحة السياسية.»

وبموجب اتفاق شباط/فبراير 2020 وافقت الولايات المتحدة وحلفاؤها على سحب القوات في مقابل ضمانات أمنية من طالبان، بالإضافة إلى التزام المتمردين التفاوض مع الحكومة التي انهارت مع سيطرة الحركة على البلاد.

ويعول كثيراً على الدور القطري في إنجاح مفاوضات مرحلة ما بعد سيطرة طالبان على مقاليد الحكم، للتوصل لتفاهمات تساهم في التوصل لتوليفة حكم تستوعب الجميع.

لكن محللين يخشون من التشويش الذي قد تمارسه أطراف خارجية، على غرار الإمارات العربية المتحدة التي تستضيف الرئيس الأفغاني السابق أشرف غني، الذي وفرت له اللجوء مع أمواله المهربة، والتي يخشى أن توظف في مسارات تخريبية للتوافقات الحالية.

وتنطلق التقارير التي ترى بعين الشك للدور الإماراتي، من محاولات حكام أبو ظبي التشويش على أي مسعى تقوم به الدوحة لإحلال السلام في أفغانستان، حيث يقتنع الجميع أن الإمارات تلعب دوماً أدواراً تخريبية في عدد من المناطق والدول.

أفغانستان وحظائر الخنازير: بين ماضٍ من الزمان وآت

صبحي حديدي

مثلما تجري، بحقّ وعن ضرورة، استعادة ماضي الطالبان الأسود والمقيت في ميادين شتى، وليس على صعيد حقوق الإنسان والحريات العامة ومكانة المرأة والطفل في المجتمع والحياة فقط؛ كذلك يتوجب إجراء استعادات مماثلة للساسة الأفغان الذين كانوا رجال الاحتلال الأمريكي من جهة أولى، وكانوا وجوه الفساد والإفساد والتقصير والصراعات التي تقتفي المصالح الشخصية والمكاسب الفردية من جهة ثانية، فضلاً عن الجهة الثالثة التي لا تقلّ خطورة: المساهمة، عن طريق هذا كله، في إبقاء الطالبان على قيد الحياة، بل وإعانة الحركة على اكتساب الأنصار وحُسْن التجنيد والحشد.

أوّل هؤلاء ليس سوى حامد كرزاي، الذي يسعى البعض اليوم (في البيت الأبيض والمخابرات المركزية والحلف الأطلسي، خصوصا)، إلى إعادة تدويره في هيئة شخصية إجماع وطني قادرة على محاورة الطالبان وأمراء الحرب والقبائل معاً، وكذلك الانفتاح على الجوار الإقليمي والعالم بأسره. وفي هذا الخيار ما يشبه جرّ الشعب الأفغاني إلى حال المستجير من الرمضاء بالنار، أو بالأحرى الجمع بين الرمضاء والنار في حال اتفاق الطالبان مع كرزاي وبطانته.

وخلال سنواته الرئاسية، بين 2001 (بموجب تنصيب من الـ«لويا جرجاه») و2014 (عبر دورتين انتخابيتين)، لم تقتصر تحالفات كرزاي على أمراء الحرب والعسكر والقبائل فقط، بل انطوت كذلك على إعادة إدخال عبد الرشيد دوستم، أحد أشرس أمراء الحرب، القائد الأعلى السابق لرئاسة أركان الجيش الأفغاني، والمسؤول عن مذبحة معتقل شيبرغان التي ذهب ضحيتها قرابة 1500 من مقاتلي الطالبان، كانوا قد استسلموا لقوّات دستم. السماح للأخير بالعودة إلى البلاد من منفاه الإرادي في تركيا استهدف خطب ودّ القبائل الأوزبكية، وامّا تبييض صفحة أمير الحرب الآخر، محمد محقق، فقد استهدفت التقرّب من إيران ومن قبائل الهزاري الشيعية، مقابل دعم كرزاي في المناطق الشمالية.

ولعلّ كثيرين في أفغانستان لم ينسوا، بعد، اسم مالالاي جويا التي كانت الناشئة الأصغر سنّاً، والناشطة البارزة في ميادين حقوق المرأة وحقوق الإنسان عموماً، والتي صوّت البرلمان على تعليق عضويتها بسبب تصريحها في مقابلة تلفزيونية بأنّ أمراء الحرب في بلدها «أسوأ من حظيرة الخنازير». ولسوف تنتقل جويا إلى الحياة السرّية، بعد أن صارت مهددة بالتصفية الجسدية، خاصة بعد أن اتخذت قرار المضيّ أبعد في التعريض بالتحالف القائم بين حكومة كرزاي وأمراء الحرب ومافيات المخدّرات وتجارة السلاح، وأصدرت كتابها الشجاع «أرفع صوتي عالياً». ورغم ضغوطات الاتحاد البرلماني الدولي، فإنّ قرار التعليق طُبّق بالفعل، بل مُنع محامي النائبة من دخول المجلس؛ وسط صمت القبور من جانب البيت الأبيض، ورجال جورج بوش الابن.

جدير بالاستعادة ما كتبته جويا صبيحة الانتخابات الرئاسية الأفغانية الثانية: «مثل ملايين الأفغان، ليس لديّ أمل في انتخابات اليوم. ففي بلد يحكمه أمراء الحرب، وقوّات الاحتلال، وإرهاب الطالبان، وأموال المخدّرات والسلاح، لا أحد يتوقع انتخابات شرعية ونزيهة. والناس في الشارع ليست لديهم سوى هذه اللازمة: الفائز الحقيقي اختاره البيت الأبيض سلفاً (...) لقد عقد الرئيس حامد كرزاي تحالفات مع وحوش أمراء الحرب والأصوليين، بهدف الحفاظ على موقعه. ورغم أنّ دستورنا يحرّم على مجرمي الحرب الترشيح لمناصب عامة، فإنّ كرزاي اختار اثنين من أشهر قادة الميليشيات في منصب نائب الرئيس، كريم خليلي ومحمد قاسم فهيم، وكلاهما خاضع لاتهامات بارتكاب الفظائع بحقّ شعبنا».

وليس مستبعداً، بالطبع، أن يقبل الطالبان باستخدام كرزاي في أية «توليفة» خادعة توحي بائتلاف ما، أو تعطي الانطباع الكاذب بأنّ الحركة لا تحتكر السلطة؛ الأمر الذي لن يغلق حظائر الخنازير التي انتشرت هنا وهناك في الحياة السياسية الأفغانية، في أزمنة مختلفة وعقائد فساد واستبداد وجاهلية لم تتباين إلا في المسميات الزائفة.

محللون: الولايات المتحدة ليس لديها أي نفوذ لتحديد المسار السياسي في أفغانستان ولكن يمكنها الاستفادة من «محادثات الدوحة»

واشنطن ـ «القدس العربي»: رائد صالحة

طائرة عسكرية أمريكية تنقل أفغانا من كابول

سيطرت حركة طالبان على كابول بدون قتال كبير، تماماً كما فعلت في عام 1996 وغادرت المدينة في ظروف مماثلة في عام 2001 في أعقاب هجمات الحادي عشر أيلول/سبتمبر على مركز التجارة الدولي، وإذا خسرت ثانية فإنها على استعداد للذوبان مرة أخرى، ولكن تداعيات ما حدث مؤخراً في أفغانستان يتجاوز حدود البلاد، التي تمكنت حتى الآن من هزم ثلاث إمبراطوريات وقوى عظمى، إن جاز التعبير، وهي بريطانيا والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة.

بالنسبة للولايات المتحدة، سواء اعترف الرئيس جو بايدن أم لا، فقد قوضت الهزيمة في أفغانستان مكانتها كقوة عظمى، وتآكلت مصداقية أمريكا كحليف بسبب الطريقة التي تم بها التخلي عن الحكومة الأفغانية، كما تضاءل الخوف من الولايات المتحدة بين أعدائها.

وأشار محللون أمريكيون إلى أن الانسحاب الأمريكي ألحق الكثير من الضرر مع الحلفاء في «الناتو» الذين استثمروا الكثير من الأموال والدماء في الصراع على مدى 20 عاماً، وقُتل أكثر من 1100 منهم، وتم صرف مليارات الدولارات على العملية العسكرية وجهود إعادة الإعمار، كجزء من التزاماتهم بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وقالوا إن إنسحاب بايدن كان صفعة في وجه شركاء الولايات المتحدة في أوروبا، حيث تركهم أيضاً لمواجهة مشكلة تدفق المزيد من الهجرة الجماعية.

وإذا تعرضت السفارة الأمريكية في كابول للهجوم في وقت ما، فقد ينتهي الأمر بالرئيس بايدن في عامه الأول، كما حدث مع الرئيس الأسبق جيمي كارتر في سنته الأخيرة كرئيس.

وفقاً لتوقعات العديد من المحللين الأمريكيين، فإن سقوط كابول سيعمل على إنعاش الحركة الجهادية في العالم من المغرب إلى إندونيسيا، لتحدي النظام الأمريكي، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة تبدو أكثر استعداداً للتعامل مع الجهاديين، إلا أنه من المتوقع عودة «الجهاد العالمي».

وقال المحللون الأمريكيون إن دوافع أمريكا للانسحاب من أفغانستان مفهومة للغاية، ولكن المشكلة كانت في طريقة الانسحاب.

أسوأ من سقوط سايغون

ورأت مجموعة من المحللين أن انتصار طالبان كان في الواقع أسوأ من سقوط سايغون، حيث انتظر شمال فيتنام أكثر من سنتين من رحيل القوات الأمريكية قبل السيطرة على عاصمة فيتنام الجنوبية.

وليس هناك أي سبب وجيه يدعو روسيا أو الصين، بعد مناورة الانسحاب الأمريكي، للوفاء بوعدهما بشأن عدم الاعتراف بنظام طالبان، ومن المحتمل أن تستشهد بكين وموسكو بعدم وجود معركة في سقوط كابول كمبرر للاعتراف، مما يوجه ضربة دبلوماسية أخرى للولايات المتحدة.

لا شكوك بشأن خسارة الولايات المتحدة في أفغانستان، والسؤال المطروح الآن هو ما الذي يمكن أن تفعله الولايات المتحدة لتقليل الضرر، وما هي توقعات واشنطن بشأن الأشهر المقبلة في أفغانستان؟ والإجابة التي قدمها العديد من المحللين والسياسيين الأمريكيين في الصحف الأمريكية الرئيسية، بما في ذلك «نيويورك تايمز» و«وول ستريت جورنال» و«واشنطن بوست» و«بوليتيكو» أن طالبان ستقوم بالتوطيد التدريجي للسلطة والاستيلاء على المؤسسات الحكومية وتطهير المناصب، ولأن عدد عناصر الجماعية قليل نسبيا (75 ألف مقاتل) فإن الحركة ستقيم تحالفات مع السكان المحليين، وستبدأ في إصدار القوانين والتشريعات.

وقال جيم كلابر، مدير المخابرات الوطنية السابق، إنه لا يعتقد بأن طالبان ستغير نهجها مشيراً إلى أن البلاد ستشهد الكثير من الفوضى، ولن يكون هناك اتساق بين كل المناطق.

ولم يعد للولايات المتحدة الآن أي نفوذ في أفغانستان، وعلى وجه التحديد، ليس لها بصمة عسكرية، وقد تخلت عن قاعدتها العسكرية الكبيرة في باغرام وغادرت البلاد بالفعل، وهي ليست في وضع يمكنها من إملاء الاتجاه الذي تسلكه أفغانستان ما لم تريد إعادة الانخراط في أفغانستان، وهو خيار غير مطروح الآن في واشنطن، ولكن يمكن أن تفعل الكثير على الصعيد الدبلوماسي.

وأكد المحللون الأمريكيون أن واشنطن يجب أن تحدد بالضبط ما الذي تريد أن تفعله طالبان وما لا تفعله، وأن عليها أن تستمر في استخدام القنوات التي بنتها في الدوحة للتواصل مع قيادة طالبان واستخدام أساليب الترهيب والترغيب في محاولة للتأثير على قراراتهم.

ويتعين على الولايات المتحدة أيضاً أن تعمل بشكل وثيق مع الدول الأخرى التي لها علاقات مع أفغانستان، بما في ذلك باكستان والصين وإيران وروسيا، وليس فقط مع الأوروبيين، حيث توجد مصالح مشتركة بين جميع هذه الدول.

وبالفعل، أجرت الخارجية الأمريكية محادثات دبلوماسية رفيعة مع طالبان في الدوحة، كما فعلت في العام الماضي، وركزت المحادثات على تأمين مطار كابول وضمان سلامة كل الأمريكيين، والأفغان الذين يأملون بالهرب من البلاد.

وتحدث المفاوضون الأمريكيون، بمن فيهم القائد الأعلى للقوات الأمريكية في أفغانستان، الأدميرال بيتر فاسيلي، عن قنوات عدة مع حركة طالبان، ولكن واشنطن لا تزال غير متأكدة بأن التعليمات من قادة الجماعة تسير عبر التسلسل القيادي إلى المقاتلين في الشوارع.

ويجري السفير الأمريكي السابق في أفغانستان جون باس، الذي عاد إلى كابول، محادثات يومية مع حركة طالبان لحل بعض المشكلات العالقة في استعادة النظام حول المطار وتسهيل الأمن للأمريكيين ولجميع الراغبين في مغادرة البلاد.

تفاهمات

ومن الواضح أن هناك تفاهمات بين الولايات المتحدة وحركة طالبان، من أهمها أن الجماعة ستسمح بمواصلة عملية الإخلاء من دون عوائق في المطار، وأن الجيش الأمريكي لا يخطط لتوسيع الوجود العسكري الأمريكي خارج المطار.

وذكرت مصادر أمريكية أن هناك مجموعة من الخيارات الواسعة التي تجري مناقشتها حول الشكل الذي ستبدو عليه الأسابيع والأشهر المقبلة، بما في ذلك تمديد الوجود العسكري الأمريكي في مطار كابول إلى ما بعد نهاية الشهر.

وتحدث سياسيون أمريكيون من الحزبين الجمهوري والديمقراطي عن حالة من عدم الوضوح في إدارة بايدن بالنسبة لما يحدث في أفغانستان، وعلى الرغم من تصريحات بايدن الإيجابية إلا أن مشاعر الغضب تسود صناع السياسة في واشنطن.

وقال محللون أمريكيون إن طالبان على ما يبدو تريد اعترافاً دولياً وهناك مؤشرات على أنها ستعمل على تشكيل حكومة أكثر شمولية، ولكن العديد من المسؤولين الأمريكيين، بمن فيهم بايدن نفسه، قالوا إنهم غير متأكدين من ذلك.

ولاحظ محللون أن بايدن أصر خلال مقابلة مع شبكة «إيه بي سي» على أن حركة طالبان وافقت على السماح للأمريكيين بالوصول إلى مطار كابول، على الرغم من اعترافه بالفوضى هناك، وقال إنهم يتعاونون ولكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة إلى أولئك الذين ساعدوا الولايات المتحدة.

وبالنسبة بايدن فإن ما حدث في أفغانستان لم يكن عبارة عن فشل في التخطيط أو الحكم أو التنفيذ أو إصدار الحكم أو المعلومات، بل كان الأمر أكثر بساطة، حيث استقل رئيس البلاد طائرة وهرب إلى دولة أخرى، وخلعت قوات مدربة يزيد عددها عن 300 ألف سترتها ومعداتها وهربت.

هل يفجّر الصاعق الأفغاني آسيا الوسطى ويتمدد إلى روسيا والصين وإيران؟

يوسف مرتضى

مؤتمر دول وسط وجنوب آسيا في طشقند

تطرح مسألة الانسحاب الأمريكي– الأطلسي (المدروس والمحسوب) من أفغانستان وسرعة سيطرة حركة طالبان على السلطة فيها الأسئلة والاستنتاجات المتناقضة في آن!

الصين وروسيا وإيران أبدوا في تصريحات رسمية وشبه رسمية ارتياحاً لخروج القوات الأمريكية والأطلسية من أفغانستان، والانهيار السريع لحكومة عبد الغني وعودة طالبان إلى السلطة، معتبرين أن في ذلك هزيمة لعدوهم المشترك أمريكا بعد عشرين سنة من احتلالها لهذه البلاد التي تقع على حدودهم، من الغرب الصين، من الشرق إيران، ومن الجنوب روسيا.

وفي حقيقة الأمر أن هذا الانسحاب للقوات الأمريكية–الأطلسية جاء استجابة لمتطلبات الاستراتيجية الأمريكية الهادفة إلى استعادة دورها في قيادة العالم وفق «الدوكترين» التي أرسى أسسها الرئيس باراك أوباما ممثلاً أجهزة الدولة العميقة ومعبراً عن خيار الحزب الديمقراطي منذ العهد الأول لإدارته، وتتابع اليوم إدارة بايدن استكمالها. وترتكز هذه الاستراتيجية على تحقيق الأهداف التالية

– الخروج من الحروب المباشرة.

–إيلاء الأهمية للتنمية وتطوير الاقتصاد الأمريكي.

–فرملة تقدم الصين وإشغالها واستنزافها باعتبارها المنافس الاقتصادي الأول لها.

–تحجيم الدور الروسي عبر استنزافها أمنياً واقتصادياً وإعاقة تحالفها مع الصين.

–إحياء وتقوية الحلف الأطلسي.

من هذه الخلفية كان قرار إدارة أوباما بالانسحاب من العراق ومن ثم من أفغانستان واستكملت هذه الخطوة بمفاوضات مع حركة طالبان تابعتها أيضاً إدارة ترامب التي تبنت خيار الخروج من الحروب المباشرة، وتوجت بتوقيع اتفاق سلام مع حركة طالبان في الدوحة بتاريخ 29 شباط/فبراير 2020. وأعلنت إدارة بايدن تنفيذه باستكمال سحب جميع القوات العسكرية الأمريكية والأطلسية من أفغانستان قبل حلول 2021/9/11 أي قبل وقوع الذكرى العشرين لهجمات القاعدة على برجي التجارة في نيويورك. وبذلك تزعم الخطة، يتوقف بذل الأرواح الأمريكية في هذا الميدان والتي بلغت 2400 ضحية من الجنود والمدنيين الأمريكيين. وكذلك يتوقف الاستنزاف المادي لتغطية تلك الحرب والتي بلغت حوالي 2 تريليون دولا أمريكي.

إذاً، هل الانسحاب من أفغانستان هو وسيلة أم غاية في الخطة الأمريكية؟

يبدو أن الانسحاب من أفغانستان للوهلة الأولى بالنسبة للبعض يمثل تراجعاً للدور الأمريكي على المستوى العالمي، والأكثر أهمية بالنسبة لأمن الصين السياسي والاقتصادي التي تمثلها منطقة جنوب شرق آسيا، «تايوان وبحر الصين الجنوبي» . يقول موقع «يو أس نيوز» في تعليق على علاقة الصين بأفغانستان، إن الصين تعتبر أفغانستان بعد الانسحاب الأمريكي–الأطلسي منها «منطقة عمياء» في حملتها لقمع المتشددين في إقليم شينجيانغ المضطرب، الذي يُحد أفغانستان من شمال غرب البلاد وتعتبرها أيضاً عقبة محتملة أمام استثماراتها الاقتصادية في المنطقة. وعلى الرغم من القلق الصيني من أن تصبح أفغانستان ملاذاً آمناً للجماعات الصينية المتشددة بعد سيطرة طالبان والتي قدمت دائماً الدعم لمثل هذه الجماعات في شينجيانغ، إلا أنها أبدت انفتاحاً تجاه إقامة علاقات مع الحركة. شون روبرتس، الاستاذ في جامعة واشنطن الأمريكية، يعلق في صحيفة «واشنطن بوست» عن هذا الأمر قائلاً: أن طالبان قد تعد الصين بأنها لن تسمح لمسلحي الإيغور بمهاجمة المشاريع أو المؤسسات الصينية، لكن «السؤال الذي سيبقى هو ما إذا كان بإمكان طالبان السيطرة على كل فرد؟».

إن للصين مصالح اقتصادية في أفغانستان أكثر من روسيا، فالصين استثمرت مليارات الدولارات في تطوير بنى تحتية في باكستان المجاورة كمرساة لمشروع «الحزام والطريق» الذي استفاد من الوجود الأمريكي في أفغانستان. أما قرار الولايات المتحدة بالانسحاب من أفغانستان قد دفع خطط الإستثمارات الصينية في المنطقة إلى «حالة عدم اليقين» وأصبحت المشاريع الصينية معرضة لخطر انتشار العنف في أفغانستان.

بالنسبة لروسيا غني عن القول ما شاب العلاقات الروسية مع طالبان من قلاقل ونزاعات في حقبة الغزو السوفييتي لأفغانستان الذي استمر عشر سنوات في ثمانينات القرن الماضي. حيث تقول بورشفسكايا المحللة المختصة بالشأن الروسي، أن روسيا مهتمة في ملء الفراغ الذي تركته الولايات المتحدة، لكن الرئيس بوتين مهتم أكثر بالخطاب المعادي للولايات المتحدة أكثر من محاولة مواجهة الإرهاب، فطالبان مصنفة بالفعل منظمة إرهابية في روسيا، إلا أن هذا لم يمنعها من بناء علاقات معها. وبالتأكيد ما تريده موسكو هو منع انتقال حالة عدم الاستقرار في أفغانستان إلى آسيا الوسطى، وهي جزء من الاتحاد السوفييتي السابق وتعتبرها حديقتها الخلفية، وكذلك ألا تصبح أفغانستان نقطة انطلاق للجماعات الإسلامية المتشددة الأخرى، وإن كانت أفغانستان ليست تهديداً حدودياً مباشراً لروسيا لأنها لا تملك حدوداً مباشرة معها على خلاف الصين وإيران، لكن لروسيا مصلحة في استقرار الدول المحيطة بها في وسط آسيا وهي دول ضعيفة وهناك جماعات وفصائل قد تستغل الموقف، وهو ما تنظر إلى توظيفه في خدمة أهدافها الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة موسكو.

حالة الفوضى

ما هي إمكانية أن تصدّر أفغانستان عند دخولها في حالة الفوضى، المنظمات الإسلامية المتطرفة إلى بلدان الجوار في آسيا الوسطى والصين وإيران؟

من الأعراق آلتي يتكون منها المجتمع الأفغاني، العرق الطاجيكي، الأوزبكي، وعرق البلوش، وفي ظل الفوضى التي يمكن أن تنشأ أو قد تدفع اليها أمريكيا تحت حكم طالبان، من غير المستبعد أن تنتقل مجموعات طاجيكية إلى جمهورية طاجيكستان المازومة المجاورة وتحرك أتباعاً لها في هذه البلاد وتدفعهم للتأسيس إلى إمارة إسلامية طاجيكية على غرار إمارة أفغانستان، وتقوم أيضاً مجموعات العرق الأوزبكي في أفغانستان بالتسلل إلى جمهورية أوزباكستان وتدعو لإمارة إسلامية فيها، لو دبت الفوضى في البلدين يمكن أن تعمم على الجوار وبما في ذلك قد تمتد إلى إقليم القوقاز الروسي ذو الأكثرية الإسلامية في الشيشان وداغستان وأوسيتيا، وأيضا إلى الداخل الروسي حيث يوجد الكثير من المسلمين من أصل طاجيكي أو أوزبكي وكذلك التاتار الأمر الذي يهدد فعلياً وحدة الاتحاد الروسي خاصة إذا ما حصل تعاون أمريكي – تركي في هذا المجال.

القلق الروسي من مثل هذا الاحتمال والذي يضر بمصالح روسيا الاستراتيجية الجيوسياسية والاقتصادية هو ما دفع بالقيادة الروسية إلى اتخاذ القرار بالدخول إلى سوريا لإنقاذ النظام السوري من الإنهيار في مواجهة التيارات الإسلامية. وفي حقيقة الأمر أن دخول روسيا إلى سوريا لم يكن الهدف منه حماية النظام بقدر ما كان بدوافع المصالح الروسية البحتة والتي تتلخص بأمرين:

الأول، إفشال مد خط إنوب الغاز العربي من قطر عبر السعودية إلى الأردن فسوريا ولبنان إلى البحر المتوسط لتمويل أوروبا بالغاز القطري بدل الروسي وفي ذات الوقت منع مد الخط الفارسي من الأهواز في إيران عبر الحدود مع العراق إلى سوريا فلبنان فالبحر المتوسط كبديل أيضاً للغاز الروسي إلى أوروبا.

الثاني، هو منع تمدد الجماعات الإسلامية التي سيطرت على سوريا إلى آسيا الوسطى ومن ثم إلى شمال القوقاز الروسي وإلى قلب روسيا. ذات السيناريو هو ما يقلق روسيا اليوم من انتشار حالة الفوض في أفغانستان. وهو ما يقلق أيضاً الصين في تعجيرها من الداخل عبر دعم الإيغور وتعطيل إمدادات الطاقة اليها من بحر قزوين.

أما العرق البلوشي الأفغاني فله امتداده في باكستان وإيران، وهناك خشية إيرانية من احتمال تحريك البلوش الإيرانيين ودعوتهم للانفصال عن إيران وكذلك مطالبتهم مع بلوش باكستان وأفغانستان إلى قيام دولة بلوشستان، على غرار قضية الأكراد المنتشرين في تركيا وسوريا والعراق وإيران . وأخيراً هل ستولد الفوضى في أفغانستان والجوار الناجمة عن الانسحاب الأمريكي–الأطلسي منها وسيطرة طالبان على الحكم فيها تفجر النزاعات بين أعراقها فتؤمن الحجج والذرائع للدعوة إلى قيام حلف دولي من جديد يتموضع في تلك المنطقة وتقوده الولايات المتحدة لمواجهة تمدد الإرهاب في آسيا الوسطى وربما الشرق الأوسط من جديد، ما يعيد أمريكا مجدداً من شبابيك دول آسيا الوسطى بعد خروجها من الباب الأفغاني؟ الجواب الشافي سيكون في نتائج تطورات الأحداث في الأشهر المقبلة المتعلقة بالمشهد الأفغاني المعقد وتداعياته على اللاعبين الدوليين الكبار.

الصدام المقبل في أفغانستان
بين الولايات المتحدة كقوة إعاقة ضد الصين وروسيا

إبراهيم نوار

ترك الانسحاب العسكري الأمريكي من أفغانستان فراغا كبيرا، لكن القوتين الرئيسيتين في آسيا، روسيا والصين، ليست لدى أي منهما رغبة في ملء الفراغ العسكري، وهو ما سيترك تلك الساحة مفتوحة لصراعات محتملة بين طالبان وخصومها، خصوصا بقايا تحالف الشمال، والتكوينات الممثلة للطاجيك والأوزبك والهزارة الأفغان. وطبقا للتقديرات الصادرة عن وزارة الخارجية في كل من موسكو وبكين، فإن البلدين معنيان بتشجيع طالبان على إقرار الأمن وخلق حالة استقرار وتشكيل حكومة إسلامية جامعة معتدلة، واحترام المعايير العالمية للعلاقات بين الدول، ومنع استخدام أراضي أفغانستان لشن هجمات إرهابية على الدول الأخرى. طالبان تعلن أنها تغيرت، كما أن أفغانستان بعد عشرين عاما من الوجود الأمريكي تغيرت أيضا. العالم نفسه تغير خلال السنوات العشرين الماضية، ومن الغباء عدم أخذ ذلك كله في الاعتبار.

وليس من مصلحة دول الجوار لأفغانستان نشوب صراع عسكري مسلح بين الفصائل الأفغانية يفضي إلى حرب أهلية تتسبب موجة جديدة من اللاجئين عبر الحدود، وإثارة القلاقل في جنوب ووسط آسيا. لكن تحقيق ذلك سيتوقف على مدى ادراك أهمية تحقيق الأمن والاستقرار لدى قيادات طالبان، وحكومات الدول المجاورة، خصوصا إيران وباكستان والهند، التي تتنافس بقوة على النفوذ في أفغانستان، ضمن لعبة إقليمية ذات امتدادات أوسع. ومع أن طالبان سعت خلال السنوات الأخيرة إلى الانفتاح على القوى الإقليمية الرئيسية باستثناء الهند، ووعدت بإقامة نظام لا يسمح باستخدام أراضيها لشن هجمات إرهابية على الآخرين، والتخلي عن التطرف، والاهتمام ببناء مجتمع على أساس القيم الإسلامية المعتدلة، يحترم حق المرأة في العمل والتعليم، فإن العالم كله يكاد يجمع على عدم الاعتراف بالحكومة التي ستشكلها طالبان إلا بعد اختبار سلوكها الفعلي، وليس على أساس التصريحات التي أطلقتها، والوعود التي تعهدت بها في مفاوضات الدوحة، وأعلنت الالتزام بها في لقاءات رسمية على مستويات مختلفة مع مسؤولين صينيين وروس، من أهمها اللقاء الذي تم بين وزير الخارجية الصيني ووفد من طالبان برئاسة الملا عبد الغني برادر رئيس المجلس السياسي لطالبان في أواخر الشهر الماضي. التزام طالبان بهذه الوعود والتصريحات سيقلل احتمال لجوء أطراف إقليمية لاحتضان جماعات محلية ترغب في التمرد على طالبان لأسباب طائفية أو عرقية أو سياسية. أما إذا تراجعت طالبان عن وعودها ومضت في تطبيق سياسة مخالفة، فإن ذلك سيفتح أبواب جحيم الحرب الأهلية الدامية في أفغانستان من جديد.

تقدم الصين

اللعبة الكبرى في منطقة جنوب ووسط آسيا هي بين الولايات المتحدة والصين وروسيا. المصلحة الرئيسية للولايات المتحدة في هذه اللعبة هي إعاقة تقدم المنطقة بأكملها لتحقيق مصالحها بإعاقة كل من الصين وروسيا. وبينما تستخدم روسيا البوابة الهندية أيضا لتعزيز حظوظها في المنافسة مع الصين، فإن الصين في المقابل عززت نفوذها في إيران بتوقيع اتفاقية للشراكة الاستراتيجية والتعاون الاقتصادي.

وزير الخارجية الصيني في لقاء الموفد السياسي لطالبان

الاستقرار والتكامل

تقع أفغانستان جغرافيا وسط هذه المعمعة من الصراعات والتنافسات وفرص التعاون، وهي ترتبط بحدود مشتركة مع باكستان وإيران والصين، كما تشترك في الحدود مع ثلاث دول حليفة لروسيا في منظمة الأمن الجماعي لمنطقة أوراسيا، هي طاجيكستان وتركمانستان وأوزبكستان، وهي المنظمة التي لها أيضا جناح اقتصادي يضم روسيا وأرمينيا وروسيا البيضاء، وكازاخستان وقيرغستان. وقد حاولت الولايات المتحدة فصل أفغانستان عن منطقة النفوذ الروسي، بتشجيعها على توقيع اتفاقية شراكة استراتيجية وتعاون اقتصادي مع الهند. ولذلك فإن أهمية أفغانستان تتزايد كلما زادت حدة الصراع والتنافس الثلاثي بين القوى الرئيسية الكبرى، وذلك لأنها تمثل مركز الاتصال البري بين كل من الصين والهند وإيران وباكستان وروسيا. ومن هذه الزاوية فإن روسيا تعتبر المستفيد الأكبر من انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان، خصوصا إذا عمدت طالبان إلى إلغاء اتفاقية الشراكة الاستراتيجية والتعاون العسكري والأمني مع الولايات المتحدة.

المشروع الصيني

تتبنى الصين مشروعا طموحا، وذلك في إطار سعيها لأن تصبح القوة الرئيسية الأولى في العالم قبل منتصف القرن الحالي. وتحتل أفغانستان تحتل مكانة متميزة داخل المشروع الصيني، كونها تمثل عقدة الاتصال البري مع دول جنوب وغرب ووسط آسيا. وعلى الرغم من أن الشركات الصينية حصلت على امتيازات كبيرة في أفغانستان منذ العام 2007 للاستثمار في استخراج النحاس والنفط والغاز، إلا أنها لم تنفذ استثمارات مهمة هناك، نظرا لانعدام الأمن وعدم الاستقرار. ولذلك فإن من مصلحة الصين أن تتمتع أفغانستان بالحد الضروري من الأمن، بما يسمح للشركات الصينية بتنفيذ استثمارات ضخمة لتنمية البنية الأساسية وقطاعات الإنتاج المختلفة من الزراعة إلى التعدين والنفط والغاز، ومد شبكات خطوط أنابيب لنقل البترول والغاز والطرق والسكك الحديد، واستثمار الثروة الهائلة التي تتمتع بها أفغانستان في وفرة النحاس وخام الليثوم والمعادن النادرة. لكن الصين وروسيا لن تتورطا عسكريا لتحقيق مكاسب اقتصادية، ولن تتعجلا أمر تحقيق هذه المكاسب.

الصين، ووقف محاولة روسيا استعادة نفوذها السابق في وسط آسيا، وهو ما يمكن أن ينعكس سلبا على أفغانستان، من خلال توسع واشنطن في استخدام أسلحة العقوبات، والحصار الدبلوماسي، والضغوط المستمرة. وقد خطت واشنطن فعلا ثلاث خطوات في هذا الاتجاه، بقصد إضعاف طالبان، قبل اختبار سلوكها الفعلي على الأرض. الخطوة الأولى تمثلت في إعداد وثيقة تدعو لعدم الاعتراف بحكومة طالبان على أساس ثنائي، جمعت عليها توقيعات 70 دولة منها بريطانيا وفرنسا وألمانيا واليابان وكوريا، ولم توقع عليها الصين أو روسيا. الخطوة الثانية هي تقييد حصول حكومة طالبان على أرصدة البنك المركزي الأفغاني الموجودة في الولايات المتحدة، وتقدر بنحو 10مليارات دولار. أما الخطوة الثالثة فهي الضغط على صندوق النقد الدولي لوقف برنامج المساعدات لكابول وتجميد حصتها الإضافية في حقوق السحب الخاصة التي تبلغ 440 مليون دولار.

هذا الموقف الانتقامي سيصيب الشعب الأفغاني بالأذى ولن يصيب طالبان، وسيزيد ذلك من حدة التأثير السلبي على الاقتصاد لتوقف انفاق القوات الأجنبية، وهروب الأموال من أفغانستان. وعلى العكس من الولايات المتحدة، فإن مصلحة الصين وروسيا تلتقي في تنمية المنطقة واستقرارها، والامتناع عن اتخاذ مواقف مسبقة، مع قبول الانفتاح على طالبان، في حال التزمت بشروط تحقيق الأمن والسلام، وهو ما يتيح للأفغان فرصة للتنفس، وإعادة البناء.

وعلى ضوء ذلك فمن المرجح أن تصبح الولايات المتحدة «قوة إعاقة سلبية» في منطقة جنوب ووسط آسيا، تهتم بعرقلة تقدم المنطقة اقتصاديا وحضاريا، لأن استقرارها وتقدمها سيعزز مصالح الصين وروسيا، اللتين تعتبرهما استراتيجية الأمن القومي الأمريكية، أخطر خصومها في العالم.

أما الصين وروسيا، فإن كلا منهما ستكون «قوة دفع إيجابي» لأن مصالحهما تتعزز باستقرار وتقدم المنطقة، التي تتميز باتصالها الجغرافي وثراء مواردها، ولكنها تعاني من نقص حاد في البنية الأساسية الإقليمية والمحلية. ولذلك فليس من الغريب أن يكون لكل من الدولتين مشروعا كبيرا للتنمية في المنطقة. الصين لديها مشروع الحزام والطريق، الذي يقوم على أحياء طريق الحرير القديم وتطويره، في حين تمتلك روسيا مشروع محور الشمال – الجنوب الذي يربط منطقة بحر البلطيق والدول الاسكندنافية شمالا بالخليج الهندي جنوبا، مرورا بروسيا ودول وسط غرب وجنوب آسيا.

اللعبة الإقليمية

إلى جانب النهج الأمريكي المعادي لكل من الصين وروسيا، والنمط التنافسي في العلاقات بين روسيا والصين، تتضمن خريطة التوازنات في المنطقة لعبة أخرى أصغر بين باكستان وايران والهند، تتفاعل فيها عوامل عرقية وطائفية وسياسية، كما تتقاطع فيها مصالح أطراف اللعبة الكبرى في المنطقة، حيث ترتبط الصين بباكستان، وترتبط روسيا بإيران، في حين تستخدم الولايات المتحدة ورقة الأكراد في العراق وسوريا، وتستخدم تركيا ورقة الإخوان المسلمين في سوريا، وتستخدم السعودية ورقة الوهابية في كل من باكستان وأفغانستان، وتستخدم إيران ورقة الشيعة في العراق وأفغانستان، وتستخدم باكستان ورقة طالبان في أفغانستان.

أفغانستان ساحة صراع مفتوحة لتحقيق طموح إيران

نوري آل حمزة

لا نقاش في اجتياح طالبان وسيطرتها على أفغانستان بدعم إيراني واضح، حيث سبق ومولت طهران حركة طالبان طيلة السنين الماضية، كما مولت لواء فاطميون الذي يتألف من محاربي قومية الهزارة الشيعية واستخدمت هؤلاء في حروبها في سوريا.

وحاولت إيران مساعدة طالبان في تمهيد الرأي العام العالمي لعودة هذا التنظيم إلى سدة الحكم حيث قال جواد ظريف أثناء زيارته الهند في حزيران/يونيو 2019 أن لا مستقبل لأفغانستان من دون طالبان. وأستطرد الدبلوماسي الإيراني أنه التقى بقيادات طالبان في العاصمة الروسية موسكو. كما طمأن ظريف نظيره الهندي بنفس الوقت باستخدام نفوذ إيران على طالبان بغية تسهيل معاملات التجار الهنود والحفاظ على الأقلية السيخية في أفغانستان.

وفتحت طهران أبوابها على طالبان وسمحت لهم بتأسيس مكاتب سياسية في مدينة زاهدان عاصمة إقليم بلوشستان إيران وكذلك في مدينة مشهد وطهران عاصمة البلاد. وخصصت لعوائل قيادات طالبان عشرين شقة سكنية في طهران وعشرين شقة في مشهد وكذلك مساكن في مدينة زاهدان، حسب مصادر إيرانية معارضة. وهكذا استقر العديد من قيادات طالبان في طهران ومدن حدودية أخرى. كما نعت طالبان مقتل قاسم سليماني ووصفته بـ «الشهيد».

وفي المقابل نرى أن سلوك إيران ينعكس اليوم بشكل سلبي عليها، حيث يرى المواطن الأفغانستاني أن سلوك طهران لا يختلف كثيرا عن سلوك إسلام أباد في أفغانستان، بل أكثر من ذلك خطورة حيث حاولت قوات القدس التابعة لحرس الثورة الإيراني، خلال السنوات الماضية أن تشعل فتيل الحرب ما بين طالبان والهزارة الشيعة كي تمهد لحضور حرس الثورة بثياب لواء فاطميون وبحجة حماية الشيعة الهزارة، هادفة إلى تمكين لواء فاطميون ودعمه في تشكيل دويلة شيعية تسيطر على مقدرات السياسة في أفغانستان، على شاكلة ما عملته مع الحوثي في اليمن، إلا أن مخططها فشل نتيجة عوامل عدة من ضمنها الهيمنة الطبيعية لأهل السنة وكثرتهم في البلاد.

طالبان الشريك المناسب لإيران

وبالرغم من صدامات إيران وطالبان في أكثر من محطة خلال العقدين الماضيين، إلا أن طهران قررت أن تكشف عن نقابها في أفغانستان وتتعامل مع طالبان من دون تحفظ. وإذا ما قرأنا سُلم أولويات السياسة الخارجية الإيرانية نرى أن طهران تقدم سياسة «الحفاظ على نظام ولي الفقيه على سدة الحكم» كأولى أولوياتها. إلى ذلك ترى طهران في طالبان الشريك المناسب الذي ممكن أن تحتويه عبر تأمين حاجات طالبان الاقتصادية وتكون له جسرا اقتصاديا بجانب الدول الأخرى الجارة لأفغانستان والتي ستتعامل مع طالبان لاحقًا، محاولة استنساخ تجربة تعامل الصين مع كوريا الشمالية أو تجربة تعامل تركيا مع قبرص الشمالية، أو خلق نموذج يتوافق وسياساتها كي تستخدم هذه القوة التقليدية، أي حركة طالبان، وتستخدم أرض أفغانستان لتوسيع مساحتها الأمنية، خاصة أن السيكولوجيا والنشأة السوسيولوجية لمعظم عناصر طالبان تتوافق لحد كبير مع تطلعات إيران في أمنة الأمور، أي صناعة أجواء بوليسية في أفغانستان تخدم مصالح طالبان ومصالح حكومة ولي الفقيه في طهران.

وتعرف إيران جيدًا أن لا نفوذ لها عقائديا على البشتون والسيطرة العقائدية، ولكن لا شك أن إيران مرتاحة إلى حد كبير بخروج أمريكا من أفغانستان، وكذلك عودة طالبان تساعد طهران في حلحلة المشاكل المائية فيما يتعلق بفتح مسار أنهار هريرود وهيرمند، وهما يدخلان من أرض أفغانستان إلى حدود إيران ويسقيان المدن الإيرانية في جنوب شرق البلاد، حيث تعاني إيران شحة المياه في مدنها الشرقية المطلة على حدود أفغانستان، خاصة بعد ما بنى الأفغان «سد كمال خان» على نهر هيرمند، وقال في وقتها أشرف غني الرئيس الهارب: الماء قبالة النقط وعلى إيران أن أرادت الماء أن تقدم لنا نفط مجانًا.

دولة هشة

ولكن لسد فراغ سيطرتها العقائدية على طالبان سمحت طهران لأحد زعماء أهل السنة والجماعة في إيران، المولوي عبد الحميد خطيب الجمعة لدى أهل السنة في مدينة زاهدان جنوب شرقي إيران، والذي إقليمه يعاني معاناة شديدة من شحة المياه، أن يهنأ حركة طالبان الأفغانستانية على «انتصارها الكبير» واصفًا إعلان «العفو العام» من قبل مسؤولي الحركة ووقوفهم على أبواب كابول ومنع إراقة الدماء في أفغانستان بأنه «جدير بالثناء».

إلى هذا أصبح من الواضح أن أحد الأسباب الرئيسية لدعم إيران لطالبان هو حاجة إيران لتدفق المياه عبر الحدود. والسبب الهام الآخر هو أن إيران تريد أن تجعل من أفغانستان دولة هشة أكثر مما كانت عليه في عهد أشرف غني حيث هشاشة الدولة الأفغانية تسمح لتمددها وسيطرتها على أرض أفغانستان وتمكين مواليها ومقارعة تركيا والدول السنية الأخرى هناك، بموازاة أمنة الأمور في هذا البلد.

وبما أن لدى إيران حضور في منطقة هلمند، وخاصة هلمند الأعلى، حيث تعيش قبائل عليزايي ونورزايي وغيرها، يعني هذا أن لديها السيطرة على سلسلة من قنوات السدود التي بنتها الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في الخمسينيات والسبعينيات من القرن الماضي، أي السيطرة على نهر هيرمند الذي يصب من أفغانستان نحو منطقة سيستان وبلوشستان في إيران ويسقي حوالي مليون شخص.

ويؤكد ضابط بريطاني كان مقيما في المنطقة ذاتها يدعى مايك مارتن في حديث مع نشرة «فورين بوليسي» أن دعم إيران للجماعات المسلحة داخل أفغانستان يختلف من المال إلى الأسلحة وتزويد طرق المخدرات، وأنه على مدار العقد الماضي على الأقل، كانت المياه مصلحة وطنية حيوية للحكومة الإيرانية. وبينما يزيد التوتر في أفغانستان عن أربعين عامًا، يؤكد مارتين حول خروج أمريكا من أفغانستان، أن الأمن القومي أولوية أمريكية وإلى ذلك غادرت الولايات المتحدة أفغانستان للتركيز على قضايا أخرى، مثل الصين على وجه الخصوص. ولقد توصلت الولايات المتحدة إلى استنتاج مفاده أنه لا ينبغي تخصيص المزيد من الموارد العسكرية والمالية لأفغانستان، حيث لم تعد أولوية للولايات المتحدة.

ويكمل مارتين أن أفغانستان أصبحت مركز القوة لدول مختلفة، وينهي حديثه أن هذه التوترات والحروب ستستمر خلال السنوات الثماني المقبلة على الأقل.

إن سير الأحداث في أفغانستان خلال العقود الخمسة الماضية ووضع البلد خلال هذه الأيام يؤكد أن البلاد ستبقى ساحة صراع واسعة، قد تحقق إيران منها مصالح أمنية، يستحيل تحقيقها في ظل تواجد حكومة وطنية رشيدة في كابول.

تدفق اللاجئين الأفغان إلى تركيا: اتهامات وجدل سياسي متصاعد

إسطنبول-«القدس العربي»: إسماعيل جمال

مع التطورات المتسارعة في أفغانستان وسيطرة حركة طالبان على عموم البلاد بما فيها العاصمة كابول تسارع تدفق اللاجئين الأفغان على الأراضي التركية لتصل أعدادهم إلى آلاف يومياً في مشهد فجر غضباً شعبياً كبيراً وجدلاً سياسياً حاداً تمحور حول ما إن كان الرئيس التركي رجب طيب اردوغان قد عقد «اتفاقاً سرياً» مع نظيره الأمريكي جو بايدن في اللقاء الذي جمعهما على هامش قمة الناتو في بروكسل حزيران/يونيو الماضي.

المعارضة التركية بتوجهاتها المختلفة بدأت منذ أسابيع حملة واسعة للتحذير من خطر تزايد أعداد اللاجئين الأفغان الذين يصلون إلى الأراضي التركية بشكل متسارع وكبير جداً، ووجهت اتهامات للحكومة التركية بالتراخي في اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع وصول الأفغان الذي يعبرون إلى تركيا من الأراضي الإيرانية قبل أن تتهم اردوغان بعقد اتفاق سري مع بايدن لقبول أعداد كبيرة من اللاجئين الأفغان وبدأت حملة كبيرة لمطالبة الرئيس بـ«الكشف عن تفاصيل الاتفاق للشعب التركي».

وكان اردوغان وبايدن قد التقيا لأول مرة منذ وصول الأخير إلى البيت الأبيض على هامش قمة الناتو التي عقدت في بروكسل حزيران/يونيو الماضي وجرى خلال القمة بحث العديد من الملفات كان أبرزها الملف الأفغاني وعرض أنقرة تولي مهمة إدارة كابول عقب انسحاب قوات الناتو من أفغانستان، حيث تعتقد المعارضة أن اللقاء الذي جرى بشكل ثنائي قد جرى خلاله عقد اتفاق سري حول أفغانستان.

كمال كليتشدار أوغلو زعيم حزب الشعب الجمهوري أكبر أحزاب المعارضة التركية وجه اتهامات متكررة لاردوغان بالقبول بعبور اللاجئين الأفغان إلى تركيا بموجب اتفاق سري مع بايدن، مشدداً على أن «تركيا ليست مخزن لاجئين» وأنه «ليس من حق اردوغان التوقيع على هكذا اتفاقيات سرية بدون العودة لمؤسسات الدولة والشعب» على حد تعبيره، وهي نفس الاتهامات التي كررها العديد من القيادات في أحزاب المعارضة المختلفة.

وكتب كليتشدار أوغلو عبر تويتر: «لن نترك جنودنا ضحية لحماية المكان الذي فر منه الآخرون دون أن يلتفتون خلفهم، لا توجد أي قيمة للوعود التي تقدم بشكل شخصي من تحت الطاولة (في إشارة لاتهامه لاردوغان بالتوصل لاتفاق غير معلن مع بايدن). أخاطب السلطة اسحبوا فوراً جنودنا وبعثتنا الدبلوماسية من أفغانستان، جيشنا يخدم مصالح أمتنا فقط» وأضاف في تغريدة أخرى: «أخاطب شعبنا، ندخل حقبة جديدة، الغرب الذي يُقدر خطر الهجرة سيحاول الجلوس مع اردوغان، سيعمل الغرب كثيراً لنجاح اردوغان في الانتخابات المقبلة، لن نسمح بذلك، قبيل التفاوض يجب الحصول على تفويض من الشعب، لنذهب إلى الصندوق (صندوق الانتخابات)» في دعوة جديدة للانتخابات المبكرة التي تطالب بها المعارضة.

اردوغان وفي لقاء تلفزيوني عقب على هذه الاتهامات بالقول إنها «مجرد أكاذيب» ووصف زعيم المعارضة بـ«الكذاب» معتبراً أن المدعي يتوجب عليه تقديم الأدلة لإثبات ما يقول وإذا لم يتمكن فعليه الاعتذار، مشدداً على أن أعداد اللاجئين الأفغان في تركيا ليس 1.5 مليون كما تقول المعارضة وأن عددهم الحقيقي قرابة 300 ألف. كما نفى وزير الخارجية مولود جاوش أوغلو اتهامات المعارضة مشيراً إلى أنه لم يطلب من تركيا استضافة لاجئين أفغانا وأنه لو طلب ذلك فإن تركيا لن توافق.

ومع تصاعد الجدل ووصوله إلى مستويات متقدمة، تدخلت الإدارة الأمريكية لتنفي من خلال بيان لسفارتها في أنقرة وجود اتفاق بشأن اللاجئين والمهاجرين الأفغان، وكتبت السفارة عبر تويتر: «ما يُشاع من مزاعم حول حدوث اتفاق بين الرئيس جو بايدن ونظيره التركي رجب طيب اردوغان بشأن اللاجئين والمهاجرين الأفغان، عارية عن الصحة تماما».

اتهامات المعارضة

وفي 4 آب/اغسطس الجاري، أعربت تركيا عن رفضها تنفيذ برنامج الولايات المتحدة الخاص بنقل لاجئين أفغان إلى أراضيها عبر دول أخرى، في إطار ما يعرف باسم «برنامج قبول المهاجرين للأفغان العاملين في الولايات المتحدة وعائلاتهم» الذي أعلنته واشنطن من قبل، وعقب رد تركي غاضب أصدرت الخارجية الأمريكية توضيحاً نفى التنسيق مع تركيا أو قبولها المشاركة في البرنامج.

وأخذ الجدل حول لقاء اردوغان بعداً جديداً مع تركيز المعارضة على خطوة اردوغان باصطحاب مترجمة خاصة في اللقاء من غير العاملين في وزارة الخارجية، وهي الشابة فاطمة قاوقجي ابنة مروة قاوقجي التي تصنف في تركيا على انها أول نائبة محجبة في البرلمان التركي، معتبرين أن ذلك «دليل على أن اردوغان عقد اتفاقاً سرياً مع بايدن لم يرغب في أن يكون مقيداً في سجلات وزارة الخارجية.

ورد اردوغان بغضب على اتهامات المعارضة، وقال في لقاء تلفزيوني: «تركوا كل شيء ولا يتحدثون إلا عن المترجمة.. يقولون لا يوجد ممثل لوزارة الخارجية في اللقاء، هل يجب أن يكون ممثل للخارجية، أنا موجود، الخارجية مرتبطة بالرئاسة وأنا الرئيس» فيما ردت ميرال اقشينار زعيمة حزب الجيد على كلام اردوغان بالقول: «سيد اردوغان اسألك، ماذا تحدثت مع بايدن؟ من أعطاك الحق للقيام بهذا التغيير الديموغرافي؟ هذه الدولة ليست عبارة عن شخص» معتبرة اصطحاب مترجمة «شابة صغيرة ليست من موظفي الخارجية» خطراً على أمن واعتبار الدولة.

وتقول الحكومة التركية إنها تقوم بكل الإجراءات اللازمة لوقف تدفق اللاجئين الأفغان إلى الأراضي التركية، حيث تتواصل أعمال بناء جدار حدودي على طول أكثر من 300 كيلومتر على الحدود التركية الإيرانية وسط تشديد لإجراءات المراقبة براً وجواً إلى جانب المراقبة البحرية في بحيرة فان التي يتخذها المهربون ممراً لإدخال اللاجئين الأفغان للأراضي التركية.

وعلى الصعيد السياسي، بدأت تركيا حملة اتصالات ولقاءات مع العديد من الأطراف الدولية لبحث الملف وجرت اتصالات على مستويات مختلفة لاسيما مع واشنطن وموسكو إلى جانب الناتو والاتحاد الأوروبي، كما جرى اتصال هاتفي بين اردوغان ورئيس الوزراء اليوناني لبحث الجهود المشتركة لمواجهة موجة الهجرة القادمة من أفغانستان.

والخميس، أشار اردوغان إلى إمكانية تواصل أنقرة مع الحكومة التي ستشكلها حركة طالبان في أفغانستان، بغية تحقيق الأمن والاستقرار في ذلك البلد. وقال: «غايتنا الأساسية تحقيق الأمن والاستقرار في أفغانستان، ولأجل ذلك سنتواصل مع الحكومة التي ستشكلها طالبان إن استدعى الأمر ذلك» مشدداً على أن «تركيا ليست بلدا يمر منه كل من هب ودب» مضيفا: «تركيا ليست مضطرة وغير مسؤولة أو موكلة لتكون مستودعًا للاجئين من أجل فائدة أوروبا».

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10362 الأحد 22 آب (اغسطس) 2021 – 14 محرم 1443 هـ

أوروبا في مواجهة تحديات سقوط كابول

أفغان مهاجرون

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

رسمت سرعة سقوط أفغانستان وعاصمتها كابول في أيدي طالبان ملامح من الكوابيس والمخاوف لدى الدول الـ27 الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، الذي اعتبر المنسق العام لسياسته الخارجية جوزيب بوريل أن سيطرة طالبان على السلطة في كابول تمثل «أهمّ حدث جيوسياسي» بالنسبة للأوروبيين منذ أزمة القرم مع روسيا قبل نحو سبعة أعوام.

مع سعي آلاف الأفغان المذعورين للمغادرة خوفا من العودة إلى الواقع الذي كانت الحركة تفرضه خلال فترة حكمها للبلاد التي انتهت قبل 20 عاما، فرضت مسألة الهجرة نفسها كأولوية على جدول أعمال الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، التي تواجه حالة من التعارض فيما بين هدفين مختلفين تماماً: أولهما إنسانيٌّ– أخلاقيٌّ، يتعلق بتوفير اللّجوء لأشد فئات السّكان ضعفاً. أما الثاني فهو سياسي بامتياز، ويتعلق بتجنب تكرار سيناريو العام 2015 حين تسببت الحرب السورية في تدفق هائل للمهاجرين إلى دول الاتحاد الأوروبي، قادت لاحقاً إلى أزمة سياسية كبيرة في أوروبا، وصعود اليمين المتطرف في بعض البلدان.

مفوضة الشؤون الداخلية في الاتحاد الأوروبي ايلفا جوهانسون، دعت إلى استقبال الأفغان المعرّضين لـ«تهديد وشيك» بمن فيهم الصحافيون الأفغان الذين عملوا من أجل «احترام الحقوق الأساسية»، وشددت أيضا على أنه «من الضروري أيضا مراعاة البعد الجنساني بغية مساعدة النساء والفتيات» وذلك في ختام قمة طارئة عبر الفيديو لوزراء الداخلية الأوروبيين خُصصت لبحث التطورات في أفغانستان. واعتبرت المسؤولة الأوروبية أن الأمر يتعلق باحترام «النهج الكامل والمتوازن» للميثاق الأوروبي الجديد حول الهجرة واللجوء الذي قدمته المفوضية مؤخراً من أجل إصلاح النظام الحالي.

وفي ألمانيا، بدت المستشارة انغيلا ميركل أكثر حذراً، بعد أن أثار قرارها بفتح المجال في عام 2015 لدخول أكثر من مليون طالب لجوء قادمين خاصة من سوريا، جدلاً واسعاً، وساهم في تنامي اليمين المتطرف في البلاد. هذه المرة، أبدت «ماما ميركل» كما وصفها طالبو لجوء قبل ستة أعوام، انفتاحها على «استقبال منظم» للاجئين الأفغان الأكثر عرضة لمخاطر نظام طالبان» مشددة على ضرورة أن ينصبّ التركيزُ في مرحلة أولى على إيجاد حلول إقليمية بغية استقبال هؤلاء اللاجئين الأفغان في الدول المجاورة لبلدهم. وأكدت المستشارة الألمانية أن التباين في المواقف وغياب سياسة أوروبية موحدة للهجرة «يشكّل نقطة ضعف بالنسبة للاتحاد الأوروبي».

أما في باريس، فكان الرئيسُ الفرنسي إيمانويل ماكرون أول المحذرين من موجة هجرة جديدة من أفغانستان، معلناً عن مبادرة بالتنسيق مع ألمانيا ودول أوروبية أخرى لـ«بلورة ردّ صلب ومنسق وموحد للحؤول دون موجات هجرة واسعة من أفغانستان». وهو ما فتح عليه بات الانتقادات داخل فرنسا، حيث اتهمته شخصيات يسارية بـ«إثارة اللّبس بين الهجرة غير النّظامية واللجوء». وذهبت شخصياتٌ أخرى إلى وصف تحذير الرئيس الفرنسي من موجة هجرة أفغانية بـ«المخزية».

ورفضت النّمسا استقبال أي لاجئين جدد من أفغانستان، إذ اعتبر وزير داخليتها كارل نيهامر، في حديث لصحيفة «فيلت» الألمانية، أنّ الوضع في أفغانستان لا يدعو إلى القدوم إلى النمسا، داعيا الدول المجاورة لأفغانستان إلى ضمان الحماية في المنطقة.

كما دعت الحكومة النمساوية الاتحاد الأوروبي إلى إقامة مراكز في الدول المجاورة لأفغانستان لاحتجاز الأفغان المطرودين من أوروبا. في حين، أعلنت الحكومة اليونانية أنّها قد تُعيد المهاجرين الأفغان الذين يصلون لشواطئها إلى تركيا، باعتبارها «دولة آمنة» للمهاجرين.

كابوس الإرهاب والمهاجرين

بالإضافة إلى ذلك، يخشى الأوروبيون من أن تستغل الدول المجاورة لأفغانستان، لا سميا تركيا وإيران، ورقة المهاجرين للضغط والمساومة، كما هو حاصل حالياً بين الاتحاد الأوروبي وأنقرة فيما يخص المهاجرين السوريين خاصة. في هذا الصدد، حثّ الرئيس التركي رجب طيب اردوغان الدول الأوروبية على تحمل المسؤولية إزاء المهاجرين القادمين من أفغانستان، مشددا على أن بلاده ليست «مخزن المهاجرين في أوروبا».

علاوة على المخاوف بشأن موجة هجرة جديدة إلى أوروبا، يخشى الأوروبيون من أن تصبح أفغانستان ملاذاً للإرهاب بعد سيطرة حركة طالبان عليها. وهذا ما حذر من مغبته الرئيسُ الفرنسي، مشددا على ضرورة ألا تصبح أفغانستان مجددا «معقلاً للإرهاب» ومنبعاً إلى أن «هناك مجموعات إرهابية في هذا البلد، يستسعى إلى استغلال انعدام الاستقرار». ولتفادي هذا السيناريو، قال منسق الشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل، إن حركة طالبان انتصرت في الحرب، وسيكون على الأوروبيين التحدث إليها، من اجل إقامة حوار في أقرب وقتٍ لتفادي كارثة إنسانية ومنع عودة الإرهاب إلى أفغانستان.

ومع ذلك، شدد بوريل على أنّ التحدثَ إلى طالبان لا يعني بالضّرورة اعترافاً رسمياً بنظامها. وهو اعترافٌ حدد وزير الخارجية الفرنسي جان–إيف لودريان إنه مرهون بتقيّد الحركة بخمسة شروط مسبقة، بما في ذلك السماح بخروج الأفغان الذين يريدون مغادرة هذا البلد لأنهم خائفون، والحؤول دون أن تصبح أفغانستان ملاذاً للإرهاب، وتشكيل حكومة انتقالية. غير أن كاتب الدولة الفرنسية للشؤون الأوروبية كليمان بون أكد بعد ذلك على أن فرنسا لن «تعترف» بنظام حركة طالبان و«لن تتفاهن» معه متمنيا «مواصلة المسار السياسي» الذي كان قائما.

يخشى الأوربيون، أيضاً، من أن يُلهم انتصار طالبان المجموعات المسلحة في منطقة الساحل الأفريقي، لاسيما فرنسا، التي تستعد لانتهاء عملية «برخان» العسكرية الفرنسية (تضم أكثر من 5 آلاف جندي فرنسي) لمكافحة الجهاديين في هذه المنطقة. وانتصار طالبان وسيطرتها الدراماتيكية على أفغانستان، أيقظ لدى بعض المواطنين في جمهورية مالي شبح سقوط عاصمتهم باماكو، مع الانسحاب الجزئي لفرنسا منها ويتذكر هؤلاء سيناريو عام 2013 حين اقترب الجهاديون من العاصمة باماكو، قبل أن يتدخل الجيش الفرنسي (عملية «سرفال» تحولت بعد ذلك إلى «بَرخان») ويلجم تقدمهم.

في هذا السياق، قالت صحيفة «لوموند» الفرنسية في مقال لها هذا الأسبوع تحت عنوان: صدى انتصار طالبان يتردد في منطقة السّاحل» إنه إذا كان العداء يتزايد لدى الرأي العام المالي تجاه القوات الفرنسية، فإن هناك خشية من المجهول في حال مغادرة هذه القوات.

Volume 33 - Issue 10362 Sunday 22 August 2021

من سايغون إلى كابول: لم تتعلم أمريكا من دروس الهزيمة ولا عزاء للأفغان الذين وثقوا بها فسلمتهم لطالبان

إبراهيم درويش

إلى أين تتجه أفغانستان بعد انتصار طالبان في الحرب التي استمرت عقدين في البلد مع القوات الأمريكية والغربية المتحالفة معها؟ وما هي خطة حركة طالبان لتحقيق الاستقرار في البلاد وإنهاء حرب أهلية امتدت على أربعة عقود؟

وفي ظل الانتصار الحاسم والسريع لطالبان وانهيار الحكومة الأفغانية وتفكك الجيش الذي أنفقت عليه الولايات المتحدة مليارات الدولارات هناك القليل مما يمكن الحديث عنه الآن.

ووسط صور الجموع الراغبة بالهروب من حكم طالبان، لا أحد في العالم الغربي يهتم بوجهة طالبان واستقرار أفغانستان التي عانى شعبها على مدى العقود الماضية. وما تسمعه اليوم من تصريحات الرئيس الأمريكي جوزيف بايدن هو التأكيد على عملية إجلاء كل الأمريكيين والمتعاونين الأفغان معهم، بمن فيهم العائلات. ويحاول الرئيس الأمريكي الذي فوجئ وأركان إدارته بسرعة ذوبان القوات الأفغانية وفرار الرئيس أشرف غني وحسم طالبان المعركة في مدى 10 أيام التعامل مع تداعيات الأزمة، بالسيطرة على مطار كابول وإرسال أكثر من خمسة آلاف جندي وتكثيف الرحلات الجوية على أمل الانتهاء من المهمة ونسيان الرأي العام مشاهد الفوضى في مطار كابول، والتي أعادت للأذهان صورا أخرى عاشتها أمريكا بعد هزيمتها فيتنام عام 1975. فرغم استبعاد الرئيس نفسه سيناريو سايغون إلا إنه حدث بالفعل، وكان نتاجا لأخطاء متراكمة في عملية الغزو الأمريكي لأفغانستان في 2001 انتقاما لهجمات 11/9 وتوابع الغزو الذي أنتج ثلاث حروب أخرى فاشلة في العراق وليبيا وضد تنظيم الدولة الإسلامية.

وعلى الجانب الآخر لم تنجح تطمينات طالبان للرأي العام العالمي بأنها تغيرت وأنها وضعت مسافة بينها والحركة الأولى التي حكمت أفغانستان حتى هجمات 11/9. والمتابع لتصريحات المحللين الغربيين والمنفيين الأفغان والصحافة الغربية يقرأ تركيزا على ما يقال إنها انتهاكات طالبان لحقوق الإنسان، وبدأنا نسمع حتى قبل أن تعلن طالبان شكل حكومتها رسميا في البلاد عن التعذيب ومنع من تعاون مع القوات الغربية الخروج. وانتشرت تقارير عن تفتيش عناصر الحركة البيوت وعمليات كوماندو أمريكية وغربية أخرى في داخل أراضي طالبان وهي كل أفغانستان باستثناء مطار كابول لنقل غربيين وأفغان وإخراجهم من البلاد. ولم يتوقف الحديث عن موقف طالبان من تعليم المرأة وحرية الصحافة وما حققه الأفغان رغم فساد حكومتهم من مكاسب في مجال حرية الرأي ومشاركة المرأة في الحياة العامة. ففي تقرير بصحيفة «الغارديان» (2021/8/20) قالت فيه إن مقاتلي طالبان عذبوا رجالا من الهزارا (شيعة أفغانستان) للموت. وسنقرأ الكثير من هذه التقارير عن وضع المرأة وحقوق الإنسان والأقليات الدينية وحرية الصحافة وغير ذلك.

لن ينفع

وفي الوقت نفسه سارعت الحكومات الغربية بتجميد مساعداتها لأفغانستان، كورقة ضغط على النظام الجديد. مع أن الباحثين الاقتصاديين المختصين في الشأن الأفغاني غرايم مانسفيلد وديفيد مانسفيلد في صحيفة «نيويورك تايمز» (2021/8/18) قللا من أهمية الضغوط المالية الغربية لسبب واضح وهو أن طالبان سيطرت على معابر التجارة والتي تشكل نقاط اختناق مرورية لجنوب آسيا، وهي شبكة من الطرق السريعة والجسور والمعابر الحدودية التي تمثل مصادر للثروة المالية وتعزلها عن الضغط الدولي، مع وجود دول بالمنطقة مثل الصين وباكستان راغبة بالتعاون التجاري مع طالبان. ونافش الكاتبان أن الدول المانحة عادة ما تضخم من أهمية مساعداتها لأفغانستان، نظرا لعدم معرفتها بحركة المال غير الرسمية من وإلى أفغانستان. فعمليات تهريب المخدرات ومتعلقاتها ليست التجارة الكبرى التي تحدث عبر الحدود بل وحركة البضائع المهربة من الوقود والمواد الغذائية. ففي دراسة لهما صدرت هذا الشهر عن معبر نمروز وجدا أن الضرائب غير الرسمية، وهي الأموال التي جمعها المسلحون وصلت إلى 235 مليون دولار ذهبت إلى طالبان وشخصيات موالية للحكومة في وقت لم تحصل فيه الولاية إلا على 20 مليون دولار. وأشار الباحثان إلى مدينة زارنج القريبة من الحدود الإيرانية التي كانت أول المدن التي سقطت بيد طالبان، فالموارد المالية منها في عام 2020 وصلت إلى 43.2 مليون من الجمارك بالإضافة إلى 50 مليون دولار من الضرائب المباشرة. وقالا إن دولا مثل إيران ستواجه معضلة استمرار التعامل مع طالبان حتى لا تخسر التجارة العابرة بينهما أو قطع العلاقة معها. وردت إدارة بايدن على انتصار طالبان بتجميد الأصول المالية الأفغانية، في وقت قال فيه مستشار الأمن القومي جيك سوليفان إن الضغط الأمريكي على طالبان سيأتي من أمور تتعلق بالعقوبات، لكن الحركة لن تتأثر نتيجة للموارد المالية التي تحصل عليها من التجارة العابرة للحدود، في فيتنام رفض السفير الأمريكي غراهام مارتين، في سايغون إجلاء مبكرا للرعايا الأمريكيين على أمل انتصار الجنوبيين على الفيتكونغ، أما في أفغانستان فقد أكد بايدن وبحس الواثق أن الخروج سيكون منظما وأن بلاده لديها الوسائل لمنع الإنهيار، فقد دربت الجيش الأفغاني وسلحته بأحدث الأسلحة وهو قادر على منع سيطرة طالبان، لكنه اختفى ولم تطلق طالبان ولا رصاصة واحدة كما لاحظت مراسلة «سي أن أن» بل وعلق فرانك بروني في «نيويورك تايمز» (2021/8/19) ساخرا أن أمريكا سلحت الجيش الأفغاني بالرايات البيض، مشيرا إلى أن ثقة بايدن بنفسه تعبير عن الغطرسة الأمريكية التي ترفض التعلم من الدروس. وهو ما دعا الصحافية المعروفة روبن رايت للقول بمجلة «نيويوركر» (2021/8/15) إن الهزيمة الأمريكية في أفغانستان ستؤثر على موقف أمريكا العالمي بطريقة لن تتعافى منها وللأبد. وقدمت عرضا لأخطاء أمريكا من فيتنام ولبنان والعراق والآن في أفغانستان، مشيرة إلى أن هذه الأخطاء المتكررة تمثل تحديا لأسس صناعة القرار في واشنطن في جامعة كابول عن انهداشه من انضباط قوات طالبان واحترامهم للسكان الذين كانوا يتوقعون الأسوأ. وعلى خلاف قوات الأمن الأفغانية السابقة التي كانت قبل خروج آخر جندي أمريكي. تخيف المواطنين بإطلاق صفارات السيارات حتى يفتحوا لها الطريق، لم يصدر عن طالبان تصرف مثل هذا. ويعتبر الحفاظ على مؤسسات الدولة أولوية كبرى للحركة التي أصدرت عفوا عاما عن موظفي الدولة وحثتهم للعودة إلى أعمالهم. ويقول أنطونيو غويستوزي من كينغز كوليج في لندن إن قادة الحركة عقدوا صفقات مع صلاح الدين رباني، وزير الخارجية السابق وحامد كرزاي، أول رئيس لأفغانستان بعد الغزو الأمريكي واستعانوا بخبراء لإدارة المعدات العسكرية التي غنموها ويحاولون جذب الطيارين العسكريين. ويمكن أن يعطي تصرف طالبان في المناطق الريفية التي سيطرت عليها مدة طويلة صورة عن حكمها المقبل، فقد سمحت للمدرسين والأطباء وموظفي الخدمة المدنية ممارسة أعمالهم طالما التزموا بقواعدها. وتقول أشلي جاكسون من معهد التنمية فيما وراء البحار في لندن إن طالبان ستركز على الاستقرار في المرحلة الحالية ولن تقوم بإحداث ثورة من أي نوع.

وسيحاول قادة طالبان بناء توازن بين ما رغبة عدد كبير من أتباعهم حول الحفاظ على النقاء الأيديولوجي ومتطلبات التعليم حتى بين الطبقات المحافظة من المجتمع الأفغاني. وسيظل السؤال حول مدى قدرة طالبان الحفاظ على براغماتيتها هذه.

وتقول المجلة إن التقارير القادمة من الأقاليم غير مشجعة، فقد أمرت الفتيات اللاتي يشكلن نسبة 60 في المئة من طلاب الجامعات بالعودة إلى بيوتهن. وطلب من النساء العاملات بالتخلي عن وظائفهن للرجال. ولم يخدع الكثير من الأفغان بتطمينات ذبيح الله مجاهد، المتحدث باسم الحركة في مؤتمره الصحافي الأول عن حرية الصحافة طالما لم تتناقض مع القيم الإسلامية. كما ولم يقتنع الكثيرون بوعد الحركة عدم ملاحقة من تعاونوا مع النظام السابق. فبعد سيطرتها على سبين بولداك، القريبة من باكستان، تمت ملاحقة عدد من موظفي الحكومة وقتلهم. وفي قندهار قتل الكوميدي نزار محمد. وتخشى النساء العاملات بالقضاء من ممارسات انتقامية.

سر انتصار طالبان

يقوم نجاح طالبان على ذكائها بقدر ما تلقته من مساعدة باكستان وحرف أمريكا نظرها للعراق والأموال التي حصلت عليها الحركة بطرق غير شرعية وفساد الحكومة. فقد طبقت طالبان قاعدة صن تزو في فنون الحرب وهي «إخضاع العدو بدون قتال» وتم هذا عبر الاتفاقيات التي عقدتها مع قادة القبائل والمسؤولين المحليين بحيث لم يترك أي مجال سوى استسلام الجيش الأفغاني. جاء النجاح نتيجة لغضب القبائل المحلية على خطط الحكومة المركزية تجريدها من سلطاتها، فغني، المسؤول السابق في البنك الدولي ومؤلف كتاب «إصلاح الدول الفاشلة» كان يؤمن بالحكومة المركزية القوية، لكنه انفصل عن مطالب الأقاليم. فهرب وانهار جيشه الذي لم يكن مؤهلا لحرب العصابات وانهارت معنوياته بعد القرار الأمريكي بمغادرة أفغانستان وانقطاع التسلسل القيادي والدعم اللوجيستي. وتقول المجلة إن الضغط الدبلوماسي الغربي على النظام الجديد في كابول لن يكون ناجعا لأن أصدقاءها في المنطقة سارعوا بالترحيب بها، روسيا وباكستان وإيران والصين. مشيرة إلى أن تعاون هذه الدول سيظل مشروطا بعلاقاتها مع الحركات الجهادية. فالصين مثلا لا تريد نشاطا للجهاديين من إقليم تشنجيانغ. وفي الوقت الذي حاول فيه مجاهد تطمين الدول بأن بلاده لن تصبح قاعدة جديدة للجهاديين، إلا ان تقارير عن الأمم المتحدة وعن المخابرات الأمريكية أكدت استمرارا للقاعدة في أفغانستان، مع تكهنات بوجود أيمن الظواهري، زعيم القاعدة فيها. ويعد انتصار طالبان أفرجت عن آلاف المعتقلين في السجون بمن فيهم سجناء قاعدة باغرام. وتعتقد إدارة بايدن أنها قادرة على معالجة الخطر الأمني عن بعد. وبدون قاعدة وتعاون مع باكستان التي انهارت علاقاتها مع واشنطن فالمخاطر تظل قائمة.

بين سايغون وكابول

ورغم مقاومة بايدن المقارنة بين أفغانستان وفيتنام، إلا أن التشابه واضح مع أن الفشل في أفغانستان كان فظيعا. فجيش شمال فيتنام كان مسلحا بعتاد حديث وتدعمه قوى كبرى، مقارنة مع طالبان. لكن الأخيرة استطاعت السيطرة على مناطق أكبر من جنوب فيتنام. وتظل خسائر أمريكا في الأخيرة ضعف خسائرها في أفغانستان بـ25 مرة، وكانت حربا قسمت الشعب الأمريكي. ولا ننسى لعبة الخداع التي مارسها الساسة في واشنطن في الحربين.

وعلى العموم أفرح انتصار طالبان أعداء أمريكا وأغضب حلفاءها في أوروبا الذي تذمروا من عدم استشارتهم بشأن الانسحاب. إلا أن أمريكا وبعد 15 عاما من هزيمة فيتنام فككت الاتحاد السوفييتي وأصبحت فيتنام اليوم دولة حليفة لها، ولا عزاء للأفغان الذين وثقوا بها لحمايتهم وتركتهم في عهدة طالبان.

حوار

الحسين بكار السباعي رئيس «مرصد الجنوب لحقوق الأجانب والهجرة» المغربي:

الانتخابات المقبلة في البلاد تقنية لتدبير الأزمة وبدون رهانات سياسية كبرى

حاوره: الطاهر الطويل

من أجل المساهمة في قراءة جوانب من راهن المشهد السياسي في المغرب، التقت «القدس العربي» الخبير الحسين بكار السباعي، باحث في الإعلام والهجرة وحقوق الإنسان، وأستاذ زائر سابقا في جامعة «ابن زهر» في أغادير، ورئيس «مرصد الجنوب لحقوق الأجانب والهجرة» وممثل المنظمة الدولية للفن الشعبي العضو الفاعل باليونسكو في الصحراء المغربية، وعضو اللجنة الجهوية لحقوق الإنسان بجهة سوس ماسة، بجانب عمله محاميا ضمن هيئة المحامين في مدن أغادير وكلميم والعيون. وهنا نص الحوار:

○ مـا تقييمك للأداء الحكومـي، خلال الولاية التي هي على وشـك الانتهاء، وخاصة خلال فترة الجائحة، وكيف ترى الكلفـة الاجتماعية للقرارات الحكومية خلال هذه الفترة؟

● قـدم المغـرب من خـلال التوجيهات الملكية وسياسة الحكومة المغربية نموذجا دوليا مهما في إدارة تداعيات وباء كورونا من وجهة نظرنا الخاصة كمهتمين بالشأن السياسي، من خلال عدة برامج منسجمة مع تطلعات التنمية الاقتصادية ضمن سياسة التوزان في الأداء، حيث تعافى المغرب خلال العام 2021 من التداعيات الاقتصادية التي فرضتها جائحة كورونا على اقتصادات العالم.

ويمكن القول إن الاقتصاد المغربي، وفقًا للأرقام والإحصائيات، حقق عدة مؤشرات إيجابية خلال العام الحالي، بعد تطبيق سياسات متوازنة للتعامل مع الوباء، حيث نمت إيرادات الموازنة المغربية لعام 2021 بنسبة 6.5 في المئة، بدعم من زيادة القاعدة الضريبية وتطبيق ضريبة المساهمة الاجتماعية للتضامن لمدة عام واحد فقط، وتقدر الحكومة عائداتها بنحو 5 مليارات درهم (585 مليون دولار)، كما أن مشروع ميزانية عام 2021 يقدر عائدات الخصخصة بنحو 8 مليارات درهم (935.7 مليار دولار). وعلى الجانب الآخر، تراجعت نفقات الموازنة للعام الجاري بمقدار 1.4 في المئة، في ظل تخفيض بعض بنود تكاليف التشغيل اليومية مثل نفقات السفر.

في ضوء هذه البيانات، يمكن توقع انخفاض نسبة العجز من الناتج المحلي الإجمالي إلى 5.8 في المئة لعام 2021 من مستوى 8 في المئة في 2020، وأن ذلك يأتي بالتوازي مع نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي للمملكة بواقع 3.8 في المئة، وهو نمو مخصوما منه أية زيادة في التضخم، بما يعبر عن تحقيق نمو ملموس وليس اسمي فقط.

ومـن جانب آخـر، فـالأداء الحكومي الـذي يمكن وصفه بالمميز هو الذي أعطى هذه المؤشرات الإيجابية للاقتصاد المغربي، حيث توقعت «المندوبية السامية للتخطيط» بالمغرب، مؤخرا نمو الناتج المحلي الإجمالي للبلاد 0.5 في المئة على أساس سنوي، خلال الربع الأول من 2021 بدعم من نمو النشاط الزراعي بنفس النسبة، ورشحت «المندوبية» ارتفاع الطلب المحلي بشكل طفيف في ضوء تحسن النفقات الاستهلاكية للأسر، بالتوازي مع انتعاش مبيعات المواد الغذائية والمصنعة، وتعافي نفقات النقل والمطاعم والترفيه ومن جهة أخرى مهمة حقق الأداء الحكومي رصيد من النقد الأجنبي يناهز 33 مليار دولار، بما يغطي أكثر من سبعة أشهر من واردات السلع والخدمات.

وتوقع البنك الدولي للأداء الحكومي الجيد تسارع نمو الاقتصاد المغربي في ضوء زيادة إنتاج القطاع الزراعي بعد فترة الجفاف وتخفيف إجراءات الحجر الصحي في عام 2021.

○ تبـدو الأغلبيـة الحكومية فـي المغرب غير متجانسة في ما بينها، وتصرّف ذلك عبر تصريحات وقرارات تبدو متناقضة، إلى ماذا يعزى ذلك؟

● إن مسألة عدم التجانس الحاصل بين الأغلبية الحكومية يعزى بالأساس، من وجهة نظرنا، إلى عدم السماح بوجود تحالفات قبْلية في المنظومة الانتخابية في المغرب، وذلك ما يدفع الأحزاب لانتظار الإعلان عن النتائج، مما يعد خطأ، حيث يصعب البحث عن متحالفين مناسبين، وهو ما ينعكس على الحكومة التي تبدو غير متجانسة لاحقا، بضمّها لعدد كبير من الأحزاب. كما أن التحالفات قبل الاستحقاقات الانتخابية تساعد المواطنين والأحزاب على حد سواء لمعرفة من سيتموقع في الأغلبية ومن سيكون في المعارضة.

○ الحديث الآن يدور عن الانتخابات المقبلة في المغرب، بنظرك ما المؤمل في هذه الانتخابات؟

● نعتقد أن الانتخابات المقبلة انتخابات من دون رهانات سياسية كبرى، إذ أنها لا تأتي في سياق إصلاحات، أو تحول ديمقراطي، بقدر ما هي انتخابات تقنية لتدبير الأزمة. فالربح الأكبر من خلال هذه الاستحقاقات يراد منه كسب رهان الاستقرار المؤسساتي، إذ إن الانتخابات أداة لامتصاص تداعيات الأزمـة، وتجـاوز الاحـتقـان الاجتماعي وتنفيسه.

○ مـا الســبيل إلى تكريس ثقافة ديمقراطية في المغرب وإعادة ثقة الناخبين في العملية الانتخابية ككل وفي المؤسسات المنتخبة؟

● إن من أهم إفرازات العملية الديمقراطية في جميع الدول هي العملية الانتخابية، لأنها الوسيلة الوحيدة لإسناد السلطة السياسية كونها تعتبر الجهة الوحيدة في تحديد شرعية السلطة من عدمها داخل المجتمع، مثلما تجسد مفهوم السيادة الشعبية في البلاد.

الحديث عن أسباب عدم الثقة بين الناخب المغربي والمرشح أو الساسة القادمين كثيرة، أهمها: الفساد المالي والإداري، وعدم توفر الخدمات الأساسية، والفشل في وضع الحلول المناسبة والتدخلات الخارجية في الانتخابات.

لـذا، وجـب الإسـراع في وضـع أفضل الحلول، وأن يقدم السياسيون ما وعدوا به الناخبين في برامجهم السياسية السابقة، لكي تتعزز ثقة الناخب بهم، ويجب أن تعمل جميع الأطراف على تعزيزها بالعمل الفعلي لا سيما الطرف السياسي الذي يتطلع بالإجمال إلى الفوز بالمناصب.

○ كيـف تـرى موقع الشـباب في المشـاركة السياسية بالمغرب؟

● لطالما اعتبر الشباب قوة بشرية مهمة ميزت مجتمعا عن الآخر، ولطالما كان وما يزال دوره مهما في عملية بناء وتطوير قدراته سواء المادية أو المعنوية، من خلال المساهمة الكبيرة التي يساهم بها هذا العنصر البشري في عملية التنمية المستدامة سواء داخل مؤسسات الدولة أو حتى هياكل المجتمع.

لأجل هذا كله، اعتبر الشباب رافعة لتنمية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية وكذلك سياسية من خلال مشاركته في إنماء هذه الحقول داخل منظومة الدولة الـواحـدة، إلى حد اعتبر معه هـذا العنصر البشري القوة الدافعة لحركية المجتمع وتطوره، مما استوجب ضـرورة إشراكهم في الحياة السياسية عبر تطوير برامج إدماجهم وتحصينها بنصوص قانونية ودستورية محفزة لمشاركتهم الفعالة داخل هـذه الحياة، خصوصا في ظل ما أصبح يصطلح عليه بظاهرة عزوف الشباب داخل المشهد السياسي المغربي والتي تعتبر مثار تخوف الكثيرين خصوصا عند قـرب المحطات الانتخابية ونحن على أبواب انتخابات تشريعية.

والحال هنا أن نسبة الشباب في المغرب تتجاوز 65 في المئة من نسبة السكان، وهو رقم مهم للغاية إذا ما تمت مقارنته مع دول الجوار، حيث يمثل شباب المغرب وحده عشر شباب المنطقة، وهي ميزة مهمة لدولة كالمغرب خطت خطوات مهمة في مسار الدمقرطة والقطع مع إرث الماضي نحو بناء دولة الحق والقانون؛ وهو الأمر الذي يجب أن توازيه مشاركة مهمة لشباب في هذا المسار. غير إن الإحصائيات تدلل على أن نسبة مهمة من الشباب لا يثقون في جدوى العمل السياسي، وأن نسبة ضئيلة جدا منهم هي التي تمارسه فعليا، رغم انه يمثل أكثر من أربعين في المئة من الفئة الناخبة.

وجاء دستور 2011 بمجموعة من الضمانات التي نصت على دور الشباب في الحياة السياسية وكانت بمثابة المحفز لها. وبعد مرور عدة سنوات على إصدار الدستور فإن المجلس الاستشاري للشباب لم يتم إحداثه حتى الآن، كما أن نسبة مشاركة الشباب الأقل من 35 سنة ترشيحا وتصويتا في انتخابات 2011 وما تلاها كانت متوسطة ان لم نقل ضعيفة، كما أن الاستفادة من البرامج الهادفة إلى إشراك الشباب عرفت تطبيقا محدودا ولم يستفد منها إلا فئات قليلة.

ويمكن تلخيص أهم أسباب العزوف الانتخابي خصوص لـدى الشباب في عـدة عـوامـل، لعل من أهمها ضعف آليات إفراز النخب و تأطيرها خصوص الأحزاب السياسية والنقابات، وفقدان الشباب الثقة في هذه المؤسسات لما تعرفه من طابع تقليدي في استقطاب هذه الفئة، وهو ما يبلور فكرة أساسية بأن الشباب غير عازف عن الممارسة السياسية بقدر ما هو عازف عن ولوج الأحزاب السياسية باعتباره الآلية الرئيسية في تفعيل المشاركة؛ وندرة التكوين والتأطير الفعلي لفئة الشباب، مما يترجم غياب استراتيجية واضحة لإدمـاج هـده الفئة في تسير الشأن العام بالمملكة، وبالتالي المساهمة في الحياة السياسية عموما؛ وضعف إلمـام واهتمام الشباب بالحقل السياسي التعامل مع قضايا الشباب في البرامج السياسية للمنتخبين والأحزاب السياسية كمنشطات انتخابية.

○ وماذا عن حضور المرأة؟

● يحتل الحق في المشاركة السياسية للمرأة موقعا محوريا ضمن حقوق الإنسان الأساسية، فلقد أكدت عليه كل المواثيق الدولية والإعلانات والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، كما كرسته الدساتير الوطنية على نطاق واسع، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

إن مشاركة المرأة في الحياة السياسية ضرورة ملحة يفرضها واقع التطور، وتحتمها الحاجة إلى الدعم والحفاظ على مصداقية النهج الديمقراطي الـذي تسعى الـدول إلـى تحقيقه خاصة وان هذا التوجه أصبح حقيقة، وفي الوقت نفسه يعدّ انشغالا عالميا يتصدر رزنامة نشاطات المجتمع الدولي خلال العشريتين الأخيرتين، كما غدا من غير الممكن تعزيز دولة القانون أو تحقيق أي تطور على صعيد إرساء قواعد الممارسة الديمقراطية في مجتمعاتنا بعيدا عن مشاركة نصف المجتمع، الذي تمثله المرأة من خلال مشاركتها في التنمية وكذا في مراكز اتخاذ القرار؛ خاصة أن كل الجهود التي بذلت للدفاع عن حقوق المرأة قد تكرست ضمن المواثيق الدولية والإقليمية وفي الدساتير والقوانين الوطنية في عدد من الدول و كان المغرب من بينها.

ويرتبط الاهتمام بقضية مشاركة المرأة في الحياة السياسية بالجهود التي اتخذت تبذلها الشعوب من أجل التغيير والتقدم الاجتماعي، وبسبب إدراك الارتباط الوثيق بين قضية تحرر المرأة وبين قضية تحرر المجتمع، حيث عرف البناء الاجتماعي والثقافي للعلاقات بين الجنسين في الدول المغاربية، تحولات هامة سواء كان ذلك في الفضاء العام أو الفضاء الخاص، ويمكن تفسير هذه التحولات بتضافر عدة عوامل مثل إصدار النصوص القانونية المؤكدة على المساواة بين المرأة والرجل وإقرار التعليم المجاني والإجباري للجنسين وخروج المرأة للعمل ولقد شهدت السنوات الأخيرة خاصة في فترة ما قبل الحراك العربي اهتماما متزايدا بالدور الذي تضطلع به المرأة داخل المجتمعات العربية.

ومن جهتها فقد انتبهت الـدول المغاربية لأهمية إشراك المرأة في عملية التغيير والتنمية وبناء مجتمع ديمقراطي. وعلى غرار باقي الدول، فإن قضية المرأة ومشاركتها في جميع مناحي الحياة، داخل المجتمع احتلت حيزا مهما من النقاش والجدل داخل المغرب. استطاعت من خلاله المرأة تحقيق قفزة نوعية على جميع المستويات، ومكاسب مهمة في مجالات سياسية واقتصادية وقانونية، وهو ما جعل البعض يطلق عليها اسم الثورة البيضاء، حيث لم يكن من الممكن عزل هذه القضية عن مسلسل الانتقال الديمقراطي الذي انخرط فيه المغرب منذ القرن الماضي، باعتبار أن تقدم المرأة هو أحد مرتكزات تعزيز هذا الانتقال وبناء الدولة الحديثة.

وقد سجلت العشرية الأخيرة، تقدما ملحوظا لدور المرأة، جاء نتيجة لتضافر العديد من العوامل من أهمها تنامي حركات ديمقراطية وحقوقية تجسدت في نضالات الحركات النسائية، وحضورها بشكل مكثف في مختلف هيئات المجتمع المدني. وبالعودة إلى الدستور المغربي لسنة 2011 نجده ينص في تصديره على أن المغرب «يرتكز على مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية.» كما ينص في فصله السادس على أنه «تعمل السلطات العمومية على توفير الظروف التي تمكن من تعميم الطابع الفعلي لحرية المواطنات والمواطنين، والمساواة بينهم ومن مشاركتهم في الحياة السياسية». أما الفصل التاسع المساواة بالحقوق والحريات المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية» الواردة في هذا الباب من الدستور وفي المقتضيات الأخرى، وكذا في الاتفاقيات والمواثيق الدولية، كما صادق عليها المغرب، وكل ذلك في نطاق أحكام الدستور وثوابت المملكة.

○ باعتقادك، إلى أي مـدى تخلص المغرب من المركزية في الإدارة والقرارات، انسـجاما مع البعد الجهوي؟

● إن محدودية اللامركزية الجهوية في تحقيق التنمية يرجـع بـالأسـاس إلـى ضـعف الاهـتمـام باللاتمركز الإداري. وعلى هـذا الأسـاس، يمكن القول أن إشكالية التوازن بين اللامركزية الجهوية واللاتمركز الإداري في الاستراتيجية العامة للدولة تتحكم فيها مجموعة من المعطيات السياسية (بالدرجة الأولى) والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فمن الضـروري لتشييد دولـة عصرية أن تقوم السلطة العامة بتوطيد دعائم المؤسسات السياسية على الصعيد الجهوي، وأن تعمل بالموازاة مع ذلك على تدعيم أسس اللامركزية الإدارية، أو بالأحرى توظيف آليات اللاتمركز الإداري في سبيل تحقيق التوازن والانسجام الوظيفي بينهما. وعليه، فإن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها البلاد تفرض على المشرع الـعـادي والفرعي الإسـراع في إنـزال المقتضيات الدستورية إلى حيز الوجود؛ ومنه نخلص إلى القول إن المركزية في القرارات ما زالت ظلا يراود التدبير الإداري في المغرب.

○ هل تكرست ثقافة حقوق الإنسان في المغرب، مع تعدد الجهات المعنية بها، رسمية ومجتمع مدني وغيرها؟

● ما يـزال موضوع حقوق الإنسان يأخذ حيزا كبيرا في اهتمامات النخب والمفكرين والسياسيين والمثقفين، ويرجع هذا الاهتمام إلى الأهمية الثقافية والتاريخية التي يلعبها موضوع حقوق الإنسان في تكوين معالم المجتمع والأفـراد والـجماعات، ناهيك على أنه يعتبر أحد المؤشرات على التحول الديمقراطي؛ فكلما كانت المنظومة الحقوقية تتسم بالحرية والتعدد وتكرس قيم الاختلاف والمساواة والعدالة بين أفرادها سواء كانوا أقلية أو أغلبية، كلما دلت على وجود مناخ ديمقراطي، وكلما ساد الفساد والعنف والاستبداد والتهميش والإقصاء غابت الديمقراطية كآلية لتنظيم المجتمع وتقسيم السلطة والثروة.

لقد حقق المغرب تراكمات هامة في مجال حقوق الإنسان، عكس مجموعة من البلدان العربية، سواء على مستوى القوانين وتطويرها أو تطبيقها على أرض الواقع، وما يدل على هذا، أن المغرب فتح مجموعة من الملفات الحساسة (كالانتهاكات الجسيمة في حق مجموعة من المعتقلين السياسيين، حقوق المرأة، حقوق الأقليات...) والتي أثمرت نتائج جيدة كان من أبرزهـا توصيات هيئة الإنصـاف والمصالحة، إضافة إلى نهوض ديناميةالحركة الوطنية الحقوقية المدعمة من طرف القوى الديمقراطية، كما تم إدخال إصلاحات تشريعية على المسطرة الجنائية وتوقيع مجموعة من الاتفاقيات، كاتفاقية مناهضة التعذيب، اتفاقية القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة، اتفاقية حقوق الطفل، اتفاقية حماية العمال المهاجرين وأفراد أسرهم. كما أقر المغرب بحق الضحايا في التعويض وإدخال إصلاحات على قوانين الحريات العامة (الصحافة، الجمعيات، التجمعات العمومية) فضلا على التقارير السنوية التي يصدرها المجلس الوطني لحقوق الإنسان كمؤسسة دستورية والتي يتم نشرها بالجريدة الرسمية والعمل الدؤوب الذي تقوم به اللجان الجهوية للمجلس في الدفاع وترسيخ قضايا حقوق الإنسان لا ننسى جهود لجان المجلس بجهات الصحراء المغربية والتي تم التنويه بها من قبل هيئة الأمم المتحدة.

حريات

محنة مرّة خلف العتمة والقضبان تنيرها نضالات بطولية

أسرى فلسطين في سجون إسرائيل: حياة تبدأ بالتنكيل وتنتهي بالموت البطيء

الناصرة-«القدس العربي»: وديع عواودة

ما أن ينهي أسير فلسطيني إضرابه عن الطعام احتجاجا على جريمة «الاعتقال الإداري» وينتصر على سجانه حتى يبدأ زملاء آخرون له إضرابا مماثلا فطالما يقبع مئات من الأسرى خلف القضبان جراء هذا النوع التعسفي من السجن الذي يبقي السجين دون معرفة سبب اعتقاله.

ويؤكد نادي الأسير الفلسطيني، أنّ الأسيرين هشام إسماعيل أبو هواش (39 عامًا) وعمر كامل الجعبري (32 عامًا) قد شرعا بالإضراب المفتوح عن الطعام منذ عدة أيام ليرتفع عدد الأسرى الفلسطينيين المضربين عن الطعام إلى 12 أسيرا. ويوضح نادي الأسير أنّ أقدمهم الأسير سالم زيدات من بني نعيم/ الخليل، الذي يواصل إضرابه لليوم الـ45 على التوالي، إضافة إلى الأسرى: مجاهد حامد من سلواد /رام الله، المضرب منذ 41 يومًا، وكايد الفسفوس من دورا/ الخليل منذ 42 يومًا، ورأفت الدراويش من دورا/ الخليل منذ 41 يومًا، ومقداد القواسمة من الخليل منذ 33 يومًا، الرملة» وهم سالم زيدات، ومجاهد حامد، ورأفت الدراويش، إلى جانب استمرارها بإجراءاتها التنكيلية المنهجة التي فرضتها عليهم، منها: العزل الانفراديّ، وحرمانهم من أبسط حقوقهم وتجريدهم من مقتنياتهم، في محاولة مستمرة لفرض مزيد من الضغوط عليهم لثنيهم عن الاستمرار في معركتهم. ويواجه الأسرى المضربون عن الطعام أوضاعًا صحية صعبة تتفاقم مع مرور الوقت، واستمرار تعنت الاحتلال بالاستجابة لمطلبهم، وإنهاء اعتقالهم الإداريّ التعسفي. ويحمّل نادي الأسير سلطات الاحتلال المسؤولية الكاملة عن حياة الأسرى المضربين، ويطالب كافة الجهات الحقوقية الدولية المحتجزين في سجن «عيادة العفولة» الإسرائيلي بشكل طارئ قبل أيام. وأوضح نادي الأسير أن الأسير داود معتقل منذ 34 عاماً، ومحكوم بالسّجن المؤبد، ويعاني منذ عدة سنوات من تدهور مستمر في وضعه الصحيّ، والذي كان نتاجاً لظروف الاعتقال الطويلة والقاسية، عدا عن سياسة الإهمال الطبي التي تطال كافة الأسرى المرضى. ويلفت إلى أن إدارة سجون الاحتلال كانت قد نقلت مؤخراً الأسير داود إلى المستشفى عدة مرات، وذلك بعد ضغوط ومطالبات متكررة من رفاقه الأسرى، الذين واجهوا مماطلة واضحة في تقديم العلاج له. ويشير إلى أن الأسير داود فقد معظم أسنانه، ويعتمد منذ سنوات على تناول الشوربات والسوائل، كما أنّه أصيب بالصدفية، وأصيب لاحقاً بمشاكل مزمنة في المعدة، وتم إجراء عملية جراحية له لوضع شبكية في المعدة. يذكر أن الأسير داود (58 عاماً) من قلقيلية، وهو أحد الأسرى القدامى المعتقلين منذ ما قبل توقيع اتفاقية أوسلو وعددهم 25 أسيراً، وخلال سنوات اعتقاله فقدَ والديه، وحُرم غالبية أشقائه من زيارته لسنوات لذرائع أمنية.

محنة الأسرى المحررين

ولا تأبه سلطات الاحتلال بالحالة الصحية للأسرى وبأمراضهم. ويوضح نادي الأسير الفلسطيني إن الأسرى المحررين أيضا يكابدون الملاحقات وكذلك أمراضا مردها السجن الوحشي لمدة طويلة. من هؤلاء الأسير السابق المصاب بسرطان الدم حسين مسالمة من بيت لحم، قد وصل إلى مرحلة حرجة جدًا حيث يمكث منذ الإفراج عنه من سجون الاحتلال الإسرائيلي في شهر شباط/ فبراير 2021 في مستشفى «هداسا» الإسرائيلي. ووفقًا لعائلته، فإنّ الأطباء أكدوا أنّ محاولتهم لعلاجه قد وصلت إلى المراحل الأخيرة، حيث تم مضاعفة جرعة العلاج الكيميائي له منذ عدة أيام. وأكد نادي الأسير، أنّ الاحتلال هو المسؤول عما وصل إليه الأسير مسالمة، الطبي، التي طالت وما زالت تطال المئات من الأسرى في سجون الاحتلال. وأضاف أنّ المعطيات الراهنة بشأن الأسرى المرضى في سجون الاحتلال خطيرة، مع تسجيل حالات جديدة بإصابتها بأورام بدرجات مختلفة، لا سيما بين الأسرى الذين أمضوا أكثر من 20 عامًا. ويحمّل نادي الأسير الاحتلال كامل المسؤولية عما سيؤول إليه مصير مسالمة وكافة الأسرى في سجون الاحتلال. يُشار إلى أن مسالمة واجه منذ نهاية العام الماضي، تدهورًا على وضعه الصحي، وعانى من أوجاع استمرت لأكثر من شهرين خلالها ماطلت إدارة سجون الاحتلال في نقله إلى المستشفى، ونفّذت بحقه سياسة الإهمال الطبي المنهجة «القتل البطيء» حيث كان يقبع في حينه في سجن «النقب الصحراوي» إلى أن وصل لمرحلة صحية صعبة، ونُقل إلى المستشفى ليتبين لاحقًا أنه مصاب بسرطان الدم «اللوكيميا» وان المرض في مرحلة متقدمة. يذكر أن الأسير مسالمة اُعتقل عام 2002 وصدر بحقه حُكمًا بالسّجن لمدة 20 عامًا، أمضى منها نحو 19 عامًا.

36 أسيرًا في سجن «مجدو»

وحسب معطيات وزارة الأسرى تواصل قوات القمع التابعة لإدارة سجون الاحتلال قمع 36 أسيرًا والتنكيل بهم بعد عملية اقتحام واسعة نفذتها لقسم 7 في سجن «مجدو» واعتدت عليهم بالضرب المبرّح، ورشتهم بالغاز، ونقلتهم لاحقًا إلى العزل الانفراديّ قبل أسبوع. وتوضح الوزارة أن الجزء الأغلب جرى نقلهم إلى «المعبّار» وزنازين سجن «مجدو» فيما بقي عدد آخر لم تعرف حتى الآن الجهة التي تم نقلهم إليها. وتحمّل الوزارة إدارة سجون الاحتلال كامل المسؤولية عن حياة ومصير الأسرى، لاسيما في ظل عمليات التصعيد المنهجة لعمليات الاقتحام والقمع، مشيرة إلى أن وتيرة الاقتحامات مؤخرًا تتخذ مستوى العنف الذي مارسته قوات القمع بحقّ الأسرى منذ عام 2019 والتي تعتبر الأعنف منذ أكثر من عشر سنوات، لاسيما بتعمد إدخال وحدات «المتسادا» المدججة بالسلاح إلى غرف الأسرى، وتدمير وتخريب مقتنيات الأسرى. يُشار إلى أن عمليات القمع والاقتحامات تُشكل أبرز السياسات التي تنتهجها إدارة سجون الاحتلال بحقّ الأسرى، لفرض المزيد من السيطرة والرقابة عليهم، وسلب أي حالة استقرار.

حسين مسالمة في وضع صحي حرج جدًا

ومن تجليات عذابات الأسرى تعرض هؤلاء للمرض وتحكم السجان بحبة الدواء واكتفائه أحيانا بالمسكنات وبعد تأخير مريع خضع الأسير محمد عادل داود لعملية جراحية في الأمعاء، وذلك بعد نقله إلى مستشفى «العفولة» الإسرائيلي بشكل طارئ قبل أيام. وأوضح نادي الأسير أن الأسير داود معتقل منذ 34 عاماً، ومحكوم بالسّجن المؤبد، ويعاني منذ عدة سنوات من تدهور مستمر في وضعه الصحيّ، والذي كان نتاجاً لظروف الاعتقال الطويلة والقاسية، عدا عن سياسة الإهمال الطبي التي تطال كافة الأسرى المرضى. ويلفت إلى أن إدارة سجون الاحتلال كانت قد نقلت مؤخراً الأسير داود إلى المستشفى عدة مرات، وذلك بعد ضغوط ومطالبات متكررة من رفاقه الأسرى، الذين واجهوا مماطلة واضحة في تقديم العلاج له. ويشير إلى أن الأسير داود فقد معظم أسنانه، ويعتمد منذ سنوات على تناول الشوربات والسوائل، كما أنّه أصيب بالصدفية، وأصيب لاحقاً بمشاكل مزمنة في المعدة، وتم إجراء عملية جراحية له لوضع شبكية في المعدة. يذكر أن الأسير داود (58 عاماً) من قلقيلية، وهو أحد الأسرى القدامى المعتقلين منذ ما قبل توقيع اتفاقية أوسلو وعددهم 25 أسيراً، وخلال سنوات اعتقاله فقدَ والديه، وحُرم غالبية أشقائه من زيارته لسنوات لذرائع أمنية.

محنة الأسرى المحررين

ولا تأبه سلطات الاحتلال بالحالة الصحية للأسرى وبأمراضهم. ويوضح نادي الأسير الفلسطيني إن الأسرى المحررين أيضا يكابدون الملاحقات وكذلك أمراضا مردها السجن الوحشي لمدة طويلة. من هؤلاء الأسير السابق المصاب بسرطان الدم حسين مسالمة من بيت لحم، قد وصل إلى مرحلة حرجة جدًا حيث يمكث منذ الإفراج عنه من

والدة الأسير حمامرة

وبطبيعة الحال يسدّد ذوو الأسرى أثمانا باهظة بحالتهم الصحية والنفسية أيضا وتوصل والدة الأسير أحمد حمامرة من بيت لحم، المضرب عن الطعام رفضا لاعتقاله الإداري لليوم 21 على التوالي إضرابها عن الطعام منذ عدة أيام إسنادا لنجلها. وطالب رئيس الوزراء الفلسطيني محمد اشتية، الأربعاء، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بالتدخل لدى إسرائيل للإفراج عن قدامى الأسرى في سجونها. جاء ذلك خلال لقائه رئيسة بعثة الصليب الأحمر في القدس إليس دوبوف، داخل مكتبه في مدينة رام الله، وفق بيان صادر عن رئاسة الوزراء. ويدعو اشتية «الصليب الأحمر» للتدخل من أجل الإفراج عن الأسرى القدامى في سجون الاحتلال، والذين كان من المفترض أن يفرج عنهم ضمن الدفعة الرابعة، وفق الاتفاق الذي تراجعت عنه إسرائيل في 2014. كما يؤكد ضرورة أن يتابع الصليب الأحمر الزيادة المطردة في الاعتقالات التي تنفذها قوات الاحتلال في مختلف محافظات الضفة الغربية، وكذلك ظروف الاعتقال وأحوال الأسرى المضربين عن الطعام، وفق البيان. ووفق نادي الأسير الفلسطيني تعتقل إسرائيل 25 فلسطينيا منذ ما قبل توقيع اتفاق أوسلو عام 1993 وهو العام الذي أعلن فيه قيام السلطة الفلسطينية، أقدمهم الأسيران كريم يونس، وماهر يونس من قرية عارة داخل أراضي 48 المعتقلان بشكل متواصل منذ عام 1983. وفي 2013 وافقت إسرائيل مع استئناف المفاوضات، على الإفراج عن قدامى الأسرى الفلسطينيين وعددهم 104 على 4 دفعات، لكنها تراجعت في 2014 عن إطلاق الدفعة الرابعة والأخيرة، ومن حينها تعطلت المفاوضات ولم تستأنف حتى اليوم. وتعتقل إسرائيل في سجونها نحو 4850 أسيرا، بينهم 41 أسيرة، و225 طفلا، و540 معتقلا إداريا، وفق مؤسسات متخصصة في شؤون الأسرى.

حماس: الاعتقال الإداري تجاوز للقوانين الدولية

وتعتبر حركة «حماس» الاعتقال الإداري الذي تمارسه إسرائيل بحق المعتقلين الفلسطينيين في سجونها «تجاوزا» للقوانين الدولية. ويوضح عضو المكتب السياسي لحماس خليل الحية خلال لقاء نظمته الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان (حكومية) في مدينة غزة، لمناقشة أوضاع المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية أن إسرائيل تلتف بواسطة الاعتقال الإداري على المواثيق العالمية الخاصة بحقوق الأسرى. وأضاف أن «شعبنا ومقاومته خلف الأسرى في سجون الاحتلال، خاصة الذين يعانون من الاعتقال الإداري». وأوضح أن بعض أبناء الشعب الفلسطيني قضوا فترات تصل لأكثر من 15 عامًا سواء متصلة أو منفصلة بموجب هذا الاعتقال بشكل مخالف لكل القوانين الدولية.

إضراب جماعي

وذكر أن «مرحلة إضراب الأسرى الإداريين عن الطعام خطوة جريئة وقوية يساندها شعبنا جميعا» ويدعو الحية، ما سماها «المؤسسات الداعمة للحق الفلسطيني» إلى «تسليط الضوء على البعد القانوني فيما يتعلق بجرائم الاحتلال في فلسطين، ورفعها أمام العالم، وكشف اللثام عن وجهه وفضح ممارساته». مذكّرا بأن الاعتقال الإداري، قرار حبس من دون محاكمة تقره المخابرات الإسرائيلية، بالتنسيق مع القائد العسكري في الضفة الغربية المحتلة، لمدة بين شهر و6 أشهر، ويتم إقراره بناء على «معلومات سرية أمنية» بحق المعتقل. وكشف نادي الأسير عن «مشاورات واسعة» بين الأسرى الإداريين «لبلورة خطة نضالية لمواجهة سياسة الاعتقال الإداري». ورجح النادي أن تصل الخطوة إلى إضراب جماعي خلال الفترة المقبلة، إضافة مقاطعة المحاكم العسكرية الإسرائيلية التي يحاكمون أمامها. ووفق نادي الأسير، كانت آخر مواجهة جماعية بالإضراب عن الطعام للأسرى الإداريين عام 2014 واستمرت 62 يومًا. وسبق أن أطلقت فصائل فلسطينية، ومؤسسات تُعنى بشؤون الأسرى، الأحد، حملة محلية ودولية للضغط على إسرائيل لإنهاء ملف «الاعتقال الإداري».

كتب

«أتحدث عن الزرقة لا البحر» مجموعة الشاعر السوري حسين بن حمزة: لون آخر لاختزال القصيدة حدّ الأثير

المثنى الشيخ عطية

يفضّل الكثيرون من مريدي «القصيدة الخارجية» ــ التي ينضوي تحت ظلها الكثير من شعر القصيدة العمودية، وشعر قصيدة التفعيلة التي تنهج نهجها باختلاف الاقتصار على تفعيلة واحدة، والكثير من شعر قصيدة النثر كذلك ــ عيش نوع هذه القصيدة ترنماً يسمعون فيه الآخر لتجنّب مواجهة سماع أنفسهم، بحياديتها تجاههم، حتى لو تحدثتْ بصيغة الجمع «نحن». ويهربون بحجة الغموض إليها من عيش «القصيدة الداخلية» التي تضعهم في غرفة مرايا أنفسهم، ليروا السكاكين التي في أيديهم، أو الذيول التي تخترق سراويلهم للخروج إلى الشمس، أو دماء الكائنات التي قتلوا أو حلموا بقتلها، أو شرور ما انطوت عليه أنفسهم، أو ليروا ببساطة خوفهم الذي يدفعهم للهرب من مواجهة عالم يضعهم أمام تحديات يوهمون أنفسهم بعدم قدرتهم على مواجهتها، سواء في التعامل مع مضطهديهم أو مع من أحبوا أو من عشقوا.

لا يفسر هذا الكلام التعميمي بطبيعة الحال إلا جزءاً يسيراً من دوافع تفضيل القارئ لأنواع الشعر حيث تأتي كذلك التربية التي تترسخ في النفس، والعادات التي يصعب الفكاك منها، والتعصب الذي تكرسه التربية والعادات، ليمنعوا تذوق القصيدة الداخلية التي تفتح الدواخل.

الشاعر السوري حسين بن حمزة، أحد مبدعي «قصيدة الداخل»، بميّزة الوضوح المتراكب الذي يولّد الغموض المخيف، ويقرّب في ذات الوقت جمهور القصيدة الخارجية من عيش قصيدته، بالعدوية التي تميّزها؛ يقدم مجموعته الشعرية الثالثة الجديدة، مع ترجمات إلى الألمانية أنجزها كورنتز أورت، تحت عنوان: «أتحدّث عن الزرقة لا البحر»، ليستمر في مشروعه الشعري الاختزالي القائم على غنى تقشّف القصيدة، من «نحيلة ومائلة إلى القصر» تماثلاً مع المعشوقة والرياضيات والموسيقى، حيث لا زيادة ولا نقصان في تجلّي الجوهر المختزل بميزان ذهب، إلى قصيدة أثيرية لا تُرى أكثر مما تشمّ وتضمّ بأجنحة الروح، المحلّقة بدهشتها. وذلك بعرض وجه آخر لهذا المشروع، الذي تعبّر عن جزء منه قصيدته التي يفتتح بها المجموعة تحت عنوان يوحي به، هو «طقس»:

«أحبّ أن أقرأ قصائدي لشخصين أو ثلاثة لا أكثر/ أن يحنوا رؤوسهم قليلاً لكي يتلذذوا بنبرتها المنخفضة/ ويلتقطوا الاستعارات المدفونة فيها/ أن يَبدو المشهدُ وكأننا نتبادل نخب صداقةٍ حميمة/ وأنني بدلاً من قراءة القصائد أقطّر كلماتها في آذانهم/ كأنهم/ يتلقّون مخدراً مضاداً للأرق فينعسون ويميلون أكثر عليّ/ فأبدو كمن يربّت على أكتافهم/ ويمسّد على رؤوسهم/ وأنني في الحقيقة/ لا أقرأ شعراً/ بل أحرّك شفتيّ فقط/ مردداً تعويذةً صامتة/ تكفي لكي أميل أنا أيضاً بحيرة نومهم!».

وربما يضيء هذا التداخل الشفاف الواضح الغامض في قفلة القصيدة للقارئ سرعان ما يتجلّى أكثر فأكثر مع تدفّق القصائد، لتمرّ «يد المرأة» في قصيدة «مطر» بحديثها عن المطر الذي تسير تحته وهو رذاذ لم يكتمل بعد إلى مطر، وتمرّ المجازات التي تمارس المجاز على بعضها في قصيدة «فمك»، ولتكتمل ولا تكتمل في القصيدة التي تحمل عنوان المجموعة.

في تحدثه عن «الزرقة لا البحر»، وكعادته في المحو والصقل والاختزال إلى حدّ الأثير، يلغي بن حمزة في بنية مجموعته هذه، ما فعله من تقسيم قصائده إلى مجموعات أربع في مجموعته السابقة عليها: «قصائد دون سن الرشد»، لتزول الجدران كذلك بين تصانيف القصائد، التي ينفد منها وإليها القارئ مع شعور بها، ويعيش تسعاً وخمسين قصيدة قصيرةً لكنها كالعادة كما ناطحة سحاب، نحيفة تثير لذة الخوف من تلاعب الهواء بقوامها. ولا يُخطئ القارئ في الحقيقة هذه التصانيف التي يمكنه وضع بعضها، من مثل:

ــ الحديث عن القصيدة نفسها، كفنّ، متداخلاً بالحياة التي تتحدث عنها، في كونها وأسلوب كتابتها وتطوّرها بين يدي شاعر مسنوس بالأثير، وضياعها على دروب التهجير والمنافي مزّقاً، وفي مجاهل البحار غرَقاً، وفي حبّها وهجرانها وتداخلها بين الحبّ والهجران، وفي علاقتها مع الآخر بالعمق الذي يعكسه العنوان، وبفنّية الاختزال الذي لا يستخدم سوى ما تحتاج القصيدة لتكون ملعب كرة حاشدٍ في مباراة مصيرية؛

«أتحدث عن الزرقة لا البحر/ لو كنت شاعراً آخر لاسترسلت وقلت إني ربما لا أقصد زرقة البحر/ بل فستان امرأة كنت أتخيل أن أسماكاً صغيرةً ستعوم يوماً في زرقته/ وربما قلت إن الزرقة هي تلك الكدمات التي تركتْها/ قرب سُرّة صاحبة الفستان وعلى عنقها/ لأني صدّقت أن بَشَرتها الصافية يمكن أن تُرتشف/ بإمكاني أن أقول إن الزرقة هي البحر (الرمادي وليس الأزرق)/ الذي غرق فيه أهلي في نزوحهم إلى المنفى/ وربما كنت لا أقصد سوى اللون الأزرق العادي/ وأنّ البحر هو مجرد مجاز أو ذريعة/ يمكنني أن أكمل أكثر، ولكني كما تعرفون/ شاعر السطرين والصورة الواحدة، والاستطرادُ ليس مهنتي/ لذا سأعود وأقول:/ أتحدث عن الزرقة لا البحر/ ثم أصمت!».

ــ الحديث عن اللاجئين، بعيانية السوريين في ألمانيا، حيث لجأ الشاعر وأقام قادماً من بيروت عام 2017، وفي هذا الحديث يلمس القارئ ويعيش قصائدَ المجموعة متتاليةً في مرارة اللجوء، وتمزّق اللاجئين فيزيائياً على أشواك دروب الهجرة وأمواج الغرق، وروحياً بما حملوا على أكتافهم من ماضيهم ومن عُقد عَقائدهم، ومن ضيق آفاقهم في الآفاق المفتوحة أمامهم، من مثل قصائد: الماضي، ليْتهم لم يفتحوا لنا الحدود، دموع، معاطف، حفلة شواء، نباتات، وقصيدة «لاجئون» التي يقترب بن حمزة في فنيتها من أسلوب إدخال الحكاية في قصيدة النثر، مع الحفاظ على أسلوب اختزاله:

«بسكاكين المطبخ التي حملناها بين أمتعتنا/ قشّرنا حبّات الفاكهة/ التي قدّمها لنا مُضيفونا في المنفى/ وفي الأدراج القديمة للكامبات التي أوتنا/ احتفظنا بها/ مشحوذةً /ولامعة/ كي ننكأ بها ندوبنا القديمة كلما يَبِستْ/ التقطنا صُور سيلفي عاجلةً/ بثياب لا تزال مرطّبة بالبحر الذي ابتلع أقرباءَ لنا/ بدأنا نرطنُ بلغاتٍ جديدة/ شيَّرنا على حساباتنا الفيسبوكية صورا أخّاذة للطبيعة/ متمرّغين على أعشابها كثيرانٍ سعيدة/ ولكننا بالسكاكين ذاتها التي خبأناها/ مشحوذةً/ وناصعة/ في الأدراج/ رُحنا نسدّد الطعنات لبعضنا البعض/ كما كنا نفعل في مسقط الرأس».

ــ الحديث عن الآخر/ الألماني، الذي يدخل المجموعة نفاداً من اللاجئ، كحاجة الوحيد للوحيد، بتصوير عادات الاثنين، ونظرتهما لبعض، في تتالي قصائد: ضيف ألماني، قصيدة نظيفة، جاري الألماني، عمل، لغة مجروحة، زيارة ذاتية، كلاب، وقصيدة «لغة ريلكه» التي تعكس تفاعل بن حمزة مع الثقافة الألمانية، من الشارع، الذي يعكس أسلوبه في استخدام الحياة اليومية: «بخفة الزائر العابر/ أتسكع في برلين/ لغة ريلكه/ تنساب فجأة على لساني/ كانزلاق عربات المترو/ في جوف المدينة المزدحمة».

ــ الحديث عن الوحدة التي لا يتخلّى عنها بن حمزة وكانت أحد أعمدة مجموعته السابقة، نفاداً من قصيدة الحديث عن الآخر: «كلاب». وفي هذا الحديث تدخل قصائد: الوحدة تبقى، لطختان في لوحة، وحدة، وقصيدة بطريق؛ حيث يمكن للقارئ أن يعيش لوناً آخر من وحدة الشاعر وينفذ إلى وحدته الذاتية في نوع قصيدة الداخل، التي يواجه فيها نفسه بغرفة مراياه التي تريه أقنعة شروره بقدر ما تريه نقاء داخله الإنساني.

ــ الحديث عن الحب، الذي لا يتخلّى بن حمزة عنه كذلك، ويقترب في شفافية الحديث عنه من لغة وأسلوب أراغون في تتبعه تفاصيل حركة إلزا، وأسلوب جاك بريفير في الإدهاش، وربّما تعبّر قصيدة «مديح» عن أسلوب بن حمزة في ذلك: «بأقلام الرصاص غير المبريّة جيداً/ بأقلام الحبر الجاف الرخيصة/ أو بالأقلام ذات الماركات المُهينة/ الاستعارات والصور ذاتُها/ تتدافع على الورق/ لكي تمتدح حركةَ يدك/ وأنت تدخّنين أو تشرحين شيئاً!».

غلاف النسخة الألمانية

وفي الحديث «عن الزرقة لا البحر»، حيث تتداخل العوالم، يقدّم بن حمزة مجموعته بجملة تجسد مشروعه الاختزالي، وفي الباب الذي يعكس إصدار المجموعة بالعربية وبترجمات إلى الألمانية، تعبيراً عن ولعه بوحدة تكوينه التي يريدها كما يبدو أن تعود إلى خليتها الأولى كما الحياة نفسها: «عشت غريباً مثل قصيدة مترجمة».

حسين بن حمزة:
«أتحدث عن الزرقة لا البحر»
منشورات كونفيرسو، باد هارينالب (ألمانيا) 2020
96 صفحة.

الباحث المصري علي الدين هلال في «الانتقال إلى الديمقراطية»: قضايا حيوية حول العلاقة بين الحاكم والمحكوم

نزار صالح

منذ السطور الأولى يجد المؤلف نفسه ملزماً بالإجابة عن سؤالين، على سبيل تبرير إصدار كتابه هذا: «لماذا يُؤلف كتاب جديد عن الانتقال إلى الديمقراطية؟ وما الذي يمكن أن يضيفه إلى عشرات الكتب التي صدرت في هذا الموضوع؟». وبالفعل، ثمة وجاهة واضحة في تبرير كتابة العمل من جانب المؤلف، وكذلك دافع القارئ في الاطلاع عليه.

ويقول علي الدين هلال إن الجديد الأول في كتابه هو استعراض الخبرات الدولية للانتقال الديمقراطي مقابل تعثر هذا الانتقال في العالم العربي، والجديد الثاني هو التساؤل عن ماهية تلك «الديمقراطية» التي ننتقل إليها، وهل هي مجموعة من المؤسسات والإجراءات المتعلقة بطريقة الوصول إلى الحكم وتداول السلطة؟ ولا يغفل هلال حقيقة أن كتابه يصدر بعد أكثر من ربع قرن على ثورات دول شرق أوروبا التي أسقطت عشرات «الأنظمة السلطوية» وأقامت أنظمة ديمقراطية بديلة.

ومن حيث المبدأ التأسيسي، يشير هلال إلى أنّ «أهمية موضوع الديمقراطية تنبع من أنها تتناول قضايا حيوية تشمل طبيعة العلاقات بين الحاكمين والمحكومين، واساس الطاعة السياسية أو الالتزام السياسي، والتوازن الضروري والمطلوب بين الحرية والسلطة، وبين الحق والواجب، والعلاقة بين الدولة والقوى الاجتماعية، ومدى تعبير الأولى ــ باعتبارها شكلاً مؤسسياً وقانونياً ــ عن المجتمع». كذلك يوضح، بجلاء مفيد في الواقع لجهة التعريف الوجيز بطبيعة مقاربته، أنّ «البحث في موضوع الديمقراطية هو بحث في الشرعية: شرعية الدولة وشرعية النظم السياسية والاجتماعية».

وتتوزع مادة الكتاب على مقدمة وستة فصول، فيتناول الفصل الأول الديمقراطية بين القيم والمؤسسات، حيث يعود هلال إلى الأصل الإغريقي للمصطلح، كما يمرّ على إسهامات مفكري نظرية العقد الاجتماعي أمثال الإنكليزي جون لوك والفرنسي مونتسكيو ومواطنه جان جاك روسو، ويستعرض سلسلة من تطبيقات الديمقراطية في العصور والمجتمعات المختلفة، ليخلص إلى أنه لا يمكن «اعتقال» معنى الديمقراطية في تعريف جامد خارج عن الزمان والمكان. وهذا يتيح له شرح أساسين للديمقراطية، هما القيم التي تمثل ثقافة الديمقراطية (التعددية، الحرية، العدل)، ثم المؤسسات والترتيبات التنظيمية المرتبطة بالديمقراطية (حكم القانون، الفصل بين السلطات، تعدد الأحزاب، وجود مجال عام مفتوح وحر، انتخابات عامة دورية ونزيهة).

الفصل الثاني يعود إلى الاتجاهات النظرية في تفسير نشأة النظم الديمقراطية، فيسهب في شرح الشروط أو المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية للديمقراطية، واتجاهات تعريفها ومدارس تحليلها. هنالك اتجاه التنمية/ التحديث، وضمن عناصره وجود طبقة وسطى عريضة ونظام طبقي مرن، ارتفاع نسبة التعليم، ثقافة داعمة لمؤسسات النظام الديمقراطي وترتيباته. هنالك ثانياً اتجاه الفاعلين السياسيين، واختيارات النخب وتفضيلاتها. وهنالك ثالثاً اتجاه التحليل البنائي، من حيث نمط توزيع القوة الاقتصادية والاجتماعية.

في الفصل الثالث يناقش هلال انهيار النظم السلطوية، ويفصّل أنماط السلطة والتسلط ومجموعة أزماتها، فضلاً عن بدائل مثل الانتخابات والقضاء والبرلمان والإعلام والمنظمات غير الحكومية. غاية الفصل هي استعراض سمات النظم السلطوية وانتقالها من «السلطوية النقية» إلى «السلطوية الهجين»، ثم عرض آليات انهيار هذه النظم والتفاعلات المرتبطة بها والفاعلين الرئيسيين في هذه العملية، والتأثيرات الداخلية والخارجية.

يبحث الفصل الرابع عملية الانتقال إلى الديمقراطية، فيسوق المؤلف التعريفات والأنماط والسمات والأشكال، ويضرب أمثلة من أنظمة ومجتمعات وتجارب مختلفة. هنالك نمط الانتقال من أعلى ودور النخبة الحاكمة، ونمط التفاوض بين نخب الحكم والمعارضة، ونمط الانتقال من أسفل ودور التعبئة الجماعية والفعل المباشر، ونمط الانتقال من خلال الاحتجاجات الشعبية، ونمط الفرض بالقوة من الخارج.

هذه الخلاصات تفضي إلى مواضيع الفصل الخامس، الذي يعرض طرائق تعزيز الديمقراطية طبقاً لمستويات متباينة من معنى التعزيز، والعوامل الكفيلة بتحقيقه، والأطراف والقوى والمؤسسات المشاركة فيه. ويحرص هلال على الإشارة إلى أن التمييز بين عمليتي الانتقال إلى الديمقراطية والتعزيز الديمقراطي لا يعني «وجود نقاط زمنية تفصل بينهما في الواقع»، بل إنه على العكس يوجد تواصل وتداخل بينهما في الأدوات والمسارات: «الأولى تمهيد للثانية وتقود إليها وتؤثر فيها، ولذلك توصف هذه الصلة بأنها متصلة ولكنها ليست خطية».

ويكون الفصل السادس والأخير بمثابة خلاصة واستنتاج حول حدود الانتقال إلى الديمقراطية وتعدد المفاهيم والأنماط في السيرورة بأسرها، وفيه يتابع القارئ أشكال الديمقراطية التمثيلية، والديمقراطية الليبرالية (ويفرد هلال فقرات خاصة حول التزاوج بين الليبرالية والديمقراطية ونقد أنماطه)، والديمقراطية النخبوية، والديمقراطية التوافقية، والديمقراطية الاجتماعية، والديمقراطية الرقمية (خاصة في أوساط الشباب وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، حيث ولدت مصطلحات مثل «التنشئة الإلكترونية» و«المواطن الشبكي» و«الأحزاب الإلكترونية»).

وفي خاتمة كتابه يشدد هلال على أنّ «تقييم النظم الديمقراطية ينبغي ألا يعتمد على وصف المؤسسات وشكلها فقط، بل ينبغي أن يعتمد أيضاً على وصف ما تضطلع به من وظائف وأدوار في الواقع». ذلك أيضاً لأنّ «النظام الديمقراطي ليس مجرد فاعلين وانتخابات وتشكيل حكومات، وليس مجرد من يحصل على النسبة الأكبر من أصوات الناخبين، بل ماذا يستطيع هؤلاء الفاعلون من قوى ومؤسسات فعله، ومدى تمثيلهم للمصالح الاجتماعية وقدرتهم على تحسين ظروف الحياة لأكبر عدد من الناس».

وفي جميع هذه الفصول يتبع المؤلف منهج العرض النظري للمفاهيم والمشكلات، ويُخضعها للتطوير والربط مع سواها أو ضمن مجموعات متقابلة أو متناقضة، وينتهي إلى مساءلة بعضها عن طريق وضعها على محك النتائج الفعلية لجهة النجاح أو الفشل هنا وهناك في تجارب الشعوب والمجتمعات. وإذا صحّ أنّ هذا المنهج أفاد الكاتب وسهّل عليه استكمال فصول الكتاب من دون مشقة إضافية، فإنه في الواقع فوّت على القارئ فرصة الإطلالة النقدية على المفاهيم والمشكلات. هنا يلوح أنّ المنهج أقلّ انسجاماً مع محتوى يتطلب التمحيص وإشراك القارئ في أدوار أكثر مرونة من حيث الاستقراء والاستخلاص.

يزيد في تأطير هذه الإشكالية أنّ المؤلف لا يعتمد مدرسة نقدية محددة، وإن كان يميل عموماً إلى المقاربة المفهومية والتاريخية للظواهر المرتبطة بمشكلات الديمقراطية، والعرض المحايد أحياناً هو أحد وسائله في تغطية المادة من دون اتخاذ مواقف نقدية صريحة. ويتوجب التنويه هنا إلى أنّ العمل هذا يدخل في سياق مؤلفات أخرى أصدرها هلال وتتناول المسألة الديمقراطية أيضاً، وبعضها أكثر قرباً من خيار البحث الملموس في الأبعاد المحلية، مثل كتابه «النظام السياسي المصري بين إرث الماضي وتحديات المستقبل»، وكتابه الآخر المعنون «العهد البرلماني في مصر».

كذلك فإنّ هلال يساجل خلاف الاعتقاد السائد الذي يقول بأنّ الديمقراطية «علاج لكل الأمراض والعلل الاجتماعية»، وأنها «البلسم الشافي لحالة التخلف بكل ما فيها من مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية». وكان موقفه المبدئي هذا جديراً باستدراج نقاشات معمقة في فصول الكتاب، خاصة حول معضلات محددة تخص الانتقال إلى الديمقراطية في المجتمعات والنظم العربية، لكنه شاء التركيز على الآراء والتنظيرات والفلسفات المختلفة، الغربية بصفة خاصة، وبالتالي تحوّل كتابه إلى عمل آخر متكرر في هذا المضمار، فتراجعت فوائد الدراسة وفقدت قسطاً غير قليل من قيمتها السجالية والنقدية.

ولعل أنساق استخدام المراجع أسهمت بدورها في تبديد بعض القيمة السجالية للكتاب، إذ أنّ هلال يعود إلى مؤلفات يميل أغلبها إلى العمومية والبحث النظري، وهذا لحسن الحظ لم يضعف موثوقية إسناد المصدر أو توظيفه، وإنْ كان يمسّ في بعض الأمثلة دقّة بعض المصطلحات قياساً على عناصر تاريخية أو إيديولوجية لم تعد واردة تماماً في العصر الراهن. وعلى سبيل المثال، في عرضه لمفهوم «الديمقراطية الاجتماعية» يعود هلال إلى الأحزاب الروسية في القرن التاسع عشر، بعد تمييز سابق مع «الاشتراكية الديمقراطية» في الحقبة ذاتها.

وإذا كانت مادة الكتاب تنتهي إلى معالجة طائفة واسعة من القضايا التي تتصل بمفهوم الديمقراطية، إلا أنها في الإجمال لا تقارب بالعمق المطلوب تلك الأسئلة الكبرى التي تدور حول إشكاليات امتناع الانتقال إلى الديمقراطية في غالبية المجتمعات العربية، وهو الجديد الأهم الذي انطوى عليه وعد الكتاب.

علي الدين هلال: «الانتقال إلى الديمقراطية، ماذا يستفيد العرب من تجارب الآخرين؟»
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 2019
232 صفحة.

حسن نجمي: «ضريح أنّا أخماتوفا»

بعد مجموعته الشعرية الأولى «لك الإمارة أيتها الخزامى»، 1982، أصدر الشاعر المغربي حسن نجمي العديد من المجموعات الشعرية، بينها «سقط سهواً»، «حياة صغيرة»، «ليل يستريح على خشب النافذة»، «المستحمات»، «على انفراد»، «فكرة النهر»، و«أذى كالحبّ». كما أصدر مجموعة مشتركة مع الفنان محمد القاسمي، بعنوان «الرياح البنية»، وله في الرواية «الحجاب» و«جرترود»؛ ووقّع عدداً من الأعمال النقدية والمقالات، بينها «الشاعر والتجربة»، «شعرية الفضاء» و«الناس والسلطة». وفي الشعر كما في السرد والنصوص والأبحاث، واصل نجمي تطوير شخصيته الإبداعية والفكرية وصناعة بصمة خاصة انفرادية تميّزه على صعيد مجايليه ضمن التيارات الحداثية في المغرب خصوصاً، والعالم العربي عموماً.

مجموعته الجديدة «ضريح أنّا أخماتوفا» قوامها 75 قصيدة معنونة، تتوزّع على خمسة أقسام تحمل العناوين التالية: «كجثّة طفل ألقى بها البحر»، «بالقرب من الحياة»، «مرايا»، «قصائد المستشفى العسكري»، و«قصائد الكاريبي». ومن الطفل السوري الذي قضى على شاطئ البحر في الصورة المأساوية الشهيرة، إلى ضريح الشاعرة الروسية الأشهر، مروراً بمرايا أسطلة الوجود والمرض والموت المتعدد وبرازخ الحياة التي لا تقلّ تعدداً، يقترح نجمي سياحة في النفس الشاعرة البشرية، عريضة شاسعة الأبعاد، يهيمن ضمير المتكلم على معظم ضمائرها الناطقة، ويحضر التاريخ بأثقاله وهواجسه وعذاباته وإشراقاته، من دون أن ينكسر الحسّ الغنائي العالي الذي يطبع مناخات المجموعة. القصائد تعتمد شكل قصيدة النثر، على جري عادة نجمي، لكنها لا تقتصر على صيغة السطور بل تلجأ كذلك إلى الكتلة المرسلة أو التنويع بينهما، كما تتراوح الأحجام بين قصيدة في ثمانية سطور وأخرى في أكثر من 60 سطراً.

هنا قصيدة «وصيف الموت»:

قُلْ لي، لِمَاذَا تَجْرِي وَحْدَكَ نَحْوَ اللَّيْلِ؟
كَأَنَّكَ تَخْشَى أَنْ تُطِيلَ الوُقُوفَ طويلاً مَعَ الآخرينَ
تحت رَايَاتِ الضَّوْءِ.
كَأَنَّ الأَرْضَ تَدْعُوكَ إلى أَغْطِيَةٍ مِنْ طِينٍ.

هُنَاكَ لَنْ تَعْثُرَ عَلَى لُهُبِ اللَّمْسِ التي اعتَدْتَهَا
لَنْ تَرُدَّدَ عَلَيْكَ رَائِحَةُ الخُبْزِ السَّاخِنِ في الأَلْوَاحِ.

هُنَاكَ لَنْ تَخزَكَ إِبَرُ الحَيَاةِ.
لَنْ تتذَكَّرَ حَليبَ المَهْدِ والهَدْهَدَاتِ.
لاقُبَّلَةَ حُبٍّ
ولا ذِرَاعاً سَتَتَوَسَّدُهَا
لَنْ تَنَامَ كَمَا كُنْتَ تَنَامُ كُلَّ مَسَاءٍ في سَرِيرِ شَيْطَانٍ.
لَنْ تَلْمَسَ ثُغَّاحَكَ والأَعْنَابَ ولَنْ تَشْرَبَ مِنْ كُرُومِك.
لَنْ تَضَعَ يَدَكَ في حَقْلِ الزَّعْفَرَانِ.
ولا جِدَاراً لِتَسْتَنِدَ عِظَامُك حِينَ تَعْرَى مِنْ لَحْمِهَا.
هُنَاكَ، في الغَوْرِ البَعِيدِ، جِهَةَ الدِّيدَانِ.
في مَمْلَكَةٍ مِنْ صَمْتٍ وانْكِسَارِ جِنرالاتٍ وأَصْوَاتٍ تَتَرَنَّحِي.
سَتُحَاطُ بالأَرْضِ والنَّيْلِ والذِّكْرَى.
تَصْدَأُ كَقِطْعَةِ حَدِيدٍ قَدِيمٍ
وَتَتَلاشَى.
ثُمَّ سَيَكُونُ عَلَيَّ أَنْ أُصَدِّقَ أَنَّكَ سَتَصِيرُ بِذْرَةً.
ولَكِنَّكَ سَتَبْقَى وَحْدَكَ.

ولأَنَّنِي سَأَفْتَقِدُكَ، قَدْ أَلْتَحِقُ بِكَ عِنْدَ المَصَبِّ.
مَعَ أَنَّنِي أُفَضِّلُ أَنْ أَنْتَظِرَكَ هُنَا –
قُرْبَ شِلَالِ الحَيَاةِ.

الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2021

أحمد عبد اللطيف: «مملكة مارك زوكربيرج وطيوره الخرافية»

أحمد عبد اللطيف، في تعريف الناشر، روائي ومترجم وصحافي مصري، صدرت له ست روايات، وترجم أكثر من 30 كتاباً بين الإسبانية والعربية. فازت روايته الأولى «صانع المفاتيح» بجائزة الدولة التشجيعية عام 2011، ونالت «كتاب النحات» المركز الأول في جائزة ساويرس للرواية فرع الشباب عام 2015، كما وصلت روايته «حصن التراب: حكاية عائلة موريسكية» إلى القائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية عام 2018. وفي الترجمة فاز بجائزة المركز القومي للترجمة في دورتها الأولى للشباب عن ترجمة رواية «الكون في راحة اليد» عام 2013، كما أنجز ترجمة كتاب ريكاردو بيجليا «القارئ الأخير»، وروايتَي خوان خوسّيه مِيّاس «من الظل»، و«أحمق وميّت وابن حرام وغير مرئي».

عمله الجديد هذا، «مملكة مارك زوكربيرج وطيوره الخرافية»، مجموعة قصصية تغامر بجسارة على أكثر من صعيد، في الشكل واللغة والتقنيات ومعطيات القصة القصيرة إجمالاً، كما «تنتصرُ للحبّ في أشدّ حالاته هشاشة، وتتبنى الطرد والغربة كثيمة رئيسية» حسب الناشر. وعبر ثلاثة أجزاء تتوزّع قصص المجموعة الخمس، والتي جاءت عناوينها طويلة أيضاً بالتناسب مع عنوان المجموعة، فيضعنا عبد اللطيف في جوّ قصصه الغرائبية من دون إبطاء، ويقترح على القارئ أن يتخلّى عن كل ارتباطٍ بالواقع، ليرصد تحوّلاته في «واقع افتراضي ليس هو الواقع لكنه ليس هو الوهم»، كما يقول صاحب اللسان المبتور في القصة الأولى من الكتاب. ويتابع الناشر: «سنقع ومنذ أوّل قصة على أبطالٍ تائهين، أو يصنعون المتاهة التي تلتهم كلّ شيء، من الواقع الافتراضي اللهفة على التجربة والمغامرة وفهمتُ حين أدركتُ ذلك أنّ الغيب ليس محتجباً تماماً إنما له علامات تتجلّى لنا من آنٍ لآخر دون أن ننتبه لها».

هنا نموذج على نثر عبد اللطيف:

«أحياناً كانت تصنع أشكالاً صغيرة لبشر يسيرون في الشارع أو يجلسون في شرفة لتمنح للمدينة حياة ونبضاً وفي مديد صنعتْ من الصلصال أفراداً يسيرون بشوارع بوسط المدينة منهم رجل طويل ونحيف وله لحية وشارب يسير بشارع أتوتشا وحينها تأمّلتْه كثيراً وهي استغرقتْ تأمّلي وتوقّفي عنده وتعليقي عليه أكثر من تعليقي على المدينة نفسها ولكنْ لم يكن لديَّ جواب حينها وبعد سنوات طوال اكتشفتُ أن هذا الرجل هو أنا وأني أسير وحيداً بلحية وشارب بشارع أتوتشا في طريقي للقاء نيوركا بعد أن تعرّفتُ إليها عن طريق التيندر وتواعدنا ليرى كلٌ منّا الآخر ويلمس كلٌ منّا الآخر فكانت خطواتي مضطربة بخوف يفوق اللهفة على التجربة والمغامرة وفهمتُ حين أدركتُ ذلك أنّ الغيب ليس محتجباً تماماً إنما له علامات تتجلّى لنا من آنٍ لآخر دون أن ننتبه لها».

المتوسط، ميلانو 2021

Sonia Nimr: «Wonderous Journeys in Strange Land»
Translated by Marcia Lynx Qualey

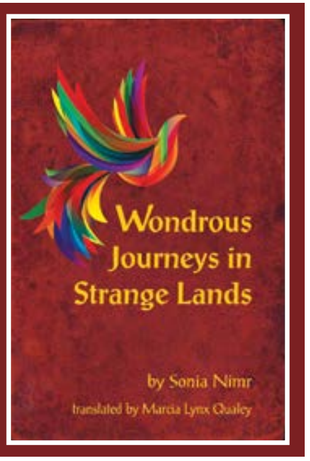

سونيا نمر، الكاتبة الفلسطينية وأستاذة الفلسفة والدراسات الثقافية في جامعة بير زيت، لا ترى حرجاً في أن توصف أيضاً بـ«الحكواتية»، لأنها بين أفضل من يجمع في النصّ الواحد بين الحكاية والفلولكلور والأنثروبولوجيا، ضمن توجّه عامّ نحو الناشئة واليافعين؛ وهذا ما يتجلى، بوضوح بالغ التميّز، في أعمال مثل قصّة أولها خيال وآخرها خيال»، «الغول الغدّار»، «مختار أبو دنين كبار»، «ملك الحكايات»، و«طائر الرعد». لكنه يتجلى، بصفة خاصة وأثيرة، في «رحلات عجيبة في البلاد الغريبة»، الذي نقلته مارشيا لنكس كويلي إلى الإنكليزية مؤخراً. والرحلة الأولى تبدأ على لسان راوية تلتقي، خلال ندوة في مراكش، مع شخص من طنجة يسلمها رزمة من الأوراق عُثر عليها في جرّة مدفونة في فناء بيت قرب البحر، ليتضح أنّ الأوراق تدوّن سلسلة حكايات/رحلات ترويها قمر، الفلسطينية التي ولدتها أمها، مع شقيقتها التوأم شمس، في خيمة على سفح أحد جبال فلسطين. وإذْ تُصاب القرية بلعنة غامضة تمنع ولادة الإناث فيها، فيموت الأب وتلتحق به الأمّ، تقرر قمر وشمس تحقيق حلم الوالدين بالسياحة في العالم، وتدوين المشاهدات والحكايات.

هنا فقرات من ختام الكتاب، في الأصل العربي:

«مرّت أيامي وابتسامة شمس المضيئة، ويدها تلوّح لي والدموع تغسل وجهها.

أحسست ثانية بأول شهقة دهشة أمام انعكاس الشمس الضاربة فوق قبة الصخرة.

وجه العزيزة أم نجم القلق دائما، نور الهدى ترفع قدميها وتقفز فوق الحصان برشاقة معلمي في طنجة ينظر إلي بحزن حين جمعت أمتعتي وكتبي كسيرة القلب أمضي نحو مستقبل مجهول.

رأيت وجه علاء الدين يرتسم بوضوح فوق الماء ويغمز بعينه: «أليست الحياة كلها مغامرة؟»

كم مرّت عليّ من قوافل وسفن، صحارى وبحار... وسفر!

(...) ها أنا في قلب العالم مرّة أخرى، ليس لكشف المجهول، ولا من أجل إشباع رغبة طالما الحّت عليّ بالسفر ودفعتني نحو طريق غامض، هذه مغامرتي الأخيرة، والطريق أمامي لا يشوبه الغموض هذه المرّة. وفي نهايته أرى شمل عائلتي وقد التأم، وأرانا نخوض ثلاثتنا معاً مغامرتنا الكبرى نحو الحياة».

Interlink Books, Massachusetts
2021

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

السيرة الأدبية وخطل تسميتها بالشعرية

نادية هناوي

تتعدد وجوه السيرة وأقنعتها بتنوع الذين يكتبونها وتباين تجاربهم، ولكن المتفق عليه هو أن السيرة سرد يحكي للحاضر والآتي ذكريات ما مرَّ بصاحب السيرة من تجارب وخبرات ومشاهدات ومواقف بدءاً من الطفولة ومروراً بالصبا والشباب بكل ما فيهما من اكتشاف واصطدام واندفاع ووصولاً إلى الحاضر الذي عادة ما تكون فيه الشخصية قد بلغت عمراً ليس بالقصير اكتملت فيه خبراتها ونضجت تجاربها وصار لها عطاؤها الذي فيه كثير من الأسرار التي تستوجب المكاشفات والتي لا تخلو من المحن والآلام.

ولكن من الذي يحق له أن يَكتب أو تُكتب سيرته لتندرج من ثم في خانة الأدب الشخصي؟ وهل هناك مقتضيات لنجاح السيرة الأدبية أم أن كتابتها لا تقتضي الكفاءة؟

إن السيرة الأدبية نوع سردي أساسه شخصاني ومن ثم يكون الصدق هو المحتم الأساس في نجاح تأثيرها في قارئها فهذا ما يفضي إلى كشف حقائقها وراء ما صارت تلقاه السيرة من رواج على الصعيدين: 1) الإنتاج الكتابي بدءاً من رؤساء الدول وانتهاء بالسياسيين والرياضيين والفنانين، 2) الاستهلاك القرائي فلا تكاد تجد دار نشر لم تنشر سيراً، بل إن المترجمين صاروا يتبارون في ترجمة الأعمال السيرية الأجنبية.

وعلى الرغم من محاولة فيليب لوجون عد السيرة جنساً، فإن ذلك لم يتحقق له، والسبب عدم قدرة السيرة على إرساء حدودها التصنيفية بمعيارية تضع لكتابتها مواضعات يسير على وفقها الكاتب، هذا فضلا عن أن الرواية لها من الرسوخ ما يجعلها عابرة أجناسياً على أنواع السرد الأخرى ومنها السيرة بنوعيها الذاتي والغيري.

وما دامت السيرة نوعاً غدا ممكنا لأي أحد أن يدوّنها شريطة أن يمتلك حزيناً ثرياً من التجارب الشخصية وأن يكون ذا ذاكرة طيعة على الانثيال فلا تلتقط ما علق في تجاويفها من أحداث فقط، بل تستغرغ كل محتويات تلك التجاويف فهي كالصندوق الذي كلما أزيل الغطاء عنه انكشف ما بداخله أكثر. وهذا هو الفارق بين السيرة بوصفها انثيالات والمذكرات بوصفها التقاطات.

فالسيرة هي مجموع الذكريات التي منها نصنع شريطاً متحركاً ومرئياً يختزل عمر الشخصية كلها. أما اتخاذ السيرة ذريعة لإعطاء الشخصية قيمة وأهمية كما يفعل بعض السياسيين وهم يحملُون ذواتهم خبرات وتجارب غير حقيقة، فليست محصلته سوى الفشل لانعدام الصدق والمكاشفة اللذين يعطيان للشخصية شفافية ويجعلانها ذات تأثير في القارئ لأنهما بغيته.

وأكثر السير تأثيراً في القراء هي التي تكشف عن تجارب غزيرة وتقدم دروساً عميقة، ومن ذلك السير التي يكتبها الشعراء. ومعروف أن الشاعر كائن طائر لا يحط على أرض الواقع إلا بجناحين مجازيين ومن ثم لا نعرفه كلياً من خلال شعره ولا من صيت قصائده لكننا نعرفه كلياً حين يكتب سيرته وعندها تكون أناه ساراً غير أناه شاعراً.

وقد يخلط بعضهم بين الأناتين مستعملا مسميات مثل (القصيدة السيرية) و(السيرة الشعرية) واصفاً الأخيرة بأنها (سرد نثري)! فيه الشاعر (إلا يخرج على أنواع السرد الأخرى ومنها السيرة بنوعيها الذاتي والغيري.

وما دامت السيرة نوعاً غدا ممكنا لأي أحد أن يدوّنها شريطة أن يمتلك حزيناً ثرياً من التجارب الشخصية وأن يكون ذا ذاكرة طيعة على الانثيال فلا تلتقط ما علق في تجاويفها من أحداث فقط، بل تستغرغ كل محتويات تلك التجاويف فهي كالصندوق الذي كلما أزيل الغطاء عنه انكشف ما بداخله أكثر. وهذا هو الفارق بين السيرة بوصفها انثيالات والمذكرات بوصفها التقاطات.

فالسيرة هي مجموع الذكريات التي منها نصنع شريطاً متحركاً ومرئياً يختزل عمر الشخصية كلها. أما اتخاذ السيرة ذريعة لإعطاء الشخصية قيمة وأهمية كما يفعل بعض السياسيين وهم يحملُون ذواتهم خبرات وتجارب غير حقيقة، فليست محصلته سوى الفشل لانعدام الصدق والمكاشفة اللذين يعطيان للشخصية شفافية ويجعلانها ذات تأثير في القارئ لأنهما بغيته.

وأكثر السير تأثيراً في القراء هي التي تكشف عن تجارب غزيرة وتقدم دروساً عميقة، ومن ذلك السير التي يكتبها الشعراء. ومعروف أن الشاعر كائن طائر لا يحط على أرض الواقع إلا بجناحين مجازيين ومن ثم لا نعرفه كلياً من خلال شعره ولا من صيت قصائده لكننا نعرفه كلياً حين يكتب سيرته وعندها تكون أناه ساراً غير أناه شاعراً.

وقد يخلط بعضهم بين الأناتين مستعملا مسميات مثل (القصيدة السيرية) و(السيرة الشعرية) واصفاً الأخيرة بأنها (سرد نثري)! فيه الشاعر (إلا يخرج على أنواع السرد الأخرى ومنها السيرة بنوعيها الذاتي والغيري) ، (كتاب «السيرة الذاتية الشعرية»، محمد صابر عبيد). وهذا نسيان لأهم مقوم من مقومات كتابة السيرة وهو الانثيال الذاكراتي الذي تتطلبه الأنا الساردة كشفاً وبوحاً حتى أن الشاعر كلما دعته أناه الشعرية إلى الارتقاء بلغته، سحبته الأنا السردية إلى الواقع وأنزلته من علياه؛ هذا فضلا عن حقيقة أن السرد فعل تخييلي والسيرة فعل واقعي.

وإذا كان أدونيس قد كتب قصيدة «هذا هو اسمي» وعدّها سيرة شعرية، وكتب السياب مقدمات لقصائده أو قصائد غيره، فليس للنقد الحق في عدها وثائق أوتوبوغرافية يعول عليها في معرفة تجربة الشاعر الشخصية كما فعل حسين عبد اللطيف في كتيبه «مقدمات السياب»، 2014. إذ لا وجود لقصيدة أو مقدمة قصيدة توصف بأنها سيرية كما لا سيرة توصف بأنها شعرية إلا من باب التجوز أو المجاز، لأنها نقديا تظل مجرد توصيفات ليست لها حدود أجناسية ولهذا يعد هذا النمط من كتابة السيرة نوعا يندرج في جنس القصيدة أيا كانت عمودية أم تفعيلية أم قصيدة نثر.

ومن الطبيعي أن يقود هذا الخطل الأجناسي في عد الشعر سيرة ووصف السيرة بأنها شعرية إلى خطل الناقد في تحليل القصائد والتأشير على مكامن القوة في تجارب الشعراء، فيتساوى عنده الشاعر والشويعر حتى لا فرق بين كتاب يضع عليه اسم هذا، وآخر يضع عليه اسم ذاك، بل إن نقد الشعر عنده يصلح على كل اسم ويصدق على كل قصيدة وبلا أدنى فارق البتة.

ولعل هذه اللادقة في النقد هي واحدة من أسباب الأزمة التي يعاني منها نقدنا العربي، حتى صار الاعتقاد أن هناك موتا للشعر وأزمة لدى الشعراء، بينما الأزمة هي أزمة نقاد. فالشعر لا يموت، والشعراء لا يؤشرون على مواهبهم الكبيرة فتلك ليست مهمتهم إنما هي مهمة النقد الذي ينبغي أن يؤدي دوره في التأشير عليهم.

ولأن النقد الأدبي ـ المعاصر وليس الراهن ـ كان قد قام بدوره إزاء شعراء كبار، لذا راح بعض هؤلاء الكبار يدونون سيرهم مدركين أن لتجاربهم غنى وعمقا، فكتب نزار قباني «قصتي مع الشعر»، 1970، و«من أوراقي المجهولة سيرة ذاتية ثانية»، 2000، وكتب صلاح عبد الصبور «حكايتي مع الشعر»، 1969، وكتب عبد الوهاب البياتي «ينابيع الشمس» 1999، وغيرهم كثير.

ولو وقفنا عند سيرة البياتي الذاتية لعرفنا كيف وظف أناه السردية مستبعدا أناه الشعرية ليكون هو السارد يحكي قصة حياته بكل ما فيها من تجارب شخصية، قائلا: «ما كان لي أن أعود إلى كتابة تجربتي الحياتية ـ حيث سيكون الشعر قسيما مع سيرة الذات ـ لولا هاجس كان يراودني كلما اخذ ذهني في الاستغراق وكلما أسترجعت الماضي باحثا عن نفسي»، ص5.

وما وصف البياتي لدور الملائكة في التحديث بأنه (محاولة)، ثم قصر عطائها الشعري على ما نشرته في الخمسينات وتمنيه الذي جاء من باب كلمة حق مرادها باطل، سوى دليل على ما يترتب على الانثيال الذاكراتي من كشف وإعلان، على كاتب السيرة أن يكون شجاعا في تحمل تبعاتها.

وبتلك الانثيالات الذاكراتية وهذه المواقف النقدية، تختفي في كتابة السيرة الذاتية الأنا الشعرية وتبزغ الأنا الساردة ومن ثم لا (سيرة شعرية) بل هي (سيرة ذاتية) فيها الشاعر إنسان يتحدث عن شخصه بنفسه هذا أولا، وثانيا أن السيرة تسمح للنقد أن يفيد منها في استجلاء مظاهر تتعلق بالشعر والشاعرية كما أنها فرصة منها يأخذ الشعراء الدروس في كيفية بلوغ قمة الشعر أو الموجهات التي بإمكانها أن تقودهم إلى تلك القمة.

وهو أمر ينطبق على مختلف الشعراء، ومن يقرأ سيرة الشاعر الروسي يفجيني يفتوشنكو مثلا فسيجد الأمر نفسه من الانثيال الذاكراتي للأنا والمواقف الناقدة للشعر. والقصيدة عنده ليست سيرة ذاتية لانها ستكون «مجردة من اللحم وكثير من النتاجات الشعرية تبدو في الظاهر سيرا ذاتية لكن ما فيها من أفكار ومشاعر هي ليست لإنسان حقيقي حي»، كتابه «سيرة ذاتية مبكرة، ص132.

وهذه هي جمالية السيرة الذاتية وفيها تتجلى أهميتها كفن إبداعي ينطوي على غايات واقعية فيها كثير من الدروس المستقاة من تجارب هؤلاء الكبار، ولا فرق بين أن يكونوا شعراء أو غير شعراء.

كاتبة من العراق

أقليات إثيوبية تفر إلى السودان بسبب معارك تيغراي

لم يجد إثيوبيون من أقلية الكومنت من خيار أمامهم بعد اندلاع نزاع في إقليم تيغراي، سوى الفرار إلى السودان المجاور وذلك في دليل قاتم آخر على اتساع رقعة صراع عرقي.

وقُتل آلاف الأشخاص منذ اندلاع النزاع في تشرين الثاني/نوفمبر عندما أرسل رئيس الوزراء الإثيوبي أبيي أحمد قوات للإطاحة بجبهة تحرير شعب تيغراي الحزب الحاكم في الإقليم، في خطوة قال إنها رد على هجمات شنها مقاتلو الجبهة.

وعبر ثلاثة آلاف لاجئ من الكومنت إلى السودان منذ الشهر الماضي، بحسب مسؤولين سودانيين.

ويستقبل السودان أكثر من 60 ألف لاجئ من تيغراي، ما يشكل عبئا على بلد يعاني من أزمة اقتصادية حادة.

وتقول الأمم المتحدة أن خطر المجاعة يهدد نحو 400 ألف شخص في تيغراي بسبب النزاع.

أداب وفنون

احتفاء ألماني ببلوغه الخامسة والسبعين:
الروائي السوري رفيق شامي الذي حمل معه شمس دمشق إلى ألمانيا

مروان علي

صوت خاص جدا في الأدب الألماني الجديد وملك الحكاية بلا منازع، إنه صاحب «الجانب المظلم للحب» و«سر الخطاط الدفين» و«صوفيا» و«سر بعثة الكاردينال» وأعمال أخرى تركت أثرا كبيرا في قلوب القراء في ألمانيا والعالم. إنه رفيق شامي الروائي والكاتب الألماني السوري الأصل، الذي حمل معه شمس وسماء دمشق إلى ألمانيا حيث يعيش منذ مطلع السبعينيات.

وقبل أسابيع احتفل رفيق شامي مع عائلته الصغيرة في البلدة الألمانية الصغيرة التي يعيش فيها منذ سنوات طويلة، واعتذر عن عدد كبير من الدعوات من مؤسسات وجهات ثقافية وحتى رسمية بسبب الأوضاع المضطربة في سوريا وعدد من الدول العربية .

هنا وقفة مع تجربة رفيق شامي الطويلة والمتفردة في الكتابة.

ولد رفيق شامي في دمشق في حي «العمارة» الشعبي الواقع في المنطقة المسيحية قرب الباب الشرقي لدمشق، وهناك أمضى فترة الطفولة والشباب. كان الحي فريدا وعالما خاصا.. دمشقيون، شركس وأكراد وأرمن ودروز وعلويون، وفي حي ملاصق للعبارة عاش فلسطينيون ويهود بسلام. في هذا الحي تعلم رفيق شامي فن (الروي) لأصحابه وأدرك دور الكلمة وسحرها حين تقال بعيدا عن الوعظ والملل والبكائيات .

اسمه الحقيقي سهيل فاضل، غادر سوريا في مطلع السبعينات إلى ألمانيا حيث درس الكيمياء وتابع الدراسة حتى حصوله على درجة الدكتوراه، ليعمل بعدها في واحدة من أهم وأكبر الشركات الألمانية. لكن شغف الكتابة أخذه ليتفرغ تماما للكتابة الأدبية ويتابع مشروعه الخاص جدا وهذا ما لفت أنظار النقاد والقراء الألمان في تقديم عوالم دمشقية بلغة سهلة وفي إطار سرد مرصع بالشغف والحنين والأمل، وتمكن من إقامة جسر يربط بين الحكاية العربية واللغة الألمانية مع إخلاص شديد لبيئته وشخوصه وأمكنته وأحلامه ومدينته دمشق طبعا.

تنحدر عائلة رفيق شامي من بلدة معلولا الآرامية التي لا تبعد كثيرا عن دمشق، وأمضى طفولته وصباه في دمشق حيث المكان الحاضر بقوة في كل أعماله تقريبا .

أسس صحيفة «المنطلق» الجدارية والتي نشر فيها كتاباته الأولى وهو في سنوات الصبا، وتركت هذه الصحيفة أثرا كبيرا عليه لأنها منحته فسحة الحرية الأولى.

يقول رفيق شامي: «كنت لا أملك سوى 890 ماركا ألمانيا (900 – 10 ثمن سجائر في الطائرة) ادخرته من عملي كمدرس. اضطررت بعد أقل من شهرين للبحث عن العمل، فوجدت عملا في نقل علب البريد (رسائل وطرود بريدية) من شاحنات نقل إلى القطار وبالعكس. وكان علي العمل لثمان ساعات. ومن ذلك اليوم تنقلت على امتداد خمس سنوات إلى أكثر من 16 وظيفة منها الخدمة في المطاعم، والعمل في ورشات بناء، ومعامل الصلب في المدن الصناعية القريبة من هايدلبرغ. وكوني كنت قوي البنية فهذا أهلني لأعمال شاقة لكنها ذات أجر عال. وكنت أفضل تلك الأعمال أكثر من العمل في المطاعم، إذ كانت ظروف العمل فيها ولا تزال حتى اليوم، سيئة وبأجر زهيد.

هذا الانخراط في الحياة الألمانية ورؤيتها في قاعها أعتبره معلمي الأكثر إقناعا عن الحضارة الأوروبية وطبيعة المجتمع الألماني، وكذلك أفادني في صقل المانيتي وفي البدء بحوار عسير مع الألمان حول الثقافات لم أنته منه حتى اليوم. وفي كل مساء كنت أجلس قبالة صورة صغيرة لدارنا في دمشق وأحتسي الشاي مع الذكريات».

على الكاتب أن يقف مع شعبه

الذين يعرفون رفيق شامي من خلال رواياته ومقالاته وحكاياته يعرفون الموقف الواضح له من قضايا الحرية والكرامة، حيث لم يساوم أبدا، ودفع ثمن ذلك ليس فقط في منفاه بعيدا عمن يحب بل لأن دور النشر العربية وحتى المترجمين ابتعدوا عن أعماله، وبقدر ما كان يحقق النجاح والشهرة في ألمانيا وأوروبا والعالم كانت محاولات بائسة للتعتيم على هذه التجربة المتفردة والناجحة بسبب الموقف السياسي لصاحبها الذي يقول: «على الكاتب ان يكون واضحا ويقف مع شعبه وحقه في الحرية والكرامة والحياة دون (لو) و(لعل) و (عسى) و (سوف) و(إن).. وبلا أي تردد. على المثقف أن يكون نورا في هذه الظلمة الحالكة وأعتقد أن سعد الله ونوس حين قال (نحن محكومون بالأمل) قصد بالدرجة الأولى المثقفين.

وعن علاقته بدمشق يعترف رفيق شامي: «دمشق ليست مدينة على الخارطة بل حياة ضاعت مني كما يضيع مفتاح بيت دمشقي وككل شيء غال فقدته حفرت دمشق منمنات أيامي معها في ذاكرتي.

دمشق لا تشبه إلا نفسها ولا تضاهيها مدينة أخرى وسأظل أغني حبها ما دمت حيا.

أتخيل دمشق وقد تعبت وملأ اليأس قلبها.. لكنها دمشق التي رغم كل شيء ستلقي اليأس والخراب عن كاهلها وتنهض كما فعلت مراراً في تاريخها رافعة جبينها عاليا كفتاة جميلة ومدللة».

استفاد رفيق شامي من عمله كباحث كيميائي في تدقيق كل شيء في أي عمل والبحث والتمحيص سواء أكان ذلك يتعلق بحادثة ما أو مقولة أو حتى تاريخ ووصف بيت دمشقي أو زنزانة في سجن

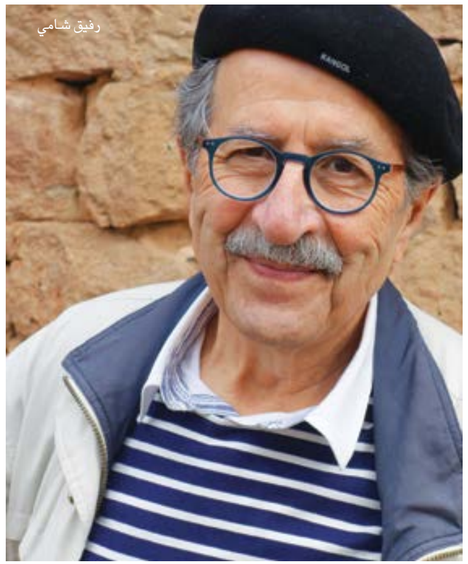
رفيق شامي

حتى عشق أبطالها. ما يهمه وتحديدا في «صوفيا» هو الزمن الذي يسبق الانتفاضة حيث تبدأ فيه الأرض بالاهتزاز وتتشقق طبقات الإسمنت المخابراتي تحت أقدام الناس. الرواية تتحدث عن خوف الناس وعن مراقبتهم لكل ما يقولونه خوفا من عواقبه، ثم كيف بدأوا يشعرون بأن الوقت قد حان للمقاومة. وبنفس الوقت تتحدث الرواية عن استحالة العودة لمنفي مثل سلمان بطل الرواية دون زوال سبب منفاه.

وفي أحدث رواياته «سر بعثة الكاردينال» يعالج رفيق شامي كما في رواياته السابقة مواضيع هامة في مجتمع يقف على أعتاب ثورة. تدور أحداث الرواية في دمشق نهاية عام 2010 وبداية 2011. مفوض الشرطة الجنائية بارودي، رجل في أواسط الستينيات مرهق بعد أربعين سنة من العمل الدؤوب لمكافحة الجريمة في بلد لا يسمح له فيه أن يسأل كل من يلزم التحقيق معه. وُكِلَ بالتحقيق في جريمة بشعة بعد تلقي السفارة الإيطالية برميلا كبيرا قيل إنه مليء بزيت الزيتون وعندما فتحه الطباخ وجد في الزيت جثة كاردينال كان قد وصل إلى دمشق قبل عدة أسابيع.

لماذا أرسل البرميل إلى سفارة إيطاليا وليس كما وجب إلى سفارة الفاتيكان؟ ما معنى الحجر الأسود الذي وضعه القتلة مكان قلبه الذي نزعوه وقاموا بخياطة الجرح بعناية فائقة كما فعلوا بعينيه بعد أن أغلقوا جفونه على قطعة نقد ذهبية؟ ولماذا نُزع خاتم الكاردينال من إصبع يده اليمنى، هذا الخاتم الذي يمنحه البابا عندما يبارك تسمية الكاردينال الجديد؟ كل هذا دل بارودي أن هناك رسائل وراء هذه الإشارات في جثة القتيل.

تكريم وترجمات

تُرجمت روايات رفيق شامي إلى أكثر من ثلاثين لغة وحصل على جوائز ألمانية وأوروبية وعالمية وعرضت قصصه على شكل مسرحيات في عشرات المسارح وحتى في دار الأوبرا الشهيرة في فيينا (قصة فاطمة ولص الأحلام). وكل رواية جديدة له حدث أدبي كبير في ألمانيا ترافقه رحلة لأكثر من 100 أمسية لكل كتاب في مسارح كبيرة في ألمانيا وسويسرا والنمسا. مع ذلك هناك تجاهل إعلامي عربي مقصود لهذه التجربة الأدبية الفذة بكل تأكيد، بسبب مواقفه من قضايا الحرية وحقوق الانسان وعدم مهادنته في دفاعه عن حقوق المرأة في المساواة التامة، ووقوفه مع حق الإنسان في حياة حرة وكريمة مهما كانت عقيدته أو انتماؤه الإثني أو الثقافي والسياسي.

وماذا عن مشاريعه المستقبلية؟

في حديث لنا قبل أسابيع طرحت عليه هذا السؤال فأجاب: «هناك رواية كبيرة أحاول منذ سنين إنهاءها، وموضوعها مديح فن السرد الشعبي الشفاهي دون وعظ بل عبر استخدام وسائله الشيقة. سيصدر لي في تشرين الأول/أكتوبر كتاب صغير وهام بعنوان «ضد اللامبالاة» انتقد فيه نزعة اللامبالاة التي تتفشى في ألمانيا، كما في أغلب البلدان، أسرع من كورونا والتي تسمح لنجوم الكتاب والمفكرين والفلاسفة «التلفزيونيين» كما أسميهم بتعليقات عنصرية محرضة على العنف ضد الأقليات دون أن يخشوا عقابا. فالناس اللامبالية نيام وهم في يقظة. هؤلاء «النجوم» اعتُبروا يوماً «يساريين متطرفين» وهم اليوم من أكثر الناس تطرفا في عنصريتهم ضد اللاجئين والأجانب وكل ما ومن ينتمي للإسلام. وأنا إضافة لتحليل اللامبالاة وخطرها، أبرهن على أنهم لم يكونوا يوما يساريين ولا هم اليوم يمينيون، بل هم بنفس صغيرة انتهازية يبيعون على بسطاتهم الفكرية ما هو رخيص ورائج.

مسرحية «ليلة معومة» للمخرج التونسي جمال المداني
عندما ينقل المسرح صراع الفنان بين أحلامه الإبداعية ومتطلبات الواقع الصعب

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

«ليلة معومة» هي المسرحية التي عرضت ضمن فعاليات مهرجان «باردو فاست» للمسرح والذي انطلق خلال الشهر الحالي في دار المسرحي بباردو غير بعيد عن مقر البرلمان بالعاصمة التونسية. أراد مخرج العمل والمشاركون فيه ان يكون العمل تحية لروح المسرحي التونسي مكرم نصيب الذي رحل وهو في أوج شبابه بسبب فيروس كورونا، وكذلك من خلاله تحية لكل المسرحيين الذين ما زالوا يناضلون في رحلة الإبداع والرقي رغم كل الظروف الحياتية الصعبة التي زادتها جائحة كورونا صعوبة. والعمل من إخراج جمال المداني ونص محسن بن نفيسة وتمثيل لبنى نعمان واكرام عزوز ومحمد علي المداني، اضاءة يزيد بلهادي وصوت محمد صالح المداني، ملابس جليلة مداني وادارة إنتاج للمياء المليتي.

«ليلة معومة» تعني في اللغة العامية التونسية الليلة الممطرة كثيرة المياه التي تكاد تغرق كل شيء، ويحيلنا عنوانها أيضا إلى عمل مسرحي آخر خالد وشهير في الذاكرة التونسية وفي تاريخ المسرح التونسي هو «غسالة النوادر» التي عرضت قبل أكثر من أربعة عقود. وغسالة النوادر هو مصطلح قديم منذ العهد القرطاجي معروف في تونس ويطلق على الأمطار الموسمية التي تنزل في أول فصل الخريف من كل سنة فتطهر الأرض من الجراثيم والأمراض والأدران والشوائب، وتغسل معها الذنوب وكل آثام فصل الصيف التي ارتكبها بنو البشر وذلك حسب المعتقد القرطاجي القديم، وتنزل هذه الأمطار بغزارة شديدة تحديدا في أواخر آب/أغسطس وبداية أيلول/سبتمبر.

وتتماهى شخصيات العمل المسرحي «ليلة معومة» مع شخصيات وأبطال مسرحية «غسالة النوادر» من خلال ترداد أقوال بعض الشخصيات الهامة والمحورية في المسرحية في هذه المسرحية الشهيرة في تاريخ المسرح التونسي. فمن زمن «غسالة النوادر» إلى «ليلة معومة» تبدو معاناة الفنان واحدة ومتواصلة وهو في رحلة بحثه لتحقيق مجده المسرحي وفي الآن نفسه يجاهد من أجل تأمين متطلباته المعيشية في ظل المردود المالي الزهيد الذي يقدمه العمل المسرحي الملتزم.

لذلك ليس صدفة ان يختار مخرج العمل ان تكون انطلاقة المشاهد ونهايتها على إيقاع الأغنية المعروفة في تونس «عاش يتمنى في عنبة (حبة عنب) مات جابولو عنقود (الكثير من العنب) ما يسعد فنان الغلبة إلا من تحت اللحود» أي أن المجتمع التونسي لا يكرم الفنان إلا بعد وفاته. وهي أبيات بالعامية لم ينقطع عن ترديدها الكاتب والأديب التونسي علي الدوعاجي وأصدقاؤه من جماعة أدباء وفناني مقهى تحت السور في ثلاثينات القرن العشرين، والتي كانوا يشكون من خلالها حظ الفنان في المجتمع الذي يعيش حياته وهو يتمنى ان يحصل على «حبة عنب» وهو معنى مجازي للمكافأة مقابل الجهد والإبداع، ولكنه لا يحصل عليها إلا بعد وفاته عندما يتم تكريمه.

تنقل مسرحية «ليلة معومة» معاناة الفنان التونسي في مسيرته المهنية والإبداعية وما يواجهه من متاعب وتحديات اجتماعية واقتصادية تجعل النفس الإبداعي يقاوم بصعوبة من أجل الاستمرار والحياة. فالطر هنا الذي يملأ الساحات والأزقة التونسية القديمة هو مطر الحياة والفرح وبنفس الوقت يترجم الصعوبات التي يتعايش معها الفنان وتهطل عليه بين لحظة وأخرى. وقد زادت هذه المعاناة بسبب فيروس كورونا الذي خيم بكابوسه على كل نواحي الحياة في البلاد ولا سيما قطاع الثقافة وجعل شبح البطالة يهدد الفنانين والمسرحيين الذين يقاومون صعوبات الزمن بالإبداع.

فالمسرحي هو إنسان لديه متطلباته العائلية وقد أحيل على البطالة الاجبارية زمن كورونا بسبب توقف الأعمال المسرحية والنشاطات الثقافية، الأمر الذي أجبر عائلات بكاملها على مواجهة أصعب الظروف مقابل منحة زهيدة من وزارة الثقافة لا تسمن ولا تغني من جوع. وهذا ما حاول العمل المسرحي أن ينقله ويعكسه فليس هناك أفضل من الفنان المسرحي ليعبر عن معاناة أقرانه.

وتدور المسرحية حول ثلاث شخصيات رئيسية ، نور الدين وهو المسرحي الذي يؤدي دوره الفنان القدير اكرام عزوز وزوجته أحلام التي تؤدي دورها الفنانة لبنى نعمان، والشخصية الثالثة يؤدي دورها الفنان محمد علي المداني، وهي شخصية غامضة تبدو هلامية بمظهرها الغريب وملابسها العتيقة وهي تارة تسرد تفاصيل وأقوال شخصيات معروفة في عالم المسرح التونسي أو العالمي مثل شكسبير، وتارة تصبح هي نفسها الأفكار التي يعبر عنها البطل نور الدين، وهو في أوج تخيلاته الهلامية التي يهرب من خلالها من واقع الحياة المر. فيتحول المسرح المهجور إلى الملاذ الآمن للمسرحي ويعيش فيه هائما مع عالم الشخصيات المسرحية المعروفة مثل عطيل بطل إحدى الروائع المسرحية لشكسبير.

فمن المسرح تولد أمام نور الدين شخصيات وعوالم أخرى تتكسر فجأة على أرض الواقع، على وقع صوت زوجته أحلام، التي ظلت تبحث عن زوجها المسرحي المفقود منذ 10 أيام بعد ان تركها تعاني وحدها مع أولادها ظروف الحجر الصحي. وهنا يدور الحوار بين الشخصيات المحورية ويعكس هذا النزاع بين أحلام ونور الدين الصراع الداخلي الذي يعيشه الفنان التونسي بين ما يريد ويحلم به وبين الواقع المعيشي المأزوم. ويتقاطع هذا الحوار مع ظهور «الشبح» أو الشخصية الغامضة التي تضفي على المسرحية بعدا آخر.

على مدى حوالي ساعة و18 دقيقة ينقل المخرج جمال مداني تفاصيل وملامح الصراع الذي يعيشه المبدع الفنان سواء كان مسرحيا أو ممثلا عاديا أو غيره في واقع صعب. وذلك في ظل المسؤوليات العائلية التي تثقل كاهله والتي لا يمكن لعالم المسرح ان يلبي كل متطلباتها.

رسائل

ويوضح جمال المداني مخرج العمل لـ«القدس العربي» قائلا: «إن المسرحية تحكي معاناة الفنان التونسي زمن كورونا». ويضيف «ان الرسائل كانت واضحة وجلية في هذا العمل، ففي ظل تطور نمط حياة الإنسان بشكل عام أصبحت متطلبات الفنان كثيرة خاصة مع وجود بيت وعائلة وأطفال. فالمسرحي الملتزم بالقضايا الكبرى والأفكار العميقة التي تطور الإنسان، يجد نفسه اليوم في وضعية صعبة للتوفيق بين أحلامه وطموحاته من جهة ومستلزماته الاجتماعية الحياتية من جهة أخرى. والسؤال المطروح هو هل يبقى الفنان محافظا على التزامه؟ أم يتجه اتجاها آخر مثل أغلب الفنانين الذين اختاروا المسرحيات الخفيفة الضاحكة التي تستجيب لرغبات الجمهور فقط لكي يستطيعوا الحصول على مردود مالي يؤمن متطلبات الحياة؟ وبالتالي يصبح دور المسرحي الملتزم، سلبيا في البرامج التافهة التي لا ترتقي بالعقلية والذهنية وتروج للتفاهة، وهنا هو عمق المشكلة». ويتابع «فمن يستطيع اليوم ان يعرض أعمالا على شاكلة أعمال شكسبير أو سوفوكل الإغريقي مثل عطيل وأوديب بكل ما تطرحه هذه الأعمال من عمق خاصة عندما يكون المسرحي قد تربى على مبادئ وقيم أساسية ترتكز على كون المسرح قادرا ان يغير الإنسان، ويكون فيه دور الفنان أساسيا في تنمية ذوق المحيطين به».

ويواصل المداني حديثه بالقول: «لكن يجد الفنان نفسه أمام خيارين إما أن يفكر في حياته الاجتماعية ويؤمن لنفسه مداخيل هامة والنزول بالذوق العام استجابة لما يريده الجمهور أو التمسك بفنه الملتزم الذي لا يوفر به ما يسد الرمق». ويضيف: «من يجرؤ اليوم على عرض مسرحية لشكسبير حيث الحضور غالبا ما يكون ضعيفا، بينما نجد في العروض الفردية أو ما يسمى بـ«وان مان شو» قرابة 30 ألف متفرج وربما أكثر. والمفارقة ان من يؤدي هذا النوع من الفن غير الملتزم تصبح له قيمة اعتبارية ويدلي بدلوه في قضايا المجتمع ويوجه الرأي العام. كل هذا يجعل المسرحي الحقيقي ضائعا ومشتتا ولا يعرف كيف يواجه هذه الموجة من التفاهة».

وعن صعوبات عرض مسرحية «ليلة معومة» زمن كورونا أجاب محدثنا: «واجهتنا صعوبات تتعلق بالتمارين إذ اضطررنا للانقطاع عديد المرات بسبب الحجر الإجباري. وبدأنا ندرب على هذا العمل منذ سنة 2018 ولكن موجة كورونا جعلتنا نتوقف مرارا وقدمنا أول عرض للمسرحية في شهر رمضان الماضي ثم العرض الثاني الفعلي كان خلال هذا الشهر في إطار فعاليات مهرجان «باردو فاست».

ويؤكد محدثنا ان لبنى نعمان التي تؤدي دور أحلام هي ممثلة قديرة وصاحبة صوت جميل ومطربة من الفن الراقي ووضعيتها الحياتية تشبه إلى حد كبير موضوع المسرحية. فهي فنانة موسيقية وزوجها كذلك فنان موسيقي وفي زمن كورونا توقفت كل مشاريعهما الثقافية. وكذلك الشأن بالنسبة إلى الفنان اكرام عزوز، فهو مسرحي ويعيش المعاناة نفسها والتي واجهها أغلب المسرحيين الملتزمين في زمن كورونا والحجر المنزلي.

أما الشخصية الثالثة في العمل فيؤديها الفنان محمد علي المداني الذي يبدو بمظهر غريب ولباس قديم غير مفهوم، ويقول المداني لـ«القدس العربي» إن هذا الظهور كان مقصودا، فالشخصية غير مفهومة ولا يُعرف ان كانت حقيقية أو انها من خيال شخصيات العمل. ويمكن ان تكون إحدى الشخصيات الهاربة من المسرحيات الكبيرة ومن الأرواح التي لا تزال تحلق فوق المسارح القديمة المهجورة. وهنا يترك مخرج العمل للمشاهد استنتاج الرسائل التي أراد إيصالها من خلال هذه الشخصية الغامضة.

في المسرحية نجد اقتباسات من أقوال بعض شخصيات روائع شكسبير مثل عطيل واقتباس من شخصيات مسرحية «غسالة النوادر» وبين «ليلة معومة» و«غسالة النوادر» تبقى معاناة المسرحي التونسي واحدة ومتواصلة، والهواجس تبقى هي نفسها. إذ ليس من السهل ان يتمكن الفنان المسرحي من تحقيق إبداعه في ظل ظروف مادية صعبة.

كما ان المسرحية تنتقد بعض الظواهر اللافتة التي اجتاحت المشهد الإعلامي المرئي التونسي مثل ظاهرة «المعلق التلفزيوني أو الكرونيكور» أو ظاهرة النشطاء على وسائل التواصل الاجتماعي «الانستغراموز» والتي باتت ظواهر تخطف الأضواء وتنشر التفاهة بعيدا عن العمق الذي تحتاجه مجتمعاتنا لتخطي أزماتها وصعوباتها والرقي بالوعي العام المجتمعي.

ان المسرح هو مرآة المجتمع، وكما كانت «غسالة النوادر» مسرحية محورية في الذاكرة التونسية وأثرت بشكل كبير في المجتمع قبل عقود، فإن «ليلة معومة» تحاول ان تحاكي انعكاس هذا الضوء القادم من عمق المسرح التونسي وأصالته بكل تجاربه ورسائله ودلالاته لتطرح الأسئلة وتشرح الواقع بكل تفاصيله الإيجابية والسلبية.

تحقيقات

لبنان بين المواجهة المفتوحة على أرضه وشبح أفغانستان!

طوابير على محطات الوقود

رلى موفق

نتحدث في لبنان عن انسداد مُحكم في الأفق السياسي. لا اختراقات محتملة. يوماً بعد يوم تتكشّف حالة الانعدام في التوازن السياسي الداخلي، ما حدا بسفيرة الولايات المتحدة الأمريكية دوروثي شيا إلى النزول إلى ساحة المعركة مباشرة في مواجهة الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصرالله بعد إعلانه عن انطلاق وشيك للباخرة الأولى من البواخر المحمّلة بالوقود الإيراني إلى لبنان التي سيستقدمها «الحزب» في تحدٍ علني للعقوبات الأمريكية، نافذاً من وجع الناس وذلّها من دون بنزين ومازوت وكهرباء ومياه.

بالطبع قذف نصر الله فوق الأسباب التي آلت بـ«بلاد الأرز» إلى هذا الدرك من الذل والعوز والفقر، حيث صبَّ جام غضبه على الحصار الأمريكي الهادف إلى إخضاع «مقاومته» مقدماً مرافعة جديدة بأن إيران لا تفرض مشيئتها على البلاد والعباد.

في الواقع، بدأ هامش المناورة يضيق عند الجميع، وفي مقدّمهم عند حاكم مصرف لبنان رياض سلامة الذي قرّر، بعد طول تواطؤ، قفل «حنفية» الدولار المدعوم من البنك المركزي، التي كانت مفتوحة ليس كرمى لعيون الشعب اللبناني لتأمين المواد السيادية ولقمة عيشه ودوائه، بل كرمى عيون تحالف «المافيا – الميليشيا» الذي يتغذّى من جني أموال اللبنانيين ورزقهم بغية انتفاخ جيوب التحالف ومد النظام السوري بالأوكسجين مهما كلّف الثمن. اليوم، ما عادت «حنفية» الدولار المدعوم متاحة، بعدما جففت «الكارتيلات» والقرار السياسي بالتهريب إلى سوريا مليارات من الاحتياطي في المركزي الذي كان قبيل ثورة 17 تشرين أول/أكتوبر 2019 يُقدّر بـ33 مليارا، وأضحى اليوم 15 ملياراً هو الاحتياطي الإلزامي الذي على البنوك إيداعه في مصرف لبنان، ويُشكّل عملياً ما تبقى من أموال المودعين.

وقف الدعم عن المحروقات

خرج مصرف لبنان ليعلن وقف الدعم عن المحروقات، كاشفاً أنه دفع ما يفوق الـ800 مليون دولار للمحروقات في شهر تموز/يوليو، فيما المواد مفقودة من السوق وتُباع بأسعار تفوق قيمتها كما لو رُفع الدعم عنها. فكان أن وصف رئيس «التيار الوطني الحر» جبران باسيل، الوريث السياسي لرئيس الجمهورية ميشال عون، خطوة سلامة بـ«المؤامرة» على العهد، وتهدف إلى إسقاط رئيس الجمهورية وضرب «التيار» ومن ثم المقاومة، مُقارنا المرحلة الراهنة بمرحلة ما قبل «اتفاق الدوحة» الذي تلا غزوة «حزب الله» بسلاحه لبيروت في أيار/مايو 2008 مستخدماً وصف نصر الله لقوى «14 آذار» المناهضة للمحور السوري – الإيراني بـ«جماعة فيلتمان» (السفير الأمريكي آنذاك لدى لبنان).

إنها وزارة الطاقة التي تبيض ذهباً « لـ«التيار الوطني الحر» للسنوات الـ13 الماضية، من دون أن تُضيء الكهرباء بيوت اللبنانيين 24/24 ساعة كما كانت الوعود تسبق إقرار مجلس النواب لسلف مالية للكهرباء ذهبت هدراً وسرقة وفساداً لتُشكّل في نهاية المطاف نصف عجز خزينة الدولة، بما يفوق الـ40 مليار دولار. وهي تُستخدم اليوم كإحدى أدوات الضغط في تكتيكات السياسة الداخلية على خلفية تحسين لعبة المواقع قبل الاستحقاقات الدستورية. بات القاصي والداني من اللبنانيين يُدرك أن باسيل يخوض معركة مستقبله السياسي. كان الرجل قبل 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019 يُعبِّد الطريق لخلافة عمّه في سدّة الحكم، فإذا بهذا الحلم يصبح بعيداً بعد انفراط عقد التسوية الرئاسية وبعد العقوبات الأمريكية عليه، التي يُدرك أنها وإنْ لبست لبوس العقاب على الفساد، فإن لبّها سياسي يعود إلى التصاقه بـ«حزب الله» ليس عقائدياً بل مصلحياً.

على أن الرجل لا يستسلم، ولن يستسلم ما دام يُمسك بتوقيع رئيس الجمهورية. المجتمع الدولي بأجمعه يطالب بتأليف حكومة تتبنى الإصلاحات من أجل مساعدة لبنان، ولكن الحكومة معلّقة، فيما القوى السياسية من «تيار المستقبل» و«القوات اللبنانية» و«الحزب التقدمي الاشتراكي» و«حزب الكتائب» مع رفع الدعم، ما دام ليس هناك من قدرة مؤسساتية على ضبط مسارات التهريب والاحتكار.

تفجير عكار

جاءت كارثة تفجير خزان من البنزين في بلدة التليل العكارية على الحدود الشمالية مع سوريا الذي أودى بحياة 30 ضحية حتى الساعة ليقدّم صورة فاضحة لحجم الفساد والجشع والفلتان والفوضى الذي وصلت إليه البلاد. ابن مهرّب يُطلق رصاصة من مسدسه على خزان البنزين بعدما صادره الجيش اللبناني وأراد توزيعه على المواطنين المتجمهرين. هي رواية قابلة لأن تكرّر يومياً ليس فقط في البلدات الحدودية بل في مختلف المناطق، إن لم تكن أمام محطات الوقود، فقد تكون أمام الصيدليات أو الأفران أو مخازن المواد الغذائية.

على أن اللافت هو حال الاستسلام الذي يُصيب الناس، وكأنهم لا يشبهون أولئك الذين نزلوا في 17 تشرين الأول/أكتوبر. ضربهم حال من اليأس والإحباط والقدرة على التغيير. يُدركون أن المنظومة الحاكمة أقوى من الناس، وأن المربّعات الطائفية والخوف من الآخر يشلّ أي إمكانية لبناء وطن سليم. تجدهم يسألون عن الغد، يُفتشون عن فرصة للهجرة إلى بلد آخر، لا يريدون البقاء في بلد لا معنى للحياة فيه، ما دام مكتوباً على أجياله أن تعيش جولات من الحروب المُعلنة وغير المُعلنة.

وما كان ينقصهم هو «حرب السفن» التي أطلّ الأمين العام لـ«حزب الله» في يوم عاشوراء ليُعلنها، معتبراً –من عنده– أن السفينة هي بمنزلة أرض لبنانية منذ لحظة إبحارها من الموانئ الإيرانية. هي عملية استعراض للقوة على رؤوس اللبنانيين في وجه أمريكا وإسرائيل، بعدما تعبوا من الذل. وهي كذلك إعلان بانضمام «حزب الله» إلى «كارتيل» النفط. نصر الله الذي كان يتباهى بأن سلاحه وعتاده وأمواله من الجمهورية الإسلامية الإيرانية سنجده مع قابل الأيام يُعلن انخراط حزبه في تقاسم الجبنة لأخذ حصته منه. بعد «كارتيل» النفط، سيطل قريباً ليعلن بدء استيراد الدواء الإيراني وغير الإيراني، وبالتالي الانضمام رسمياً إلى كارتيل الدواء. فيما هو حاضر في التجارة عبر مؤسسات يملكها «الحزب» مباشرة أو مواربة من خلال رجال أعمال شيعة وُضعوا في الواجهة ويعملون في خدمة «الحزب».

سوق الشراء والبيع

وبغض النظر عن المخاطر على لبنان من إقدام نصر الله على استقدام المشتقات النفطية من إيران التي فُرضت عليها عقوبات أمريكية، وستبقى كذلك ما لم تتضمن ثلثاً معطلاً، مُعلناً أو مُستتراً، لوريث عون لوحده من دون حلفاء له. ينتظر الرئيس المكلف نجيب ميقاتي على قارعة قصر بعبدا، كما سبق أن انتظر سلفه سعد الحريري. ولا يتوانى الجميع عن استخدام ما لديهم من وسائل ضغط في لعبة الكباش وشدّ الحبال في السنة الأخيرة من عمر العهد. فريق عون يتّهم «تيار المستقبل» بأنه كان وراء الطلب من حاكم مصرف لبنان رفع الدعم عن المحروقات. في حقيقة الأمر، تحالف عون – «حزب الله» وحلفائهما مع إبقاء الدعم، فإن ثمة أسئلة لا بدّ من طرحها: هل يأتي نصر الله بالمحروقات الإيرانية لأن هناك حصاراً نفطياً على لبنان؟ وكم باخرة يمكنه بأن يأتي بها، ولا سيما أن آخر التقارير الإعلامية تحدثت عن حاجة لبنان سنوياً إلى 360 باخرة، وهل السفن هبة أم مدفوعة الثمن؟ وعلى أي سعر؟ وبأي عملة؟ وإذا وصلت، فبأي سعر سيتم بيعها للناس؟ أسئلة ستُظهر الإجابات عنها أن ذلك «السيد» الذي كان يخرج ليهدد بأصبعه القريب والبعيد، وليرسم مسارات «المحور» الاستراتيجية في لبنان سوريا والعراق واليمن وغرب آسيا، بات اليوم غارقاً في البحث عن كيفية تأمين أبسط مقومات الحياة لبيئته.

يلعبُ «البلبار» يتحدّى الحصار الأمريكي على إيران، إن مرت السفينة – وقد تكون لمرة وحيدة – يتغنى بالانتصار، وإن لم تمر، بات أمر حضوره في سوق الشراء والبيع طبيعياً. يقوم نصر الله بكل هذه العراضة، وهو المدرك ومعه باسيل أن هناك محادثات تجري مع مصر والأردن من أجل جرّ الكهرباء عبر الخط العربي من الأردن عبر سوريا ومن أجل نقل الغاز المصري. وهذا الأمر يحتاج إلى استثناء من الخزينة الأمريكية للبنان كي لا يتعرّض لعقوبات قانون «قيصر». وهو ما كانت القاهرة وعمّان تعملان عليه مع واشنطن بطلب من الحريري. بالطبع هذه ليست بالأخبار السارة لباسيل الذي يفرض قبضته سياسياً على وزارة الطاقة. ويريد أن يبقى الدعم إلى حين انتهاء العهد. دعم يوفر الملايين لتأمين مصاريف الحملة الانتخابية، خصوصاً أن الشكوك كبيرة حول إمكانية بدء العمل بـ«البطاقة التمويلية» التي تطمح القوى السياسية النافذة بتحويلها إلى «بطاقة انتخابية» لكن دون ذلك عقبات المحاصصة من جهة والعين الدولية من جهة أخرى، خصوصاً أن تمويل «البطاقة» سيتمّ بقرض مستحق للبنان من البنك الدولي.

كل ذلك يجري على وقع شبح الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، وترك الأمريكيين لحلفائهم يحترقون بنار حركة «طالبان». خطوة جعلت نصر الله يهجم من خلالها على منظمات المجتمع المدني، التي اعتبرها وكراً يُدار من مقر السفارة الأمريكية في عوكر، فهدّد ودعا من يعتمد على الأمريكيين وسفارتهم في بيروت أن يأخذوا العبرة من تجربتهم في أفغانستان حيث أن «كلابهم البوليسية الموضوعة لحمايتهم هي أقرب إليهم منكم».

والحقيقة أن القوى السياسية التي كانت تُصنّف على أنها حليفة الولايات المتحدة تأخذ موقف المتفرّج منذ أن اختل التوازن في المنطقة، وتخشى من نتائج استخدامها وقوداً في لعبة تحسين الأوراق على طاولة المفاوضات الأمريكية – الإيرانية، غير أن هذه الخشية تجعلها في واقع الأمر قوّة هامشية غير مؤثرة وتحوّلها إلى طبق في لائحة الطعام المعروضة على الطاولة بدلاً من أن يكونوا جزءاً من الجالسين إليها. فترك الصراع دائراً على الأرض اللبنانية من دون رفع الصوت والانخراط في مقاومة سياسية ومدنية لن تكون نتائجه أفضل مما حصل في أفغانستان، بحيث سيملأ الفراغ من هو أقوى على الأرض. وهذا ما يريده تحالف عون – «حزب الله» ذلك أن يقظة الرأي العام اللبناني التي بدأت تشق طريقها وارتفاع منسوب الحال الاعتراضية ضد هيمنة «حزب الله» «وإيران التي عزلت لبنان عن محيطه العربي وعن امتداده الغربي، ستتحوّل إلى كرة ثلج مع تفاقم الفوضى وازدياد الذل والعوز، وعندها ستكون بداية نهاية أسطورة حزب لم يتعلّم من تجارب الماضي التي مرّت على لبنان، لكنها نهاية ستكون أكلافها كبيرة على كل اللبنانيين.

ميديا

وزير أردني يُقاضي صحافياً بسبب تدوينات على «فيسبوك»

لندن ـ «القدس العربي»:

رفع وزير الأوقاف الأردني محمد الخلايلة دعوى قضائية ضد صحافي وجه انتقادات لسياسات وزارته على شبكات التواصل الاجتماعي، ومن بينها تدوينة على «فيسبوك» تنتقد قراراً حكومياً بمراقبة الكتب التي يتم إيداعها داخل المساجد.

وفي التفاصيل التي حصلت عليها «القدس العربي» فقد تلقى الصحافي الأردني وائل البتيري بلاغاً رسمياً بشأن دعوى قضائية مقامة ضده من الوزير الخلايلة وذلك على خلفية منشور له على «فيسبوك» كشف فيه عن تعميم من قبل الوزارة يقضي بمراقبة الكتب التي ترد إلى المساجد في الأردن، ومراجعة الكتب الموجودة في المكتبات المحلية داخل كل مسجد، على أن يتم استبعاد بعض الكتب ومنعها من دخول المساجد أو التداول بين المصلين.

وتبين بأن الوزير الخلايلة لم يكتفِ بمقاضاة البتيري وإنما رفع دعاوى مشابهة ضد كل من الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية مروان الفاعوري، والناطق باسم حزب جبهة العمل الإسلامي ثابت عساف، وذلك على خلفية منشورات في صفحاتهم الشخصية على موقع فيسبوك انتقدوا فيها الخطبة الموحدة التي يتم توزيعها من وزارة الأوقاف على المساجد كل جمعة.

وعلمت «القدس العربي» أن الشخصيات الثلاث تلقت بلاغات رسمية من وحدة «الجرائم الإلكترونية» التابعة لقوى الأمن في الأردن، كما تلقت بلاغات من المدعي العام للمثول والاستماع لأقوالهم في الشكاوى المقامة ضدهم، فيما قد تؤدي هذه الدعاوى بهم إلى التوقيف قبل صدور قرار من المحكمة أو قد تنتهي بهم المحاكمة إلى السجن في حال إدانتهم من قبل القضاء.

وكان الخلايلة قد قال في لقاءات إعلامية سابقة إن عدداً من منتقدي خطبة «طاعة ولي الأمر» وهي الخطبة الموحدة التي عمّمها على خطباء الجمعة قبل عدة أسابيع، يحملون فكرا «داعشيا تكفيريا، حتى وإن نادى بعضهم بالوسطية» وذلك في إشارة غير مباشرة إلى الفاعوري الذي يرأس منتدى الوسطية.

وأعربت المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا عن استهجانها لتقديم وزير الأوقاف الأردني شكاوى بحق منتقدي بعض إجراءاته وسياساته، واصفة ذلك بأنه «انتهاك لحرية الرأي والتعبير التي كفلها الدستور الأردني، وكفلتها العهود والمواثيق الدولية».

وقالت المنظمة في سلسلة تغريدات عبر «تويتر» إن السلطات الأردنية استدعت مؤخراً كلاً من الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية المهندس مروان الفاعوري، وأمين سر حزب جبهة العمل الإسلامي والناطق باسمه ثابت عساف، والكاتب الصحافي وائل البتيري، للتحقيق معهم حول منشورات لهم على صفحاتهم الشخصية في موقع «فيسبوك» انتقدوا فيها وزارة الأوقاف.

وأضافت أنه «بعد التحقيق؛ تم الإفراج عن الفاعوري، وتكفيل كل من عساف والبتيري، وتحويلهم جميعاً إلى المدعي العام للنظر في الشكاوى المقدمة بحقهم».

وأكدت المنظمة أن «ما نشره كل من الفاعوري وعساف والبتيري، يندرج تحت مبدأ حرية التعبير، وليس فيه ما يستدعي التحقيق معهم أو تحويلهم إلى المحاكمة».

وشددت على أنه «لا يجب استخدام القضاء من قبل الحكومات لإسكات أصوات منتقدي السلطة والضغط عليهم، فذلك يضر بمنظومة العدالة، ويحولها إلى منظومة مسيسة لا تصب في صالح الوطن».

الجزائر تُغلق قناة تلفزيونية مستقلة بسبب خبر مقتل شاب

لندن ـ «القدس العربي»:

أغلقت السلطات الجزائرية قناة تلفزيونية مستقلة بعد أن اتهمتها بأنها انتهكت القوانين وشروط الترخيص الخاصة بها، وذلك في أعقاب تناول القناة لخبر مقتل الشاب جمال اسماعيل في منطقة القبائل، وهو الحدث الذي أثار جدلاً واسعاً في البلاد.

وأعلنت وزارة الاتصال في بيان لها أنه تقرر «الاغلاق النهائي لقناة (لينا) التلفزيونية المستقلة وذلك استجابة لطلب سلطة السمعي البصري».

وأكدت الوزارة أن القناة «لم تستفد إلى يومنا هذا من الترخيص المسبق لمزاولة نشاطها السمعي البصري في الجزائر، وهو ما يصعب نشاطها خارج الأطر القانونية المعتمدة ما يقتضي الغلق النهائي والفوري لهذه القناة».

وكانت وزارة الاتصال قد وجهت تحذيراً سابقاً لقناة «لينا» قبل أشهر بسبب إثارتها موضوع التطبيع.

وكانت سلطة ضبط السمعي البصري قد طلبت من وزارة الاتصال غلق القناة بعد التحذير الذي كانت قد وجهته لها سابقاً ودعتها فيه إلى احترام المبادئ المهنية المعمول بها، وذلك في كانون الثاني/يناير الماضي.

وأشارت إلى أنه «رغم تأكيد السلطة على وجوب احترام هذه القناة للمبادئ المهنية المعمول بها، إلا أن السلطة تسجل مرة أخرى سقطات مهنية خطيرة تقترفها القناة قد تؤدي إلى تأجيج الوضع في مثل هذه الظروف الحساسة».

وأضافت أن «هذه القناة التي تمعن في التعدي على القواعد المطبقة على النشاط السمعي البصري وتساهم في بث الخطاب التحريضي والتضليلي للرأي العام، سواء بطريقة مباشرة أو بأسلوب إيحائي، تعدها السلطة خطراً على الوحدة الوطنية، خاصة وأن الأمة تمر بوضع استثنائي لا يسمح بمثل هذه الانزلاقات التي يمكن أن تأخذ أبعاداً أخرى وتأويلات لا تخدم سوى مآرب مجموعات مصلحية وأجندات مشبوهة».

وأكدت أنه «أمام هذه الخروقات والتجاوزات المهنية، فإن سلطة ضبط السمعي البصري تطلب من وزارة الاتصال اتخاذ الإجراءات اللازمة بالغلق النهائي والفوري لهذه القناة وتدعو منتسبي الإعلام القفيل إلى الالتزام الدائم بالموضوعية في الطرح وإلى ترقية مضامين ومحتويات البرامج المختلفة واحترام مقتضيات خدمة الاتصال السمعي البصري».

الأمن المصري يجدد حبس ناشط إعلامي معتقل منذ سنوات من دون محاكمة

لندن ـ «القدس العربي»:

جددت النيابة العامة في مصر حبس الإعلامي والمدون المعروف محمد إبراهيم محمد رضوان والشهير بـ«أكسجين» وذلك على ذمة قضية جديدة وهو ما يُعرف في مصر باسم «التدوير» أي يتم توقيفه على ذمة قضية جديدة من دون قرار قضائي وذلك بعد أن يكون قد أنهى الحد الأعلى من المدة المسموح فيها بالتوقيف وهي عامان.

وجددت نيابة أمن الدولة العليا في مصر يوم الثلاثاء الماضي حبس أكسجين على الرغم من مرور سنوات على توقيفه في قضية أخرى، حيث استكملت التحقيقات معه في قضية جديدة تحمل الرقم 1365 لسنة 2019 حصر أمن دولة، ووجهت له نفس الاتهامات السابقة وهي «الانضمام لجماعة محظورة ونشر أخبار كاذبة» لتكون هذه هي رابع مرة يتم تدويره فيها على ذمة قضية بدون أن تصدر بحقه أية إدانة قضائية.

ومنذ أسابيع قليلة، حاول «أكسجين» إنهاء حياته داخل محبسه بسجن طرة بسبب ما يتعرض له من انتهاكات بحقه فضلاً عن التجديد المستمر لحبسه الاحتياطي، والتعسف في منع ذويه من زيارته لمدة تجاوزت 15 شهراً، إلا أنه تم إنقاذ حياته في اللحظات الأخيرة.

وكانت إدارة سجن طرة 2 شديد الحراسة منذ شباط/فبراير 2020 قد حرمت «أكسجين» من الزيارات، في نفس الوقت الذي ترفض فيه إدارة السجن إيداع أسرته لمبالغ مالية لحسابه فيما يعرف بـ«الكانتين». ومن ناحية أخرى، لا يعلم أهله أو محاموه حقيقة وصول الأطعمة والمستلزمات الشخصية إليه عند تسليمها للحرس المتواجد على بوابة السجن.

وكان محمد إبراهيم صاحب مدونة «أكسجين مصر» قد ألقي القبض عليه أثناء تواجده بديوان قسم شرطة البساتين لتنفيذ التدبير الاحترازي على ذمة القضية 621 لسنة 2018 حصر تحقيق أمن الدولة، وتم إخلاء سبيله ظهر يوم الثامن من تشرين الأول/أكتوبر 2019 بسراي نيابة أمن الدولة، لكن استمر حبسه الاحتياطي حتى يوم 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 2020 حيث قررت محكمة جنايات القاهرة المنعقدة بمعهد أمناء الشرطة بمنطقة سجون طرة إخلاء سبيله بتدبير احترازي وهو القرار الذي لم تنفذه الأجهزة الأمنية وتحفظت عليه، ليفاجأ محاموه بعرضه مساء يوم 10 تشرين الثاني/نوفمبر 2020 على نيابة أمن الدولة العليا متهماً مرة ثالثة بذات الاتهام وهو «الانضمام لجماعة إرهابية» على ذمة القضية 855 لسنة 2020 حصر تحقيق نيابة أمن الدولة العليا، وهي القضية التي بدأت وقائعها، إن صحت، خلال تواجد أكسجين خلف جدران السجن شديد الحراسة، وفي حوزة الأجهزة الأمنية وبعلم النيابة العامة.

أفغانستان تهيمن على شبكات التواصل العربية: هل يتكرر المشهد في فلسطين؟

لندن ـ «القدس العربي»:

هيمنت تطورات الأحداث في أفغانستان على اهتمامات العرب على شبكات التواصل الاجتماعي خلال الأيام الماضية، وغرقت حسابات النشطاء والمستخدمين بالتعليقات حول ما يجري، فيما تباينت التعليقات بين مؤيد لحركة طالبان التي استولت على الحكم وبين معارض لها، فضلاً عن تداول العديد من مقاطع الفيديو والصور، إلا أن بعض المعلقين انشغل بالمقارنة بين ما يجري في أفغانستان وبين الأوضاع في العالم العربي، وصولاً إلى المقارنة بين الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والإسرائيلي لفلسطين.

وفوجئ العالم بانهيار مريع للنظام السياسي الحاكم في أفغانستان، حيث انهار الجيش وكافة أجهزة الأمن بمجرد مغادرة القوات الأمريكية للبلاد، كما فرَّ الرئيس أشرف غني هارباً إلى الخارج ليتبين أنه استقر في عاصمة دولة الإمارات أبو ظبي وسط تقارير تتحدث عن قيامه بنهب عشرات وربما مئات الملايين من الدولارات.

ودخل مقاتلو حركة طالبان الاسلامية إلى العاصمة كابول الأسبوع الماضي، كما دخل قادة الحركة إلى القصر الرئاسي دون أية مقاومة ولا اشتباكات بعد أن اختفت كافة المظاهر المتعلقة بالنظام السياسي الذي كان مدعوماً من الولايات المتحدة وكانت القوات الأمريكية تقدم له الحماية، فيما تقاطر الأجانب بمن فيهم القوات الأمريكية والغربية إلى مطار كابول وغادروا البلاد. وسرعان ما أصبحت أفغانستان وحركة طالبان حديث الشارع في العالم العربي وهيمنت الأحداث على شبكات التواصل الاجتماعي التي غرقت بالتعليق على ما يجري هناك، حيث أصبح الوسمان «#أفغانستان» و«#طالبان» في صدارة الوسوم الأكثر تداولاً في العديد من الدول العربية.

وقارن كثيرون بين رحيل الاحتلال الأمريكي عن أفغانستان وبين احتمالات أن يتكرر المشهد في فلسطين بأن يرحل الاحتلال الإسرائيلي بشكل مفاجئ ويُخلي البلاد فتعود إلى سكانها الأصليين.

ونشر الصحافي والمراسل التلفزيوني أحمد موفق زيدان صوراً لبقايا ملابس الجيش الأفغاني الذي هرب من أمام قوات طالبان، وكتب معلقاً: «بقايا اللباس الرسمي للجيش الأفغاني بمطار كابل بعد انهيار الحكومة، ووصول طالبان للسلطة، وفي الصورة الثانية جنود أفغان يهربون باتجاه إيران، حيث يقدر عدد الطائرات الهاربة إلى أوزبكستان بـ12 مقاتلة و24 مروحية وعلى متنها 600 جندي، لكن 18 ألفاً من القوات الخاصة معظمها لم يستسلم بعد».

أما الصحافي والكاتب الفلسطيني ياسر الزعاترة فعلق بالقول: «الرسائل التي بعثتها طالبان إلى الداخل والخارج، حتى الآن تبعث على قدر من الاطمئنان. عشرون عاما من مقاومة المحتلين، والاتصال مع جهات عديدة، لا بد أنها تركت أثرا على الحركة، فكيف وهي بدأت في التغيّر قبل الاحتلال أصلا؟ من يفضّلون شيطنتها لن يستمعوا إلى ذلك كله، وسيواصلون برنامجهم».

وغرد الصحافي الأردني باسل الرفايعة معلقاً على انهيار النظام الموالي لواشنطن بالقول: «اللحافُ الأمريكيُّ يقيكِ من برد كلّ الفصول، إلا الربيع، فله رائحةٌ لن تفهمها، إلا حين تزدحمُ الشوارعُ بالأزهار، ويقول المريبُ: خذوني إلى أقلّ وضوح، ويلوذ المستبدُّ بطائرة هلعاً من غضب الطيور، ومن خفقان الأجنحة».

أما الكاتب والباحث فراس أبوهلال فكتب يقول: «أكثر من يروجون لنظرية المؤامرة في انتصار #طالبان على الولايات المتحدة هم المهزومون من مروجي دعاية الأنظمة التابعة لأمريكا. انتصار طالبان يعري سادتهم وانبطاحهم، وهزيمة واشنطن هي قهر لصورة الإله الذي صنعوه لأمريكا باعتباره لا يهزم ولا يمكن مخالفته.. هؤلاء يؤلمهم أي انتصار».

وكتب أحد المعلقين: «الاحتلال غادر تاركاً أعوانه يواجهون مصيرهم. هؤلاء هم المترجمون والمتعاقدون الذين خدموا الاحتلال طيلة الـ20 عاما الماضية. مشهد يتكرر يُذكرنا بميليشيا أنطوان لحد عندما تحرر جنوب لبنان عام الفين».

وغرد عضو مجلس أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الدكتور محمد الصغير: «أوقفت طالبان زراعة المخدرات بقرار من الملا محمد عمر أواخر العام 2000 واعترفت الأمم المتحدة والمنظمات الدولية بذلك في 2001 ونشرت الخبر جريدة ذي نيوز الباكستانية في فبراير من العام الاحتلال أصلا» أمريكا تضاعف إنتاج أفغانستان من الأفيون عدة مرات».

وربطت الناشطة أمل زروق بين ما حدث في أفغانستان وما حدث في مصر فكتبت: «حركة طالبان «المتطرفة» كما يقول البعض، تصدر عفواً على كل الموظفين الحكوميين والعملاء، بينما أعلن المجرم السيسي عندما نفذ انقلابه الدموي حربا على جزء من شعبه قتلا وإعداما وسجنا وطردا وتهجيرا من الوظائف وسلبا للأملاك.. أيهما أجدر بأن يكون إرهابيا؟».

وغرد أحد المعلقين على تويتر: «الأمريكان في أفلامهم يدعون طيبتهم وحبهم وخوفهم في الفقراء والأطفال والحيوانات ولكن في حقيقتهم حفنة من القتلة والمرتزقة كما شاهد العالم كيف تركوا اتباعهم في أفغانستان يتساقطون من الطائره ولم يحنّ عليهم قائد الطائرة وكاد يدهسهم وهو يهم بالاقلاع».

وكتب مغرد يُدعى أبوحذيفة: «هرب الأمريكان من فيتنام 1975 وتركوا عملاءهم خلفهم، وهرب الأمريكان من أفغانستان 2021 وتركوا عملاءهم خلفهم.. المتسترو بالأمريكان عريان، فافهموا يا معشر العربان قبل فوات الأوان».

وغردت أنسام الهراوي: «لا تظنّوا أنّ العملاءَ الذين تركهم الأمريكيّون على الأرض وحملوا كلابَهم بدلاً منهم في الطائرة.. لا تظنّوا أن يُعيدوا حساباتِهم، فنفوس العملاء والخونة في كلّ مكان وزمان نفوسٌ رخيصة». وكتب حذيفة عبد الله عزام معلقاً: «الخطر ما يزال يحدق بأفغانستان وشبح الحرب ما انفك عنها بعد أن خرج جل حكمائها واعتصم كثير من مقاتليها بوادي بنجشير وسأوجه نصائح لجميع الأطراف بأن يغلبوا لغة الشرع والعقل وأن يستوعب بعضهم بعضا وأن يتعاونوا في بناء أفغانستان».

وغرد نادر حلوة: «لو كانت طالبان عشرون فصيلا وجماعة وجبهة، لما استطاع أياً منها الصمود في وجه أمريكا والناتو. ولما وجدناها اليوم تدخل المدن منتصرة بدون مقاومة. هل ستتعلم الفصائل السورية والفلسطينية واليمنية والليبية من الدرس الافغاني؟!».

يشار إلى أن حركة طالبان أعلنت في اليوم الأول لدخولها إلى العاصمة كابول سيطرتها على 73 في المئة من مناطق المدينة بواقع السيطرة على 11 منطقة من أصل 15.

وأمرت الحركة مقاتليها بدخول كابول بدعوى «منع عمليات النهب» مؤكدة تأمين مراكز الشرطة وجامعة كابول ووزارة التعليم، بعد خلو المراكز الأمنية من عناصرها.

وقالت طالبان إن على سكان كابول عدم القلق أو الخوف من مقاتلي طالبان، وأضافت: «لن نتعرض للموظفين الحكوميين وأفراد الجيش والشرطة وسندخل بكل هدوء».

وأقرّ الرئيس الأفغاني أشرف غني الذي فرّ إلى خارج أفغانستان بأنّ «حركة طالبان انتصرت» في حين أظهرت مشاهد تلفزيونية قادة الحركة يحتفلون بالنصر من داخل القصر الرئاسي في كابول.

وبعد عشرين سنة تقريباً على طردها من السلطة بات انتصار طالبان العسكري كاملاً مع انهيار القوّات الحكوميّة في غياب الدعم الأمريكي.

علوم وتكنولوجيا

دراسة: هجمات «التصيد» على الإنترنت تضاعفت أربع مرات خلال ست سنوات

لندن – «القدس العربي»:

أظهرت دراسة جديدة أجرتها شركة متخصصة أن الهجمات الإلكترونية التي تتم على الإنترنت والتي تحمل اسم «التصيد الاحتيالي» وهي هجمات تهدف للحصول على أموال من الضحايا، تضاعفت أكثر من أربع مرات خلال السنوات الست الماضية، وأن هذا النوع من الهجمات أصبح يُكبد الشركات في العالم خسائر بالمليارات سنوياً.

وبحسب الدراسة الصادرة عن معهد «بينامون» المتخصص بأمن المعلومات فإن تكلفة هجمات التصيد الاحتيالي تضاعفت أربع مرات خلال السنوات الست الماضية، كما أن الشركات الأمريكية الكبرى تخسر 14.8 مليون دولار سنوياً في المتوسط، أو 1500 دولار لكل موظف بسبب هذه الهجمات.

ويمثل هذا ارتفاعاً حادا عن رقم عام 2015 البالغ 3.8 ملايين دولار، ما يعني أن هذا النوع من الهجمات «التصيد الاحتيالي» يتسبب ببعض أكثر الهجمات الإلكترونية تكلفة.

ويعد اختراق البريد الإلكتروني للأعمال أحد أكثر أنواع التهديدات تكلفة، حيث ارتفعت تكاليفه بشكل كبير في عام 2020 إذ تم سرقة أكثر من 1.8 مليار دولار من المنظمات في العالم.

وشن المحتالون الإلكترونيون هجمات أكثر سلاسة، وذلك إما عن طريق انتحال شخصية شخص ما داخل المؤسسة أو عن طريق التنكر كشريك أو بائع من أجل تنفيذ عمليات الاحتيال المالية.

وبحسب الدراسة فإن هجمات طلب الفدية تعتبر أحد أكثر الهجمات تكلفة، حيث تتبع الخبراء تكاليف هجمات طلب الفدية المرتفعة. ولكن ما تدفعه الشركات مقابل مدفوعات الابتزاز في هجمات طلب الفدية هو مجرد أجزاء من التكاليف الحقيقية لهجمات التصيد الاحتيالي. وذلك وفقًا للدراسة التي تحمل عنوان تكلفة التصيد في عام 2021.

وقال لاري بونيمون، رئيس ومؤسس معهد «بينامون»: «عندما يعلم الناس أن إحدى المؤسسات دفعت الملايين لحل مشكلة هجمات طلب الفدية، فإنهم يفترضون أن إصلاحها يكلف الشركة مبلغ الفدية فقط. ما وجدناه هو أن الفدية وحدها تمثل أقل من 20 في المئة من تكلفة هجوم طلب الفدية».

وأضاف: «بالنظر إلى أن هجمات التصيد الاحتيالي تزيد من احتمالية خرق البيانات وتعطيل الأعمال، فإن معظم التكاليف التي تتكبدها الشركات تأتي من الإنتاجية المفقودة ومعالجة المشكلة بدلاً من الفدية الفعلية المدفوعة للمهاجمين».

وتستهلك الإنتاجية المفقودة وعمليات الاستعادة النصيب الأكبر من تكاليف هجمات التصيد، مع مجموعة أخرى من تكاليف التحقيق والامتثال.

ووفقاً لجدول يلخص الساعات السنوية التي تتكبدها المنظمة متوسطة الحجم لست مهام على أساس سنوي، فإن أكثر المهام التي تستغرق وقتاً طويلاً لحل عمليات التصيد هي تنظيف الأنظمة المصابة وإصلاحها وإجراء التحقيقات.

ووجدت الدراسة أنه في شركة أمريكية متوسطة الحجم تضم 9567 شخصاً فإن فقدان الإنتاجية يعني وجود 63 ألفاً و343 ساعة ضائعة كل عام.

ويضيع كل موظف ما معدله 7 ساعات سنوياً بسبب عمليات التصيد، بحسب الدراسة.

ووجد الباحثون أن متوسط التكلفة السنوية للتصيد قد ارتفع من 3.8 ملايين دولار في 2015 إلى 14.83 مليون دولار في 2021.

وارتفعت خسائر الإنتاجية من 1.8 مليون دولار في السنة المالية 2015 إلى 3.2 ملايين دولار في السنة المالية 2021.

وقدرت التكلفة السنوية لهجمات اختراق البريد الإلكتروني بنحو 5.97 ملايين دولار، في حين قدر متوسط تكاليف هجمات طلب الفدية بإجمالي 996 ألف دولار.

كوريون يبتكرون «روبوت» يتغير لونه كالحرباء

لندن – «القدس العربي»:

اخترع علماء جامعة سيئول الوطنية في كوريا الجنوبية، روبوتا يتغير لونه حسب لون البيئة المحيطة به، وأطلقوا عليه اسم «الحرباء».

ومن أجل تحقيق فكرة الروبوت الحرباء، ابتكر الباحثون «جلدا» خاصا، طبقته العليا مملوءة بأحبار يتغير لونها عند التسخين، حيث أن الحرارة تجبر دقائق الحبر الصغيرة على تشكيل بنى حلزونية، تعكس الضوء بطول موجي محدد. أي أن اختلاف كمية الحرارة، يؤدي إلى تشكل هياكل حلزونية مختلفة الحجم، ما يسمح لها بعكس اللون المطلوب. وأما الطبقة الثانية من «جلد الحرباء» فتتكون من عدد من عناصر التسخين.

وقد اختبر الباحثون «جلد الحرباء» على الروبوت، وتبين أنه يغير لونه وفقا للوسط المحيط، بحسب ما ذكر تقرير لوكالة «فيستي» الروسية.

وقدزود الباحثون الروبوت الحرباء، بالدوائر الدقيقة اللازمة، التي تمكنه من الزحف إلى الأمام. وأجهزة الاستشعار المثبتة على السطح السفلي من «جسمه» تتعرف على اللون الذي يزحف عليه الروبوت، وعلى ضوء ذلك يتغير لونه. ويتوقع المبتكرون، أن يستخدم ابتكارهم على نطاق واسع في الصناعات العسكرية.

وتجدر الإشارة، إلى أن الطبيعة تبقى مصدر إلهام للعلماء لا نهاية له. فقد سبق أن ابتكر العلماء روبوت حمامة وروبوت صرصور لا يمكن قتله وحتى روبوت كنغر وغير ذلك.

وتعتبر الروبوتات التي تتخذ من شكل الحيوانات نمطاً لها من بين التقنيات التي تشهد رواجاً واسعاً في العالم حالياً، كما أن هذه الروبوتات تتميز بجملة كبيرة من المزايا والمواصفات التي تجعلها تقدم خدمات خارقة للإنسان.

وقبل شهور قليلة أعلنت شركة صينية عن إنتاج كلب آلي «روبوت» يتمتع بمزايا ومواصفات غير مسبوقة، حيث قالت شركة «ويلان» الصينية إن الروبوت الكلب الذي يحمل اسم «ألفا دوغ» مطيع ولا ينبح ولا يعض ويترك آثارا أقل على سجادة البيت وهو الأسرع بين أقرانه في العالم.

وجهز هذا الكلب عالي التقنية بأجهزة استشعار عالية الجودة ويعمل بواسطة تقنيات الذكاء الاصطناعي التي تتيح له «سماع» بيئته و«رؤيتها».

ومع أنه بلا ذيل ورأس، لكنه يمكن أصطحابه في نزهة فهو «مثل كلب حقيقي» حسب وصف ما جي مدير التكنولوجيا في شركة «ويلان».

وحطم «ألفا دوغ» الرقم القياسي العالمي في السرعة بين الحيوانات المعدنية، إذ تصل سرعته القصوى إلى 15 كيلومترا في الساعة، فضلا عن أنه أكثر ثباتا من الكلب الحقيقي، على ما أكد مصمموه الذين أثبتوا ذلك بواسطة ركلة قوية له.

وعلى عكس الكلب الآلي الذي يتم التحكم فيه من بعد، يتحرك الروبوت رباعي الأرجل بحرية في بيئته باستخدام تقنيات جيل الإنترنت الخامس عبر الأجهزة المحمولة، مع وقت استجابة فائق السرعة.

الصين تبتكر حقناً طبية من دون إبر ولا وخز للأطفال

لندن – «القدس العربي»:

وافقت إدارة الغذاء والدواء الصينية رسميا ولأول مرة على تسويق حقن خالية من الإبر للأطفال هي الأولى من نوعها في العالم، وأهم ما يميزها أنها لا تؤدي إلى أي آلام وبالتالي فإن الأطفال لا يخافون منها ولا يخشونها، بحسب ما ذكرت جريدة «الشعب» الصينية.

ووفقا لبيانات الجمعية الطبية الصينية يوجد حاليا أكثر من 7 ملايين طفل يعانون من قصر القامة في الصين وبحاجة إلى حقن هرمون النمو يوميا في غضون 18 شهرا.

وبسبب مشاكل مثل «الخوف من الإبر» كثيرا ما كان الأطفال في السابق يعانون من مشاكل مثل رفض الحقن، والخدوش، وكسر الإبر أثناء الحقن، مما أثر بشكل خطير على العلاج.

ووفقا لجي ليونوغ مدير قسم الغدد الصماء في مستشفى الشعب التابع لجامعة بكين، فإنه قد تم تأكيد حقنة «Quinovare» الخالية من الإبر من خلال دراسة حجم العينة العالمية.

والحقن الخالية من الإبر أكثر أمانا من الحقن بالإبرة وتحظى بقبول المريض ورضا أعلى بكثير من طريقة الحقن التقليدية بحسب ما أوردت الصحيفة الصينية.

ووفقا للتقارير، تعتمد الحقن بدون إبرة على مبدأ التدفق النفاث لرش الدواء السائل من خلال الثغرة الميكرو الأدق من الشعرة في لمحة، ليخترق الجلد مباشرة، فيما الحقن بدون إبرة أسرع وأكثر ليونة بالمقارنة مع الحقن بالإبرة حيث أن عملية الحق برمتها غير مؤلمة.

علماء ينجحون في تطوير جزء مهم من الدماغ البشري في المختبر

لندن – «القدس العربي»:

تمكن علماء أوروبيون من زراعة دماغ بشرية وتطويرها في المختبر ليسجلوا بذلك تطوراً بالغ الأهمية في مجال معالجة أمراض الدماغ والأعصاب، ويتمكنوا بذلك أيضاً من تفكيك العديد من الألغاز المتعلقة بدماغ الإنسان، وهو ما يُنذر بثورة طبية جديدة في هذا المجال.

وبحسب التقرير الذي نشره موقع «ساينس اليرت» فإن علماء المان نشروا ورقة بحثية جديدة قالوا فيها إنهم تمكنوا من تنمية أدمغة صغيرة في المختبر من الخلايا الجذعية وطوروا تلقائيا هياكل بدائية للعين يمكنها استشعار الضوء.

وفي التفاصيل التي أوردوها فإنه يمكن استخدام الخلايا الجذعية المستحثة متعددة القدرات «iPSCs» لتوليد أشباه عضوية في الدماغ تحتوي على بنية للعين تسمى القديح البصري، أو الكأس البصري. وطوّرت عضيات الدماغ الصغيرة المشتقة من الإنسان، والتي زرعت في أطباق المختبر، تلقائيا كؤوسا بصرية متناظرة ثنائية الأطراف من الجزء الأمامي من المنطقة الشبيهة بالدماغ، ما يعكس تطور هياكل العين في الأجنة البشرية، وهو ما يدل على القدرة الذاتية للنمذجة الذاتية للخلايا الجذعية المستحثة متعددة القدرات «iPSCs» في عملية بيولوجية معقدة للغاية.

وستساعد هذه النتيجة المذهلة على فهم عملية تمايز العين وتطورها بشكل أفضل، بالإضافة إلى أمراض العيون.

وقال عالم الأعصاب جي غوبالاكريشنان من مستشفى دوسلدورف الجامعي في ألمانيا: «يسلط عملنا الضوء على القدرة الرائعة لعضيات الدماغ على توليد بنى حسية بدائية حساسة للضوء وتأوي أنواعا من الخلايا مشابهة لتلك الموجودة في الجسم، بحسب ما نقل موقع «ساينس اليرت».

وأضاف: «يمكن أن تساعد هذه العضيات في دراسة تفاعلات الدماغ والعين أثناء نمو الجنين، ونمذجة اضطرابات الشبكية الخلقية، وتوليد أنواع خلايا شبكية خاصة بالمريض لاختبار العقاقير الشخصية وعلاجات الزرع».

وعضيات الدماغ ليست أدمغة حقيقية بما إنها هياكل صغيرة ثلاثية الأبعاد نمت من خلايا جذعية مستحثة متعددة القدرات، وهي خلايا يتم جمعها من بشر بالغين وعكس اتجاهها إلى خلايا جذعية، والتي لديها القدرة على النمو إلى العديد من أنواع الأنسجة المختلفة.

وفي هذه الحالة، يتم إقناع هذه الخلايا الجذعية بالنمو إلى كتل من أنسجة المخ، دون أي شيء يشبه الأفكار أو العواطف أو الوعي.

وتُستخدم هذه «العقول الصغيرة» لأغراض بحثية حيث يكون استخدام أدمغة حية فعلية مستحيلا، أو على الأقل، صعبا أخلاقيا، لاختبار استجابات الأدوية، على سبيل المثال، أو مراقبة تطور الخلايا في ظل ظروف معاكسة معينة. وهذه المرة، كان غوبالاكريشنان وزملاؤه يسعون لمراقبة تطور العين.

وفي بحث سابق، استخدم علماء آخرون الخلايا الجذعية الجنينية لتنمية كأس بصرية، وهي الهياكل التي تتطور إلى مجمل مقلة العين تقريبا أثناء التطور الجنيني. وقد طورت أبحاث أخرى هياكل تشبه الكأس البصرية من الخلايا الجذعية المحفزة متعددة القدرات.

وبدلا من تنمية هذه الهياكل بشكل مباشر، أراد فريق غوبالاكريشنان معرفة ما إذا كان يمكن زراعتها كجزء متكامل من عضيات الدماغ. وسيضيف هذا فائدة رؤية كيف يمكن أن ينمو نوعا الأنسجة معا، بدلا من مجرد تنمية الهياكل البصرية في عزلة.

وكتب العلماء في ورقتهم البحثية: «إن نمو العين عملية معقدة، وفهمها يمكن أن يسمح بتدعيم الأساس الجزيئي لأمراض الشبكية المبكرة. وبالتالي، من المهم دراسة الحويصلات البصرية التي هي بدائية العين التي ترتبط نهايتها القريبة بالدماغ الأمامي، وهي ضرورية لتكوين العين بشكل صحيح».

وأظهر العمل السابق في تطوير العضيات دليلا على وجود خلايا شبكية، لكنها لم تطور هياكل بصرية. لذلك قام الفريق بتغيير البروتوكولات الخاصة بهم. ولم يحاولوا فرض تطوير خلايا عصبية بحتة في المراحل المبكرة من التمايز العصبي، وأضافوا أسيتات الريتينول إلى وسط الاستزراع كمساعدة في نمو العين.

وشكلت الأدمغة الصغيرة التي تم الاعتناء بها جيدا كؤوسا بصرية في وقت مبكر من 30 يوما من التطور، مع ظهور الهياكل بوضوح بعد 50 يوما. وهذا يتوافق مع توقيت تطور العين في الجنين البشري، ما يعني أن هذه العضيات يمكن أن تكون مفيدة لدراسة تعقيدات هذه العملية.

وهناك تداعيات أخرى أيضا. احتوت الكؤوس البصرية على أنواع مختلفة من خلايا الشبكية، والتي تم تنظيمها في شبكات عصبية تستجيب للضوء، وحتى تحتوي على عدسة وأنسجة قرنية. وأخيرا، أظهرت الهياكل اتصالا شبكيا بمناطق أنسجة المخ.

وقال العلماء إن الفريق يأمل في تطوير استراتيجيات للحفاظ على هذه الهياكل قابلة للحياة على نطاقات زمنية أطول لإجراء المزيد من الأبحاث المتعمقة ذات الإمكانات الهائلة.

وكتبوا في ورقتهم البحثية: «يمكن تطوير عضيات دماغية تحتوي على حويصلات بصرية تعرض أنواعا عالية التخصص من الخلايا العصبية، ما يمهد الطريق لتوليد عضيات شخصية وصفائح طلائية صبغية للشبكية من أجل الزرع».

الصين تعتزم إنتاج الكهرباء في الفضاء وإرسالها إلى الأرض عبر مشروع خيالي وخارق

لندن – «القدس العربي»:

تخطط الصين لإطلاق أسطول من الألواح الشمسية بطول ميل في الفضاء بحلول عام 2035 من أجل توليد الطاقة الكهربائية وإعادة إرسالها إلى الأرض في محاولة لتحقيق هدفها المتعلق بالحفاظ على البيئة بحلول العام 2060.

وبحسب تقرير مفصل نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية واطلعت عليه «القدس العربي» عن هذا المشروع الصيني العملاق والطموح، فإنه بمجرد تشغيل مجموعة الطاقة الشمسية الفضائية بالكامل بحلول عام 2050 سترسل كمية من الكهرباء إلى الصين تعادل إنتاج الطاقة الكهربائية الناتج عن محطة الطاقة النووية.

ويقول التقرير إنه «تم اقتراح فكرة إنشاء محطة طاقة فضائية لأول مرة من قبل كاتب الخيال العلمي إسحاق أسيموف في عام 1941 واستكشفتها منذ ذلك الوقت عدة دول بما في ذلك بريطانيا والولايات المتحدة».

وفوق الأرض لا توجد غيوم ولا ليل أو نهار يمكن أن يعيق وصول أشعة الشمس مما يجعل محطة شمسية فضائية مصدراً ثابتاً ومضموناً للطاقة الكهربائية وبانبعاثات كربونية صفرية، أي دون أن تسبب أي تلوث لسكان الكرة الأرضية أو لأي مكان من الكون.

وتقول «دايلي ميل» إنه مع ذلك فإن الحكومة الصينية تبدو مستعدة للانتقال من استكشاف العلوم والتكنولوجيا وراء الفكرة إلى وضع نظام موضع التنفيذ.

وفي مدينة تشونغتشينغ وضعت الحكومة الصينية حجر الأساس لمحطة الطاقة الشمسية الفضائية الجديدة وأطلقت عليها اسم «Bishan» حيث ستبدأ الاختبارات لهذه المحطة بحلول نهاية العام الحالي على أمل وجود محطة طاقة شمسية كبيرة تعمل فعلاً بحلول عام 2030.

وليس من الواضح كم ستكلف محطة الطاقة الفضائية الكاملة لإطلاقها أو تشغيلها، ولكن من المتوقع أن يتم تشغيلها بحلول عام 2035 على أن تتوسع وتصبح أكثر فاعلية بحلول عام 2050.

وتقول دوائر الأرصاد الجوية إن ثلث الأيام في مدينة تشونغتشينغ في جنوب غرب الصين يشوبها الضباب طوال العام مما يجعلها مضيفاً غير محتمل لمركز أبحاث يركز على الطاقة الشمسية.

ومع ذلك، وعلى مدى العقد المقبل، سيقوم فريق مقره في المركز الجديد باختبار وإطلاق مجموعة من الألواح الشمسية في مدار ثابت بالنسبة للأرض.

وسيبدأ بمغاواط واحد فقط من الطاقة، ولكن بحلول عام 2049 سيتم تحويله إلى غيغاواط من الطاقة، وهو نفس ناتج أكبر مفاعل للطاقة النووية في الصين.

وتقول المعلومات الواردة من الصين إنه تم بالفعل إنشاء مرفق اختبار لهذا المشروع بقيمة 15.4 مليون دولار من قبل البرنامج الوطني للطاقة الشمسية قبل ثلاث سنوات ولكن تم تأجيل المضي قدما بهذا المشروع منذ ذلك الوقت لتوفير الوقت للمناقشات حول التكلفة والجدوى والسلامة.

وتم حل المشكلات التي كانت قد ظهرت أمام المشروع حيث تم استئنافه مرة أخرى في حزيران/يونيو الماضي على أن ينتهي البناء بحلول نهاية العام الحالي.

ويقول العلماء القائمون على المشروع إن «وجود صفيف من الألواح الشمسية يدور حول 22400 ميل فوق الأرض في مدار ثابت بالنسبة للأرض من شأنه أن يسمح لمحطة الطاقة بتجنب ظل الأرض وجمع ضوء الشمس طوال الوقت» بحسب ما نقلت «دايلي ميل».

وسيعمل الباحثون على أفضل تصميم لإعادة الطاقة إلى الأرض، بما في ذلك البناء على تجارب نقل الطاقة بعيدة المدى الحالية.

ويُعتقد أنه باستخدام الموجات الدقيقة سيتمكن الفريق من تقليل كمية الطاقة المفقودة أثناء مرورها عبر الغلاف الجوي.

ويتضمن المفهوم الأساسي للفكرة محطة فضائية ذات مصفوفة شمسية لتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية. ثم تستخدم جهاز إرسال موجات دقيقة أو باعث ليزر لنقل الطاقة إلى مجمّع على الأرض.

وتشمل مزايا هذه التقنية حقيقة أن الظهيرة الشمسية دائماً في الفضاء مع وجود شمس كاملة، ويمكن أن تتلقى أسطح التجميع أشعة الشمس الشديدة أكثر من الأرض.

وسيبدأ العلماء العاملون في منشأة «بيشان» أولاً بإرسال إشارات من البالونات إلى محطة استقبال، كما يأملون في إرسال منطاد لجمع الطاقة الشمسية في الستراتوسفير وإرسالها على بعد 15 ميلاً إلى المحطة الأساسية بمجرد اكتمال المبنى.

وبالإضافة إلى العمل على نظام فضائي لتشغيل الشبكة سيطور الفريق أيضا تطبيقات أخرى مثل استخدام حزم الطاقة لتشغيل الطائرات بدون طيار لمسافات طويلة.

وتنتشر محطة الاستقبال على مساحة 4.9 فدان وتحيط بها منطقة تطهير تغطي مساحة تزيد عن 25 فداناً، وسيكون للمنشأة منطقة عازلة آمنة للحزم التجريبية، وذلك لأن الدراسات الصينية أظهرت أن خطر وجود محطة للطاقة الشمسية في الفضاء «لا يمكن إهماله» نظراً لاحتمال حدوث اهتزازات في المصفوفة الشمسية مما يتسبب في حدوث اختلالات في مسدس إشعاع الميكروويف.

ويعمل الفريق الصيني على التأكد من أن لديه نظاماً متطوراً للغاية للتحكم في الطيران للحفاظ على هدفه في بقعة صغيرة على الأرض.

ويعد الإشعاع خطراً آخر حيث لن يتمكن الناس من العيش في نطاق ثلاثة أميال من محطة الاستقبال الأرضية بمجرد صعود إنتاجها إلى غيغاواط من الطاقة.

ويقال أيضاً أن دولاً أخرى تستكشف فكرة الطاقة الشمسية في الفضاء بما في ذلك الجيش الأمريكي الذي يعتقد أنه يمكن استخدامها لتشغيل الطائرات بدون طيار والمواقع العسكرية النائية، حسب تقرير الصحيفة البريطانية.

كما حذر متخصصون في مجال الدفاع والعلوم العسكرية من أن هناك مخاوف بشأن تسليح الفضاء حيث يمكن استخدام حزمة الطاقة لإخراج الصواريخ والطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت من مسافة بعيدة أو حتى التسبب في انقطاع التيار الكهربائي عن مدينة بأكملها.

وكانت وكالة الفضاء البريطانية قد قامت بإجراء دراسة جدوى لفكرة مماثلة في عام 2020 ووجدت أن خفض تكلفة إطلاق الصواريخ بسرعة سيجعلها قريباً وسيلة قابلة للتطبيق للحد من انبعاثات الكربون.

وتاريخياً جعلت تكلفة إطلاق الصواريخ والوزن المطلوب لمشروع بهذا الحجم فكرة الطاقة الشمسية الفضائية غير مجدية.

وتشير التقديرات إلى أن محطة طاقة فضائية كبيرة ستزن عدة آلاف من الأطنان مما قد يتطلب عمليات إطلاق متعددة للوصول إلى الفضاء.

ولكن على الرغم من ذلك، وجدت دراسة وكالة الفضاء البريطانية أن تكلفة الكهرباء التي تنتجها المحطات، وإرسالها إلى الأرض ستكون أقل من 3.79 جنيه إسترليني لكل ميغاواط/ ساعة.

وللمقارنة تبلغ طاقة الرياح الشمسية والبرية الأرضية حالياً حوالي 36 جنيهاً إسترلينياً لكل ميغاواط /ساعة، بينما تبلغ الطاقة النووية حوالي 50 جنيهاً إسترلينياً لكل ميغاواط ساعة، ما يعني أن تكلفة الإنتاج من المحطة الشمسية الفضائية أقل بكثير من نظيراتها.

اقتصاد

ليبيا في ظل التأخر في اعتماد الميزانية: انتقادات لآلية الصرف المتبعة من الحكومة وجدل حول أساسها القانوني

طرابلس ـ «القدس العربي»: نسرين سليمان

اتهامات متتالية باتت توجه لحكومة الوحدة الوطنية مع التأخر في اعتماد الميزانية العامة للدولة، بسبب قيامها بصرف مبالغ ضخمة جدا، بدون أن تنشر أو توضح أوجه صرفها، ومصدره؛ والسند القانوني والنص الذي تستند عليه، في إطار هذه المصروفات.

مصادر حكومية أوضحت لـ«القدس العربي» أن حكومة الوحدة الوطنية تقوم بصرف من 1 إلى 12 من الميزانية المقترحة، في إطار النصوص القانونية المحددة للحكومة في حال تأخر البرلمان في اعتماد ميزانيتها، إلا أن هذه النسبة من المصروفات وفي نص القانون بها جدل كبير، وقد اتهم البعض الحكومة بالفساد واستغلال ثغرات القانون والتضارب في بعض المواد لصرف الأموال بلا رقابة تذكر.

نص القانون

ففي إطار مقترحات لجنة شباط/فبراير التي ضمنت في الإعلان الدستوري، يجوز للحكومة أن تصرف من 1 إلى 12 من الميزانية المقترحة للعام الحالي، حال تأخر البرلمان في اعتماد ميزانيتها وتعطل تسيير أعمالها، وهذا ما ربطه بعض المتتبعين بقيام الحكومة بتضخيم الميزانية في مقترحات متتالية.

إلا أن هذه المادة التي استندت عليها الحكومة في صرف هذه المبالغ الطائلة تعتبر ملغاة وباطلة بموجب القانون استندا إلى حكم الدائرة الدستورية العليا الصادر في تشرين الثاني/نوفمبر من عام 2014 والقاضي بإلغاء الفقرة 11 من المادة 30 من الإعلان الدستوري المؤقت والتي تم من خلالها تضمين مقترحات لجنة شباط/فبراير.

وبخلاف مقترحات لجنة فبراير التي خلت الأوراق، فالقانون ينص على وجوب أن تصرف الحكومة كاعتماد مؤقت من 1 إلى 12 من ميزانية السنة الماضية على اعتبارها ميزانية معتمدة خاضعة لرقابة السلطة التشريعية للدولة، وبهذا النص يستطيع البرلمان على الأقل أن يعلم ما الذي صرفته الحكومة من أموال لعلمه بميزانية السنوات الماضية التي اعتمدها بيده.

ورغم عدم توضيح حكومة الوحدة الوطنية وبشكل رسمي أي قانون قد استندت عليه إلا أن الواقع يوضح استنادها على مقترحات لجنة فبراير والتي رأى القانونيون أنها ومن خلال هذه المادة تفتح باب فساد للحكومة خارج أعين السلطات الرقابية والتشريعية.

كما أن قيام الحكومة برفع المقترح من الميزانية عقب كل فترة، كان حسب متتبعين دليلا قاطعا على استنادها في الصرف على مقترحات لجنة فبراير ولهذا لجأت لرفع الميزانية ليرفع المتاح للصرف تدريجيا.

مقترحات جديدة

فقبل أيام أحالت حكومة الوحدة الوطنية مقترحا للميزانية العامة للدولة للعام 2021 عقب تعديله لمجلس النواب الليبي، لغرض النظر فيه واعتماده عقب التصويت عليه من قبل أعضاء المجلس.

وقد حصلت صحيفة «القدس العربي» على نسخة من مشروع الميزانية المحال حديثا والذي تخطت فيه القيمة الإجمالية للميزانية المعدلة 111 مليار دينار، مسجلة 111 مليارًا و273 مليونًا و260 ألفًا و670 دينارًا.

وتضمن المقترح رفع بند المرتبات إلى 43.9 مليار دينار، أما التسييرية فأدرج له مبلغ 18.7 مليار دينار ليبي، بينما خصص لبند التنمية عشرون مليار والدعم 22 مليار، ورفعت الحكومة مخصصات باب الطوارئ إلى ستة مليار.

وعقب هذا المقترح أحالت الحكومة مقترحا آخر إلا أنه لم ينشر ولم يسرب على وسائل الإعلام تضمن تعديلا طفيفا بذات المبلغ التقريبي 111 مليار دينار ليبي.

آراء وتوجهات

الخبير الاقتصادي نور الدين حبارات قال تعليقا على هذه القضية أن قرار الحكومة بشأن الصرف بموجب 12/1 من مشروع الميزانية المقترحة يأتي وفقاً لأحكام المادة (24) من مقترحات لجنة فبراير التي ضمنت للإعلان الدستوري المؤقت بموجب التعديل السابع خلال العام 2014.

وأضاف حبارات أن هذا القرار يعني ويفهم ضمنياً عدم حاجة الحكومة لإنتظار اعتماد أو مصادقة مجلس النواب على مشروع الميزانية في ظل استمرار التأخر أو التأجيل في اعتمادها لإن ذلك يخدمها أي الحكومة ولا يعطلها.

وتابع «لذلك فإن الحكومة مصرة على رفض إجراء أي تخفيض في مشروع الميزانية بل إجرت زيادة لها من 93 إلى 111 مليار دينار رغم مطالب المجلس المستمرة بتخفيضها على مدار الأشهر الماضية وتحذيره للحكومة من تداعيات ميزانية بهذا الحجم على معدلات التضخم والقدرة الشرائية للدينار ومرتبات المواطنين وعلى الاقتصاد بشكل عام».

وفي حديثه عن مجلس النواب قال حبارات «قد يرى الكثيرون إن بإمكان مجلس النواب وضع حد لهذه المعضلة عبر إجراء تعديل دستوري يلغي بموجبه المادة المذكورة أعلاه باعتبارها تحد من صلاحياته وتغل يده في مراقبة الميزانية وفي التصدي لتصرفات الحكومة التي لم تعد مبالية بما يتخذه من إجراءات، ورغم إن هذه المادة قانوناً ملغاة استناداً إلى حكم الدائرة الدستورية العليا الصادر في تشرين الثاني/نوفمبر من العام 2014 بشأن إلغاء الفقرة (11) من المادة 30 من الإعلان الدستوري المؤقت التي تم بموجبها تضمين مقترحات لجنة فبراير رزمة واحدة، لكن عملياً الموضوع مختلف وليس بالأمر الهين بل معقد جداً، فمجلس النواب لا يستطيع الطعن في قانونية تلك المادة (المادة 24) أو التمسك بحكم أو قرار المحكمة العليا القاضي بإلغائها لإن طعنه فيها يعني طعنه في نفسه وإلغاء وجوده. فهذا المجلس أتى أيضاً بموجب مقترحات لجنة فبراير الملغاة، واستمرار وجوده في المشهد إلى اليوم كان استناداً إلى اتفاق الصخيرات بشأن تقاسم السلطة وليس بموجب الانتخابات المنبثقة عن مقترحات لجنة فبراير الملغاة والأمر نفسه فيما يتعلق بمجلس الدولة .

وختم حبارات حديثه قائلا أن هذه الحقيقة يدركها أعضاء مجلس النواب جيداً والتي قد لا يعلمها الكثيرون، وعليه فإن التأخر في اعتماد الميزانية وحالة الشد والجذب بينهما أعتقد ستتواصل، فمجلس النّواب مصمم على اعتماد مبلغ مخفض من خلال لجنته المالية والحكومة متمسكة بمشروعها دون تعديل.

مطالبات النواب

وخلال الجلسة الأخيرة للمجلس كان هناك موقف للجنة المتخصصة في مراجعة بنود الميزانية بمجلس النواب والمساة بلجنة المالية حيث اعترض رئيسها قائلا إن اللجنة المالية عكفت في المدة الماضية على تقديم اقتراح بشأن الميزانية ولم يتم عرضه على مجلس النواب، موضحا إن الحكومة جلبت ميزانية أخرى وأن من حق لجنة المالية والنواب التعديل في الميزانية وإقرارها.

حيث وفي وقت سابق قدمت لجنة المالية بمجلس النواب الليبي مقترحا بديلا حصلت «القدس العربي» على صورة منه الا أنه لم يناقش بشكل جدي من قبل مجلس النواب.

وتضمنت الوثيقة المعدة كمقترح تعديل الميزانية بشكل عام وتقليصها إلى مبلغ 75.7 مليار دينار عقب أن قدمت من الحكومة معدلة بمبلغ 93.8 مليار دينار، واعترض عليها مجلس النواب.

وقلص الباب المرتبات إلى 33.8 مليار دينار، أما الباب التسييري فقد قلص إلى 9.2 مليار دينار، وقلصت ميزانية التنمية إلى 12 مليار دينار، أما باب الدعم فقد ظل بمبلغ 20 مليار دينار.

وقد بات معظم الاقتصاديين يضعون سيناريو يتمثل في عدم اعتماد الميزانية وبقاء الوضع كما هو عليه، حيث قال الخبير الاقتصادي مختار الجديد «فيما يتعلق بامكانية اعتماد الميزانية بحسب المتوقع فهناك سيناريوهات مرتبة بحسب احتماليتها العالية. السيناريو الأول هو عدم اعتماد الميزانية حتى نهاية السنة وهو أقوى السيناريوهات المتوقعة واستمرار الصرف بواقع 1.12».

وأضاف الجديد «أن السيناريو الثاني يتمثل في اعتماد ميزانية برقم في حدود الثمانية وسبعين مليار دينار، أما السيناريو الثالث وهو اعتماد ميزانية بمبلغ مئة واحدى عشر مليار دينار وهو سيناريو مستبعد جدا» خاتما حديثه «عن نفسي أتمنى ان يتحقق السيناريو الثاني».

وعلى إثر قيام الحكومة في قرارات سابقة بتخصيص أموال خارج بنود الميزانية المقترحة ومن رسوم النقد الأجنبي كان هناك ردود فعل أيضا على هذا التصرف وأولها من عضو مجلس النواب الليبي عبد السلام نصية الذي قال أنه لا يجوز ان تُخصص الحكومة أموالا من خارج الميزانية، معتبرا هذه جريمة بحق حسابات الدولة (حساب الاحتياطي العام) موضحا أن الحكومة يحق لها التصرف في أموال الميزانية فقط، مضيفا ننتظر في رد المحافظ كما عودنا في السابق عندما يتجاوز السراج ويخصص أموالا خارج الترتيبات المالية.

وتعليقا على حجم الميزانية المقدمة قال نصية أن طلب الحكومة باستعادة مشروع الميزانية بعد هذه الفترة من الاصرار والتمسك بعدم تعديل الملاحظات الفنية، واعادتها اليوم بقيمة أكبر من السابقة وبأخطاء مالية متعمدة، الغرض منه فقط الاستمرار في الانفاق 12/1 وزيادته بقيمة الميزانية المقترحة الجديدة، في أكبر عملية تظليل مالي تشهده البلاد.

عضو مجلس النواب الليبي أبوبكر سعيد قال أن المقترح المُعدل يزيد بقيمة حوالي (17 مليار دينار ليبي) عن مشروع القانون السابق، مضيفا أن الزيادة كانت في باب المرتبات وباب المصروفات التسييرية والتشغيلية وباب الطوارئ الذي رفض من النواب كليا وتم الاتفاق على ضرورة الغاءه.

وأضاف سعيد أن أعضاء مجلس النواب بمن فيهم لجنة التخطيط والمالية لا علم لهم بهذا المقترح إلا بعد تسليمه رسميًا للمجلس، علماً إنه تم الانتهاء من مراجعة مشروع القانون السابق والتوافق مع الحكومة وتسوية أغلب الملاحظات، وكان قاب قوسين وأدنى من المصادقة عليه في الجلسة الماضية بملاحظات.

وتابع سعيد أن تقديم مقترح جديد للميزانية يتطلب وفق اللائحة إحالته إلى لجنة التخطيط والمالية لدراسته ومراجعته من جديد قبل عرضه على المجلس للنقاش والتصويت، أي بمعنى أنه لا صحة إطلاقًا لما يُشاع إنه تم اعتماد مشروع الميزانية الجديد، مضيفا أنه وفي كل الأحوال فالمصادقة على مشروع قانون الميزانية يتطلب أغلبية موصوفة (120 عضوًا بالموافقة لتمرير القانون) وفق ما نصت عليه المادة (30) فقرة (6) الواردة بالتعديل السابع للإعلان الدستوري المؤقت.

غزة: غياب السيولة النقدية من عملة الدولار والدينار الأردني يفاقم معاناة المواطنين والتجار

إسماعيل عبدالهادي

يواجه المواطنون والتجار في قطاع غزة، معاناة صعبة خلال محاولتهم الحصول على أهم العملات النقدية التي يتم التعامل بها في فلسطين إلى جانب الشيكل وهما عملتا الدولار الأمريكي والدينار الأردني، حيث انعكس شحهما من السوق سلباً على مصالح التجار والمواطنين، الذين يعتمدون في معاملاتهم على عملة الدولار والدينار.

وكانت باكورة هذه الأزمة مع انتهاء العدوان الإسرائيلي على غزة في 21 أيار/مايو الماضي، عندما شرعت إسرائيل بإغلاق المعابر التجارية مع غزة، وصاحب ذلك العديد من الأزمات أبرزها ندرة البضائع والمنتجات نتيجة لتوقف الاستيراد والتصدير لفترات طويلة، إضافة إلى توقف المشاريع الدولية ومنع إدخال المنحة القطرية للمحتاجين والتي تنعش الأسواق.

ويعتمد الفلسطينيون على عملة الدينار الأردني للمهور وشراء الأراضي والذهب ورسوم الجامعات، في حين يشترون العقارات بالدولار بينما تجري المعاملات اليومية بالشيكل الإسرائيلي، وخلال موسم الصيف يزداد الطلب بشكل كبير على عملة الدينار الأردني، نظراً لأن هذا الموسم تكثر فيه الأفراح والأعراس، ولكن وجد المواطنون خلال هذا العام صعوبة في إدارة متطلباتهم نتيجة اشتداد الأزمة.

وتعود أسباب الأزمة وفق مختصين اقتصاديين إلى جملة من الأسباب ومنها تزايد الاستيراد من مصر في أعقاب العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة، ما ساهم في سحب جزء كبير من عملة الدولار الأمريكي، فضلاً عن عدم وجود منح خارجية للقطاع لا سيما المنحة القطرية والتي تبلغ قيمتها 30 مليون دولار، والتي شكلت رافداً مهماً لعملة الدولار نتيجة ضخها لصالح الأسر الفقيرة بدرجة أساسية، وهو ما كان يؤدي إلى منع حدوث أزمة في عملة الدولار خلال فترة صرفها، ولكن تراجع صرفها للشهر الرابع على التوالي، أدى إلى انكشاف السوق ونقص في العملة.

وعملت البنوك في غزة على تعميق الأزمة المالية حفاظاً على مصالحها، حيث لجأت إلى سحب الدولار والدينار من أجهزة الصراف الآلية، واقتصار عملية صرفها على مبالغ مالية ليست كبيرة، كما أجبرت أصحاب الحوالات المالية السريعة على صرفها بعملة الشيكل الإسرائيلي.

وأكد الخبير في الشأن الاقتصادي ماهر الطباع أن توقف صرف المنحة القطرية للفئات المحتاجة في قطاع غزة والتي كانت تضخ شهرياً بالدولار الأمريكي، يعد من أهم أسباب شح الدولار في السوق والبنوك، حيث كان يصل القطاع كل شهر مبلغ كبير من المنحة، وهذا المبلغ يعزز السيولة النقدية من فئة الدولار في الأسواق وبين التجار والمواطنين.

وبين الطباع لـ«القدس العربي»: أن القطاع كي يتعافى من الأزمة القائمة حالياً، بحاجة إلى ضخ ما يقارب من 90 مليون دولار على عملة الدينار الأردني، نظراً لأن هذا الموسم تكثر فيه الأفراح والأعراس، ولكن وجد المواطنون خلال هذا العام صعوبة في إدارة متطلباتهم نتيجة اشتداد الأزمة.

ولفت إلى أن الحلول أيضاً تتمثل في سماح الجانب الإسرائيلي بتصدير المنتجات من غزة للخارج، خاصة المنتجات الزراعية التي تحظى بطلب كبير عليها من دول أوروبا، إلى جانب السماح بحركة السفر والتنقل للتجار إلى داخل إسرائيل، فهذه عوامل جميعها ستساعد في تخفيف أزمة السيولة المالية في القطاع.

ودعا الطباع سلطة النقد الفلسطينية إلى التدخل لحل هذه الأزمة التي تتصاعد يوماً بعد الآخر، باعتبارها الجهة المشرفة على أداء النظام المصرفي بشكل عام، من خلال تقديم السيولة النقدية للبنوك، واستبدال العملات المهترئة بعملات جديدة خاصة الدينار الأردني.

وقال الخبير في الشأن الاقتصادي محسن أبو رمضان إن من أسباب أزمة شح عملة الدولار والدينار في غزة إلى جانب غياب المنح الدولية، هو أن معظم الناس لا تودع أموالها في البنوك، بسبب إجراءات البنوك المتعلقة بتحديد مبلغ محدود للصرف من الأموال المودعة، إلى جانب عدم ترحيل العملات التالفة لبنوك الضفة الغربية واستبدالها ومنع البنوك من إخراج العملات، لذلك يفضل المواطنون بقاء الأموال في بيوتهم، ما يؤثر على ضخ البنوك للعملات.

وأوضح أبو رمضان لـ«القدس العربي»: أن الحل للخروج من هذه الأزمة هو الضغط من قبل المجتمع الدولي، للعمل سريعاً على دخول المنح المالية والمساعدات الدولية نقداً إلى غزة، ورفض أي محاولات لتحويلها لتوريدات سلعية، وضرورة أن تكون هناك رقابة على السوق المالي المحلي، بالإضافة إلى إمكانية أن يؤدي استثناف إدخال المنحة القطرية لإنعاش الدولار في المحلي.

وأشار إلى أن غياب الدولار يشكل ضعفاً شديداً في الحركة التجارية، فالتجار لا يستطيعون استيراد البضائع من الخارج طالما ليست لديهم سيولة من الدولار، وهذا يعيق عملية الاستيراد ويكبد التجار خسائر مالية، كما ينعكس ذلك على شح البضائع في السوق المحلي، بسبب عدم مقدرة التجار على إدخالها.

ويرجح الخبير الاقتصادي أن تشهد الأيام المقبلة إنفراجة لهذه الأزمة، في ظل المناورات المكوكية من قبل إسرائيل والأمم المتحدة، لإيجاد آلية معينة لاستئناف تحويل المنحة القطرية إلى المحتاجين في غزة، وبمجرد وصول المنحة تعود الحياة لطبيعتها تدريجياً.

ويقول وليد شيخة صاحب محل للصرافة والحوالات الدولية، إن الأسباب التي عززت من عدم توفر السيولة النقدية من فئة الدولار تحديداً، تتمثل في منع الاحتلال إدخال العملة الأمريكية لغزة، وعرقلة الجهود الدولية لتقديم الدعم المالي، وتراجع التمويل داخل القطاع في الفترة الأخيرة.

وقال شيخة لـ«القدس العربي»: إن الاستنزاف المستمر من عملة الدولار باتجاه واحد عبر البوابة التجارية المصرية مع غزة، فاقم من الأزمة كون أن غزة تستورد من مصر السلع والبضائع، وتعامل مصر مع التجار فقط بعملة الدولار، وهذا ما أدى إلى شح العملة من التجار وبعض محال الصرافة، حيث لم يتبق سوى عملة الشيكل التي يتم التداول بها محلياً.

وتفرض إسرائيل منذ سيطرة حماس على غزة عام 2006 قيوداً مشددة على تحويل العملات الأجنبية إلى البنوك والمصارف في قطاع غزة، علماً بأن بروتوكول باريس الاقتصادي الموقع بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، نص على اعتماد عملة الشيكل الإسرائيلي كإحدى العملات الرئيسية، إضافة للدولار الأمريكي والدينار الأردني وحق البنوك الفلسطينية بأن تحصل على احتياجاتها في حالة حدوث نقص في العملات الأجنبية، وأن تقوم بشحن أو إرسال الفائض منها إلى البنوك الإسرائيلية.

مدن وآثار

الدكة قرية مصرية منسية انتصرت على الرومان

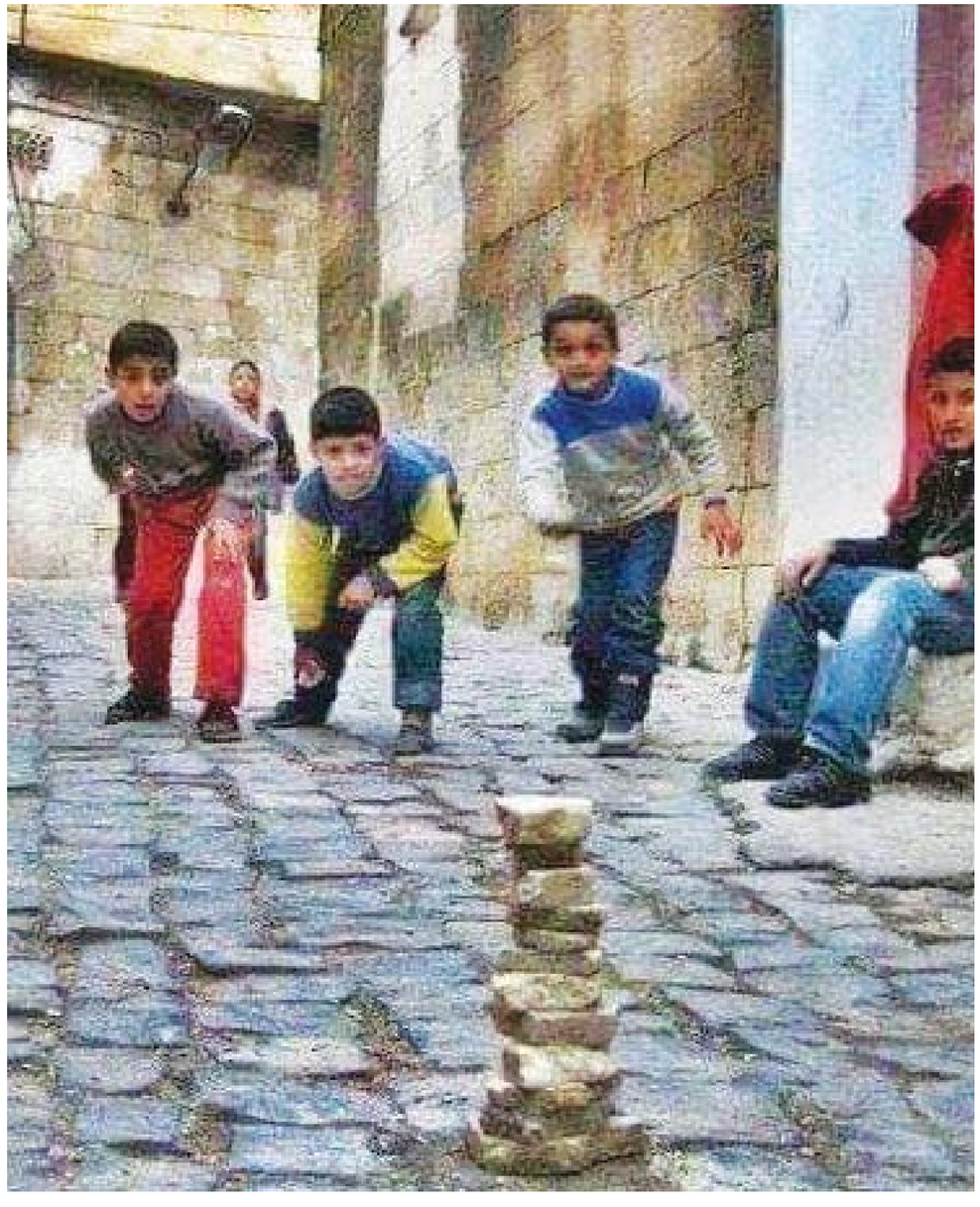

القاهرة ـ «القدس العربي»: حسام عبد البصير

شاءت الأقدار لأهالي قرية الدكة أن ينافسوا لسنوات على المقعد الأخير لأفقر قرى مصر، بل حصلوا من قبل على اللقب بجدارة. فطيلة سنوات حكم الرئيس الراحل مبارك الثلاثين، لم يزرهم مسؤول ولم يطرق بابهم ساعي بريد يمثل الحكومات المتعاقبة من قبل حتى نسوا أنهم رعايا تلك الدولة على الرغم من كونهم أقدم من سكنوا بلاد النوبة. زائرهم الوحيد ظل على الأرجح عبد الله أو كما يسميه العوام عن أثر منقول عن الإسرائيليات «عزرائيل».

من يتردد على القرية لا يحتاج لمسوغ على ان التاريخ توقف هنا منذ عقود بعيدة، فالأوضاع التي يرزح تحتها غالبية السكان «تصعب على الكافر» بل إن نسبة الفقر بلغت في العقد الأخير من زمن مبارك حتى عقب ثورة الخامس والعشرين من يناير 90 في المئة. وظلت قرية التابعة لمركز نصر النوبة في محافظة أسوان تحتل مركز الأكثر فقرا على مستوى الجمهورية، حتى قبل ثلاثة أعوام مضت وحينما قرر الرئيس عبد الفتاح السيسي إطلاق مشروع «حياة كريمة» الذي يستهدف نقلة حضارية لسكان آلاف القرى في جنوب البلاد وشمالها بدأت رياح التفاؤل الحذر تخيم على القرية.

تقع قرية الدكة، على بُعد 60 كيلو متراً شمال محافظة أسوان بأعالي الصعيد، وتشير الأرقام إن تعداد سكانها يقترب من ثمانية آلاف نسمة. ويمثل التكافل الاجتماعي المحور الرئيسي الذي تقوم عليه القرية، فالشباب الذي ولد في بيوت أغلبها حتى سنوات مضت بنيت من الطين سافر للعاصمة والمدن الساحلية لكي يساعدوا عائلاتهم، وبالأخص أولئك الذين ابتلوا بأمراض مزمنة أبرزها الفشل الكلوي، ويوجد بالقرية سبع حالات كلها تعالج بالجهود الذاتية، كما يتم تقديم المساعدات للأسر ذات الظروف الاجتماعية القاسية وللأرامل على وجه التحديد اللواتي يعلن أطفالاً في عمر الزهور من خلال جمعية القرية ودار الضيافة، إضافة إلى «شنطة رمضان» التي تمثل أحد أبرز علامات التكافل الاجتماعي. ويطالب الأهالي بإنشاء مدارس عصرية للقرية للقضاء على كثافة الفصول، وحتى سنوات مضت لم يكن في القرية سوى 12 فصل ملحق بها 3 فصول إعدادي مشددين على أنهم خصصوا الأرض التي تنتظر من يقوم ببناء المدارس عليها.

البحث عن أمل

يتذكر الكبار من أهالي الدكة قريتهم ويروون لأطفالهم كم كانت صورتها في الماضي أكثر جمالاً وإشراقاً، كما ان أحلام أهلها في الغالب لا تتجاوز بيوتهم وباتوا لا يطمحون سوى ستر الفتيات من خلال تجهيزهن للزواج من ابن الحلال، كما انها باعترف بعض الكبار والصغار من المقيمين بها بات ماضيها أفضل من حاضرها. بهذه الكلمات يعترف عبد الحميد أحد الطاعنين في العمر، بالواقع القاسي الذي يواجه القرية ذات الماضي العريق والتي يعرف كل فرد من المقيمين بها العائلات الأخرى إذ تمثل العلاقة الوطيدة بين مختلف الأهالي أهم كنوزهم، مشيرا إلى أن القرية القديمة كانت تتسع بأهلها الذين لا يريدون علواً في الأرض بل فقط النجاة من الديون والأمراض وامتلاك ما يجعل الحياة أكثر احتمالاً. كما توجد بها عوامة صحية ومستشفى تابع للإرسالية الألمانية ومدرسة بها قسم داخلي للطلبة بالتغذية، وكان هناك مشروع ري وكهرباء، لكن واجه العقبات، أما الزراعة فكانت تمتد لتصل إلى 3 كيلو على الشاطئ وقت الفيضان وكان بها حدائق المانغو الغناء تفيض بإنتاجها وتمثل مصدر دخل للبعض. حيث كانت الدكة أكبر قرية منتجة للمانغو على ضفاف النيل وكانت تصدر إنتاجها للعاصمة، غير انه أخذ في التراجع تدريجياً. ومن بين ما تشتهر به التمر والذي تجود زراعته في صعيد مصر خاصة أسوان، ومن أبرز ما يتفاخر به أهالي القرية انها تضم العديد من الشهداء الذين شاركوا في حرب أكتوبر 73 وحرب67.

وعدك باريس

تسلل الأمل للقرية التي تشتهر كالعديد من القرى بنوم أهلها مبكرا، على إثر إطلاق الرئيس عبد الفتاح السيسي مشروعه الذي يعقد عليه فقراء القرى آمالاً عريضة تحت عنوان «حياة كريمة» وينتظر سكان الصعيد والدلتا أن يرى المشروع النور كي ينتقلوا من حياة القرون الوسطى لحياة عصرية يلتقطون فيها أنفاسهم ويستطيعون أن ينعموا ببعض متع حياة أهل المدن. وفي الدكة لا حديث يغلب سوى إعلان الرئيس عن المشروع المنتظر، تلك المبادرة التي سيبدأ تطبيقها في 100 قرية كطوق نجاة لأهاليها الذين ظلوا يعانون على مدار عقود بعيدة من نقص الخدمات وانتشار البطالة وتدني مستوى العيش فيها. وليس غريبًا أن يكون أكثر من 95 في المئة من هذه القرى في الصعيد عانت على مدار عقود طويلة من الإهمال والفقر والمرض فضلا عن وحش البطالة الذي يحيل الملايين لمزيد من البؤس والشقاء. وتم الإعلان عن 7 قرى بمحافظة أسوان ضمن الأكثر فقرًا على مستوى الجمهورية، ومن بينها قرية الدكة ومن المقرر ان يشملهم المشروع.

مثل طعامهم القليل جاءت كلماتهم قليلة وعباراتهم يتوارثونها فيما بينهم أباً عن جد: «كل يوم قبل النوم بادعى أني أصحى بأمان وبدون خسائر أو إصابات» بهذه العبارة التي وردت على لسان الحاجة زينب من أهالي الدكة وقالت إن منزلها مهدد بالانهيار في أي لحظة بسبب ارتفاع منسوب المياه الجوفية لعدم وجود صرف صحي، وأضافت «إننا نعاني من هذه المشكلة منذ 10 سنوات وجاءت أكثر من لجنة وعاينت منازل القرية ووعدت بمساعدتنا وحتى الآن لم يحدث شيء». بشق الأنفس نجح عدد من كبار السن من بين الأهالي بالدكة في الحصول على معاش الضمان الاجتماعي البالغ 450 جنيها «حوالي 29 دولارا» حيث يمثل بالنسبة لهم وقودا يعينهم على الحياة شريطة ابتعاد مفاجآت الأيام ونوائب الدهر. ويحفظ الكثير من الأهالي الدعاء المأثور «اللهم إنا نعوذ بك من طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير» ويمثل معاش الضمان رغم تواضعه الشديد مصدر معيشتهم، إذ لا توجد أي فرص عمل بالقرية حتى الأراضي الزراعية التي كان يعمل فيها الشباب باليومية بعد زيادة عدد السكان أصبحت تضيق بأهلها فلا يجدون من يستعين بهم في فلاحتها.

قرى القرون الوسطى

ويعترف عبد الحميد أحد أبناء الدكة بأن الأزمة في القرية لا تحتاج للوصف فمن يهبط عليها يدرك للوهلة الأولى بأنه أتى لقرى القرون الوسطى «الناس ينامون بحلول الظلام» حيث تتحول القرية لقبر كبير لا مكان فيه إلا للاستغراق في الأحزان وانتظار ما لا سياتي في الغالب ويتابع: نواجه نقصاً في الخدمات كافة فلا شيء ينتمي للحضارة هنا. فلا توجد بالقرية سوى مدرسة ابتدائية وفصول ملحقة بالمدرسة الإعدادية، ما جعل كثافة التلاميذ بالمدرسة في ازدياد مطرد. ويحيا سكان قرية الدكة شأن غيرهم من أهل القرى على أمل ان تهتم الحكومة لحالهم بعد ان تعهد الرئيس السيسي بالقضاء على الفقر ومنحهم منازل عصرية ليشعروا بآدميتهم، لاسيما أن أغلب منازل القرية معرضة للسقوط لقدمها ولكونها مصنوعة من الطين والبوص وبسبب ارتفاع منسوب مياه الصرف الصحي، باتت عرضة لأي كارثة. وهجر شباب القرية ذويهم بحثا عن فرصة عمل، بعد ارتفاع معدلات البطالة، وافتقار الأهالي للخدمات الصحية في ظل عدم انتظام وجود الطبيب في الوحدة الصحية. يعترف الأهالي هنا ان المشاكل في معظم القرى متشابهة غير ان أهم ما يواجه قريتهم مشكلة الصرف الصحي لذا يحدوهم الأمل على حل عادل يعيد لهم بعضاً من حقوقهم المنسية والتي سبقتهم إليها البشرية جمعاء. هذا ما أكده من يجيدون القراءة والكتابة من أهالي القرية فغالبية منازلها على سبيل المثال مبنية من الطوب اللبن، وارتفاع منسوب مياه الصرف الصحي يهدد المنازل بالسقوط بين لحظة وأخرى، في ما السواد الأعظم من الأهالي يعتمدون على نظام الصرف الصحي البدائي «الطرنشات القديمة» التي تحتاج للسحب شهريا، وهو ما يكلف الأسر مبالغ مالية لا يستطيعون تحملها فهي فوق قدراتهم المتواضعة.

العقرب النوبي

قرية الدكة كانت تعرف في الماضي السحيق باسم «سيليكس» وتعني العقرب، ولها أهمية تاريخية كبيرة، في مجال الحروب العسكرية حيث وقعت على أرضها معركة قادتها الملكة النوبية أماني – ريناس، ضد جيوش الرومان بقيادة بترونيوس عام (23 ق.م) ونجح الأجداد في هزيمة جيوش الرومان في المعركة. تمثل الهجرة للمدن حلاً شبه وحيد لكل من تتكاثر الأحلام بداخلهم من الشباب وهو الحل الذي يفطر قلوب الأمهات الثكالى «القرية أصبحت بدون شباب والمنازل لا يسكنها سوى النساء والأطفال» اولئك الذين يتغلبون على بؤس واقعهم بممارسة العاب بعضها من العصر الحجري. بروح منهكة وأمل يخبو ثم يبتعد كأنه ضوء سراج في مواجهة رياح عاتية يصف عبد الستار أحد أهالي القرية، كيف تحولت مشكلة البطالة لوحش جاثم على كل بيت واصبحت أحد أسباب تصنيف الدكة كأفقر قرية مصرية، بعد أن هجرها أبناؤها بحثا عن لقمة العيش. وأعرب عبد الستار عن ما يطمحون إليه من متطلبات بسيطة أبرزها إيجاد فرص عمل لشبابها، تحول بينهم وبين ان يهيموا على وجوههم في البلاد كافة ليعودوا إلى أرضهم ليعمروها ويعود لم شمل الأسر. وبنبرة حزن يقول إنه يعرف شبابا هجروا القرية للعمل ولا يشاهدهم إلا في المناسبات. حديث عبدالستار لم ينته دون الإشارة إلى المشكلة الأشد ضرراً وتتمثل في انتشار النمل الأبيض الذي يلتهم المحاصيل الزراعية وكذلك يعد عدوا لدودا للموبيليا وأبواب المنازل وسائر المنتجات الخشبية. عبد الكريم مزارع من أهالي القرية، أكد تردي الخدمة المقدمة في الوحدة الصحية، وأرجع الأمر لعدم وجود طبيب مقيم، مما يسفر عن مآس أقلها تعرض مواطنين كثيرين للخطر ما يضطرهم إلى الذهاب بالمرضى إلى أقرب مستشفى في كوم أمبو، والتي تبعد عنهم بنحو 10 كيلومترات أو مستشفى نصر النوبة والتي تبعد نحو 20 كيلومترا. وأكد أحد أبناء القرية وقد اعتذر عن ذكر اسمه ان الناس ظلت تحلم لعقود بمستشفى تحول بينهم وبين الموت لأتفه الأسباب، وعندما اقيمت ظلت مغلقة طيلة 10 سنوات، كما ان الوحدة الصحية بالقرية بها طبيب واحد غير منتظم في العمل، ما يجعل الإقامة في القرية مخاطرة حال مرض مفاجئ. بحزن يطال السماء حيث لا تكف الحاجة زينب طيلة عقدين على الأقل عن طلب المساعدة لأدنى مطالبها والمتمثل في ان يبقى «البيت على حاله» وألا يخونها وينهار فوق رأسها بسبب ارتفاع منسوب المياه الجوفية. وتعترف زينب ان المشكلة التي تواجهها تعاني منها العديد من عجائز القرية اللواتي يحلمن بألا يتعرضن لفاجآت وهن على وشك ان يسدل الستار على حياتهن.

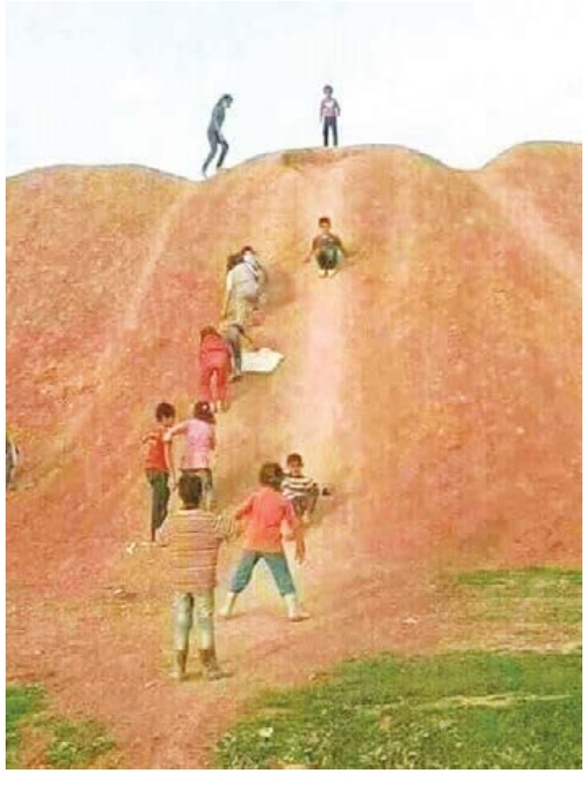

رياضة

لماذا انبهر عالم كرة القدم ببداية الدوري الإنكليزي؟

عودة الجماهير بكامل حلتها أبرز سمات الدوري الانكليزي

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور

رغم انطلاق جُل الدوريات الأوروبية في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، إلا أن تركيز الأغلبية الساحقة لعشاق كرة القدم الحقيقية، كان منصبا «كالعادة» على إثارة وجنون الدوري الإنكليزي الممتاز، وهذه المرة، ليس فقط لوصول المستوى التنافسي بين أندية البريميرليغ إلى مراحل غير مسبوقة على الأقل في العشرية الأخيرة، بل أيضا، لعودة الحياة إلى اللعبة برمتها، والتي تجلت في استمتاع المشاهدين بمباريات يفوح منها الضجيج والصخب، بحناجر حقيقية ملأت المدرجات، بعيدا عن الضوضاء «الافتراضية المزيفة»، وذلك للمرة الأولى منذ إعلان «كوفيد–19» جائحة عالمية في مارس / آذار 2020، وأمور أخرى جعلت العالم ينبهر بالبداية الهوليودية للدوري الأشهر والأغلى على هذا الكوكب.

حصريات الدوري الإنكليزي

شهدت الجولة الأولى الكثير من اللحظات العاطفية والتاريخية، التي ستبقى عالقة في الأذهان لسنوات، منها على سبيل المثال، القصة التي هزت مشاعر الملايين مع إطلاق صافرة نهاية المباراة الافتتاحية، وكان بطلها ذاك الرجل المسن، الذي منحته الحياة فرصة لا تتكرر كثيرا في العمر، بأن يكون شاهد عيان على لحظات عودة ناديه المفضل بريستفورد إلى دوري الكبار للمرة الأولى منذ أكثر من 70 عاما. وفي واحدة من «ليالي ألف ليلة وليلة»، اكتملت نهاية ولا في الأحلام، بإسقاط الكبير اللندني آرسنال بهدفين دون رد، وسط أجواء لخصتها دموع المشجع الطاعن في العمر، والبروباغندا العالمية التي أثيرت حوله سواء في ساحات «السوشيال ميديا» أو وسائل الإعلام البريطانية، التي ضخمت بدورها قصة كفاح بريستفورد العريق، الذي كان على بعد خطوة واحدة من العدم، بعد وصول أزمة الديون إلى نقطة النهاية، بحجز البنوك على أرض الملعب، إلى أن جاء نائب رئيس «بانك أوف أميريكا»، ماثيو بينهام، الذي استغل ذكاءه الحاد في إدارة المشاريع الاستثمارية وفراسته في مجال المراهنات، التي عززت ثروته الهائلة، ليتنشل نادي مسقط رأسه من براثن الضياع والفناء، وفعلها بضرب عصفورين بحجر واحد، بإقراض الجماهير ما يقرب من 700 ألف جنيه إسترليني، لتسديد ديون الكيان، مقابل استرداد المبلغ في غضون 3 سنوات، ولأنه كان يعرف أن المبلغ لن يرد، وضع يده على العلامة التجارية، ليحوله إلى مصنع خام لاستكشاف المواهب، معتمدا على مجموعة من الكشافين أصحاب العيون الثاقبة، مثل تلك التي جاءت بالأعجوبة سعيد بن رحمة، الذي أنعش الخزينة بأكثر من 25 مليون جنيه إسترليني شاملة قيمة موسم الإعارة قبل تفعيل بند البيع الدائم لوستهام، وغيرها من الجواهر الثمينة التي أحدثت طفرة غير مسبوقة في تاريخ ممثل المقاطعة اللندنية، وصلت لحد رفع قيمته السوقية من 30 مليون بعملة المملكة إلى 300 مليون بنفس العملة بعد اكتمال الفصل الأخير للقصة بالصعود التاريخي لدوري الكبار، للمرة الأولى منذ ثلاثينات القرن الماضي، في ما كان أفضل «بروموه» تشويقي في جمعة افتتاح حملة البريميرليغ 2021–2022، قبل أن تفي باقي مباريات السبت والأحد بكل الوعود، بتسع وجبات من النوع الدسم، أسفرت في النهاية عما وصفته «بي بي سي» بـ«الأشياء التي لن تجدها سوى في الدوري الإنكليزي الممتاز».

شجاعة الريال والبارسا لا تكفي

واحدة من أهم الأشياء التي صنعت هذه الهالة الإعلامية العالمية على البريميرليغ دون غيره من الدوريات، بما فيها الدوري الإسباني، هذا الكم الهائل من الأهداف والنسق الجنوني للمباريات العشر، التي انتهت بفوز طرف على الآخر، منها سبعة انتصارات لصلحة أصحاب الأرض، في ما يعكس القيمة والفارق الكبير في نتيجة وتنافسية المباريات في وجود اللاعب رقم ١، الجماهير، وبدونه، وبلغت حصيلة المتعة 34 هدفا، وهو أمر لم يحدث في أي دوري أوروبي آخر، ولم يحدث منذ حملة الدوري الإنكليزي الممتاز 2003–2004، التي شهدت 36 هدفا في الجولة الافتتاحية، وهذا أثر بشكل سلبي على حجم المشاهدة والتغطية الإعلامية لليغا، حتى بعد البداية المبشرة للعملاقين، بفوز ريال مدريد على ديبورتيفو ألافيس برباعية مقابل هدف في عقر داره «ميندیزوروزا»، وبالمثل تخطى برشلونة مضيفه ريال سوسييداد بنتيجة 4–2، وهذا يرجع إلى الملل الشديد من مشاهدة المباريات الصفرية، بانتهاء 3 مباريات بدون أهداف، ومباراتان بهدف لمثله وأخرى بهدف لهدف، وهذا النوع من المواجهات لا يروق الغالب سيغير الكثير من قناعاته وحكمه المطلق على التقنية برمتها، مثل كل من لاحظ التطور الملحوظ في استخدامها في مباريات البريميرليغ، الذي ارتكز على فكرة «تجاهل الأشياء الفرعية»، والتوقف فقط عند الحالات التي تستدعي تدخل حكم الفيديو. والأكثر إبهارا، عدم التلاعب بمشاعر الملايين، باتخاذ القرار قبل أن تكتمل رد الفعل الهستيرية على الهدف، وهذا يرجع إلى مرونة القانون، بالعودة مرة أخرى إلى قاعدة «الشك في مصلحة المهاجم»، التي ظهرت في لقطة هدف برونو فيرناندیز في مباراة الهاتريك أمام ليدز يونايتد. ذاك الهدف الذي قال عنه الخبير إيان رايت: «في الموسم الماضي كان من الممكن أن يحتسب تسللا»، لكن بعد التعديل الجديد، يمكن القول أنه بالكاد انتهى وقت انزعاج الجميع، في «التدقيق والتفحيص» لقياس فارق السنتيمترات بين المهاجم وآخر مدافع، لأنه بموجب القانون أصبح «أي تداخل في الخطوط يذهب لصلحة المهاجم»، وهذا ما طبقه الحكام الإنكليز بشكل شبه مثالي في مباريات الجولة الأولى، وأثار إعجاب المشاهدين، بعودة جزء كبير من الصورة المحفورة في الأذهان عن اللعبة الشعبية الأولى على مستوى العالم، كلعبة جماعية أشبه بالعرض المسرحي، الذي يذهب من أجله الآلاف إلى المدرجات ويتابعه الملايين من وراء الشاشات، للاستمتاع بكل لحظة من الـ90 دقيقة بين أقدام اللاعبين، وليس لاستهلاك الوقت بتوقف دقيقتين أو ثلاثة للتأكد من القرار في الفيديو. لكن يُحسب للاعبين والمدربين، مرونتهم مع الحكام وتقبلهم تجاهل الكثير من الحالات، التي كانت تستدعي تدخل حكم الفيديو حتى وقت قصير، ويبقى التحدي الحقيقي، أن يحافظ الجميع على نفس السلوك، مع بدء فترة الضغط وانفلات الأعصاب حين تتعاظم قيمة الثلاث نقاط، سواء للمتنافسين على اللقب أو المقاتلين من أجل البقاء بين العظماء، لتستمر نفس المشاهدة المختلفة عن باقي الدوريات.

نسخة خارج التوقعات

صحيح أنه من المستحيل التنبؤ بالبطل، على الأقل حتى نهاية فترة ضغط المباريات في فترة أعياد الميلاد آخر السنة، لكن الفرق المرشحة للذهاب بعيدا، بعثت رسائل على مستوى الطموحات والأهداف بعد الاستعداد الجيد للموسم، مثلا مانشستر يونايتد، الذي أنفق ما يزيد على 100 مليون إسترليني لتدعيم صفوفه بصفقات بحجم جادون سانشو والفرنسي رافاييل فاران، عرف كيف يطلق تحذيرا شديد اللهجة، باكتساح ليدز يونايتد بخماسية كانت قابلة للزيادة للضعفين مقابل هدف يتيم، كدليل عملي على أن المدرب النرويجي أولي غونار سولشاير، وصل للمرحلة الأخيرة في مشروعه، الذي تسلمه بعد طرد جوزيه مورينيو في أواخر 2019، بتحكمه في توليفة سحرية لا ينقصها أي شيء لكسر عقدة الشياطين الحمر مع الألقاب، من نوعية أغلى مدافع في العالم هاري ماغواير والمشبع بالخبرات فاران في محور الدفاع، وعلى اليسار الثنائي الموهوب لوك شو، وفي الوسط فنانون بدرجة برونو فيرناندیز وبول بوغبا، وفي الثلث الأخير مفاتيح لعب وسفاحون بخفة وحيوية سانشو ودهاء وخبرة إدينسون كافاني والبقية إلى أن يعود ماركوس راشفورد. ونفس الأمر ينطبق على الطاهم الكبير في اللقب، وهو تشلسي، الذي كشر عن أنيابه وكشف عن شخصيته كبطل لأوروبا كما ينبغي أن يكون، بدهس الجار الجنوبي كريستال بالاس بالثلاثة، في مباراة شهدت لحظة عاطفية للصغير تريفوه تشالوبا، لحظة توقيعه على هدفه الأول أمام الحشد الجماهيري الأزرق في «ستامفورد بريدج»، وقد استهل توماس توخيل وكتيبته

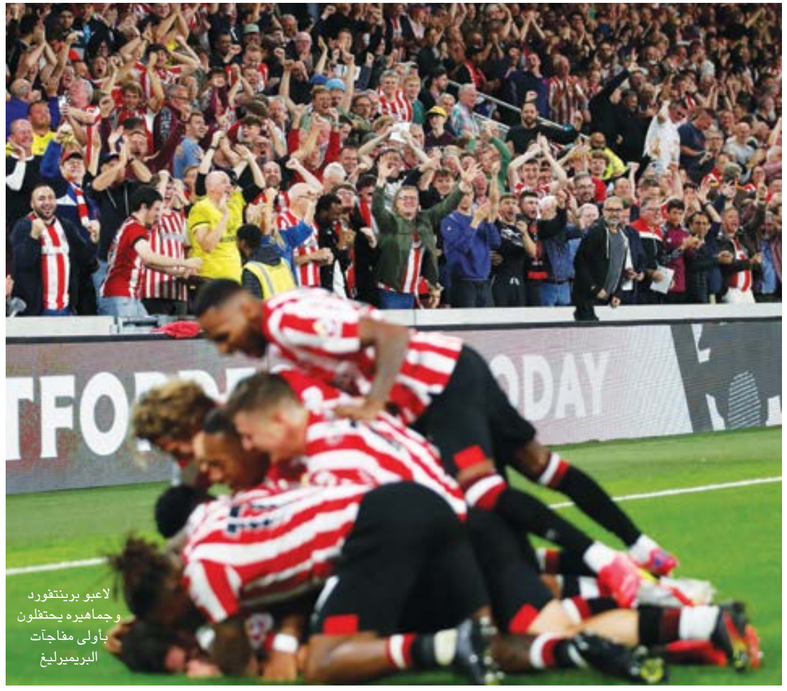
لاعبو بريتنفورد وجماهيره يحتفلون بأولى مفاجآت البريميرليغ

صلاح يحتفل برقمه القياسي وهدف ليفربول الثالث

الموسم بهذه القوة والشراسة، قبل الاستعانة بخدمات الدبابة البشرية روميلو لوكاكو، لانشغاله بالإجراءات الروتينية لنقله من الإنتر إلى بيته القديم في غرب لندن مقابل ما يزيد على 90 مليون جنيه إسترليني، فما بالك عندما يجتمع مع العدائين تيمو فيرنر وحكيم زياش وكاي هافيرتز، بالتأكيد سيكون للبلوز شأن آخر في نهاية الموسم، بشرط أن تسير الأمور كما يخطط لها العبقري الألماني، أن يواصل الفريق نسقه التصاعدي الحاد، بأقل عدد من الانتكاسات، التي عانى منها الفريق في أغلب أوقات الموسم. ولا يختلف وضع ليفربول كثيرا عن منافسه المحتمل تشلسي، هو الآخر استعاد الكثير من نسخته الحادة، التي كان عليها قبل خسارة فيرجيل فان دايك في بداية الموسم الماضي، ورغم أنه لم يستعرض قوته في الميركاتو كما تتطلع الجماهير، بالاكتفاء بضم إبراهيم كوناتي مقابل 40 مليون جنيه إسترليني، إلا أن هناك مؤشرات لعودة الأمور إلى نصابها الصحيح، بتحسين واضح في الخلل الذي عانى منه الريدز الموسم الماضي، خاصة في الدفاع ومنطقة العمق، التي كانت مستباحة في خضم أزمة الإصابات، فقط يتبقى لكلوب وفريقه، الحفاظ على نفس الشخصية والعقلية، التي أعادت إلى الأذهان صورة ليفربول المخيف، بدفاعه الحصين ووسطه المتماسك، وقبل هذا وذاك هجومه الفتاك، بقيادة هداف الحقبة محمد صلاح، الذي حصل بدوره على أفضل دفعة معنوية للحفاظ على عادته المفضلة، إما بالفوز بجائزة الهداف أو المنافسة عليها حتى الرمق الأخير، بعدما نجح في تحقيق رقم قياسي استثنائي بعدم التوقف عن التسجيل في المباراة الافتتاحية للموسم الخامس تواليا. ولاحظ عزيزي القارئ، أننا لم نتحدث بعد عن حامل اللقب والمرشح فوق العادة للقتال عليه مانشستر سيتي. صحيح بيب غواردیولا انحنى أمام دابته السوداء نونو سانتو وتوتنهام، لكن هذا لا يقلل من فرص السكاي بلوز، ومن شاهد المباراة رأى الكم الهائل من الأهداف التي أهدرها رحيم ستيرلنغ ورفاقه، بطريقة جعلت دانيال ليفي يبتسم ابتسامة ماكرة، كأنه يعرف أنه السبب، بعدما عرقل صفقة هاري كاين، لتأتي مواجهة السيتي ضد توتنهام، لتظهر مدى حاجة غواردیولا الماسة لقناص بجودة وكفاءة أمير الديوك، إذا أراد البناء على ما أنجزه في الموسم الأخير، أو على أقل تقدير لتعويض معدل أهداف الأسطورة سيرخيو أغويرو، وإذا فعلها ونجح في إطلاق سراح كاين من «توتنهام هوتسبر»، أو تعاقد مع بديل بنفس الجودة، فلن يكون خارج دائرة المنافسة على اللقب، في وجود قطعة نادرة مثل جاك غريليش بجانب رياض محرز وباقي المبدعين، الذين ينقصهم جلاد حقيقي داخل مربع العمليات، وهذه مؤشرات لنسخة مختلفة للبريميرليغ، باتساع دائرة المنافسة بين أكثر من فريقين على أقل تقدير، وليس بالطريقة التي الباردة التي انتهت بها النسخ الماضية، باستثناء التنافسية الشديدة حتى الأمتار الأخيرة بين المان سيتي واليونايتد في حملة أغويرو 2011–2012، وقتال الريدز والسيتي حتى إطلاق صافرة نهاية موسم 2018–2019، فهل يكتمل سحر الدوري الإنكليزي بمنافسة ثلاثية على اللقب؟ هذا ما ستكشف عنه الأيام. مشاهدة ممتعة للجميع بالسوبر ليغ الحقيقي.

هل جار الزمن على رونالدو وابتسم لميسي؟

لندن – «القدس العربي»:

«أي شخص يعرفني يدرك مدى تركيزي على عملي، كلام أقل وعمل أكثر. كان هذا شعاري منذ بداية مسيرتي المهنية. ومع ذلك، في ضوء كل ما قيل وكتب مؤخرا لا بد لي من تحديد موقفي، أكثر من عدم الاحترام لي كرجل ولاعب، فإن الطريقة التافهة التي يتم بها تغطية مستقبلي في وسائل الإعلام فهي عدم احترام لجميع الأندية المتواجدة في هذه الاشاعات ولاعبيها والطاقم الخاص، لقد كتبت قصتي في ريال مدريد. تم تسجيلها بالكلمات والأرقام، في الجوائز والألقاب، في السجلات والعناوين. إنه في المتحف في ملعب بيرنابيو وهو أيضا في أذهان كل مشجع للنادي»، بهذا الاقتباس من البيان الناري الطويل، أراد الأسطورة كريستيانو رونالدو، الدفاع عن نفسه وكبريائه، بعد استهانة الإعلام بملف مستقبله، بإظهاره بصورة النجم الطاعن في العمر، الذي تتهرب منه الأندية العظمى، رغم وجود فرصة ذهبية للتوقيع معه، بدخوله الموسم الأخير في عقده مع ناديه يوفنتوس.

الغيرة والغضب

بإلقاء النظر على الأسباب التي دفعت صاروخ مادريد للخروج بهذا البيان غير المعتاد والمرفق بصورته وهو يضع إصبعه على فمه (إشارة السكوت)، سنجد منها حالة الغضب، التي سيطرت عليه بعد منشور مدرب ريال مدريد كارلو أنشيلوتي عبر صفحته على موقع «فيسبوك»، الذي نفى فيه ما تردد في وسائل الإعلام، عن رغبته في إعادة الهداف التاريخي إلى قلعة «سانتياغو بيرنابيو»، بخلاف غضبه المضاعف من التقارير المحدثة على رأس الساعة، التي تجمع على أنه لم يعد مرغوبا لدى أندية الصف الأول، بما في ذلك فريقه السابق مانشستر يونايتد، رغم حاجة أولي غونار سولشاير الماسة لخدمات مهاجم «سوبر» بجانب إدينسون كافاني والمنتظر عودته ماركوس راشفورد، حتى الاشاعات الوحيدة التي تضعه في جملة مفيدة مع أحد الكبار، تصنفه كخيار بديل للمدرب بيب غواردیولا، في حال فشلت المحاولة الأخيرة للتوقيع مع الهدف الرئيسي هاري كاين. وقبل هذا وذاك، الغيرة من الهالة الإعلامية على الغريم التقليدي ليونيل ميسي وعلى أخباره، التي تنبض بالتفاؤل والإشراق، بعد إتمام عملية انتقاله إلى باريس سان جيرمان، وسط بروباغندا عالمية على الصفقة برمتها والتأثير والاستفادة المتبادلة بين البرغوث والعملاق الباريسي في المرحلة المقبلة، على عكس الدون، الذي يطارده الغموض من كل الاتجاهات، في ظل المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها النادي، وعدم القدرة على رفع جودة المشروع، بالطريقة التي رسمها كريستيانو في مخيلته عندما قرر ترك ريال مدريد، ليخوض مغامرة السيدة العجوز في العام 2018.

كابوس وأحلام

بالإضافة إلى الشكوك حول قوة وقدرة مشروع اليوفي على تحقيق الهدف المنشود، بإنهاء عقدة كأس دوري أبطال أوروبا وبدرجة أقل استعادة اللقب المفضل «السيريا آه»، فهناك ما يثير قلق كريستيانو من داخل الكيان، والحديث عن المدرب ماسيمو اليغري، المعروف عنه علاقته «الباردة» بصاحب الكرات الذهبية الخمس، منذ مشاكل موسمه الأخيرة، والتي كانت سببا في إقالته بالتراضي، نزولا عند رغبة النجم الكبير، لعدم اقتناعه بأفكار المدرب الذي قاد الفريق للفوز بالكالتشيو 5 مرات على التوالي، بالإضافة إلى الوصول للمباراة النهائية لدوري أبطال أوروبا، كما رصدته الكاميرات وهو ينتقد المدرب وأسلوبه في ليلة السقوط أمام أياكس أمستردام في إياب ربع نهائي ذات الأذنين. لكن مع عودة ميستر ماكس، قد يدفع أيقونة البرتغال فاتورة باهظة الثمن، وذلك بالجلوس على مقاعد البدلاء، أكثر من أي وقت مضى في مشواره الاحترافي عموما ومع اليوفي خصوصا، استنادا إلى التسريبات التي تحدثت عن نية المدرب في منحه راحة بما يتناسب مع عمره الآن، أبسطها صعوبة الاعتماد عليه بشكل أساسي مرتين في الأسبوع. بينما بالنظر إلى ليونيل ميسي، فالعالم ما زال ينتظر ظهوره الأول بالقميص الباريسي، لرؤية بصمته في فريق الأحلام، ولأن الدوري الفرنسي أقل حدة وتنافسية من نظيره الإيطالي، ستكون فرص قائد الأرجنتين أفضل من حيث المشاركة في عطلة نهاية الأسبوع المحلية واللعب أيضا في منتصف الموسم. كيف لا وليو لن يحتاج لبذل ذاك المجهود الضخم، لفك طلاسم دفاعات الفرق الفرنسية والخصوم الأوروبيين في مراحل خروج المغلوب، وهو محاط بفريق الأحلام، بينما الآخر، فلا بديل أمامه سوى القتال وبذل كل قطرة عرق في كل مباراة محلية، لتقارب التنافس في البطولة المحلية، إلى جانب الفارق في الجودة عموما في كل المراكز بين أصدقاء رونالدو وبين رفاق ميسي في الوقت الراهن.

بداية النهاية

يعرف كريستيانو أكثر من الأعداء والشامتين، أن وقت تفوقه على ميسي في هوس الأرقام القياسية وتسجيل الأهداف، قد ولى ولن يعود، على الأقل في الموسم الجديد، كيف لا والهدف في دوري أسياد الدفاع لا يأتي بهذه السهولة، حتى أنه لم ينس بعد معاناته في بداية رحلته مع يوفنتوس في جنة كرة القدم، وقد استغرق بعض الوقت إلى أن تكيف مع أجواء ونسق جنة كرة القدم، أما صاحبنا الأرجنتيني، فمن ناحية المنطق والعقل، فلن تكون مفاجأة إذا حقق الهاتريك مرتين على الأقل كل شهر حتى نهاية الموسم، وأمر كهذا كفيل بتحطيم معنويات هداف الريال التاريخي، منها سيهدد عرشه، كأكثر لاعب تسجيلا للأهداف في كل العصور، وأخطر من ذلك، ستتضاعف فرصه في تعزيز سجله للكرات الذهبية، بتوسيع الفارق بينهما لأكثر من جائزتين، إذا سارت الأمور كما خطط لها ناصر الخليفي، بعد تدعيم المدرب ماوريسيو بوتشيتينو، بهذا الكم الخيالي من الخبرات والجودة، متمثلة في قائد ريال مدريد التاريخي سيرخيو راموس، وأفضل حارس مرمى في اليورو جيجي دوناروما، وأفضل ظهير أيمن في العالم أشرف حكيمي، وقلب ليفربول النابض جورجينيو فينالدوم، مع الإبقاء على الأسلحة الثقيلة القديمة نيمار جونيور وأنخيل دي ماريا وكيليان مبابي، رغم مماطلة الأخير في مفاوضات تجديد عقده حتى هذه اللحظة.

طوق النجاة

على الورق وبلغة العقل والمنطق، يمكن تصنيف باريس سان جيرمان، على أنه المرشح الأوفر حظا للفوز بدوري الأبطال في النسخة الجديدة، وبالنسبة لليوفي، يبقى واحدا من الخمسة والستة المرشحين حتى بعد وصوله إلى قاع الحضيض في عهد الأنيق أندريا بيرلو، وذلك لقيمته ومكانته العالمية، كواحد من النخبة المعدودين على أصابع اليد الواحدة، ولولا سوء طالعه مع لعنة نهائي أمجد كؤوس القارة العجوز، لكان على مسافة قريبة من الأكثر تتويجا بذات الأذنين ريال مدريد، وكسر هذا النحس، يمثل «طوق النجاة» لرونالدو، ليبقي على «شعرة معاوية» في صراعه مع ميسي على اللقب الشرفي «الأفضل في التاريخ»، قبل أن ينتظر المجهول بعد انتهاء عقده مع البيانكونيري في نهاية الموسم، إما بالعثور على مشروع يستحق المغامرة، والأهم بأن يساعده على مواصلة تحقيق أهدافه الشخصية، وأهمها المعادلة الصعبة بالاستمرار في منافسة ميسي والفوز بالألقاب الجماعية، أو تصدق توقعات الصحافة، وفي النهاية يضطر لقبول تنازلات لمواصلة اللعب في أعلى مستوى تنافسي في أوروبا، أو يختم مسيرته في الدوري الأمريكي، وسيكون ذلك في الوقت الذي لم ينته فيه حلم الغريم الأزلي، الأصغر سنا بعامين، في جنة «حديقة الأمراء» المرصعة بجواهر وأساطير لا تقدر بثمن، فهل يفعلها الدون ويواصل الصمود في معركته الخاصة مع ليو؟ أم يرفع الراية البيضاء أمام منافسه الذي اختار الطريق الأسهل لقتل الجدال في مسألة الأفضل في كل العصور؟ هذا ما سيجيب عنه رونالدو ورفاقه المهاجمون الفاروِ موراتا وباولو ديبالا وفيديريكو كيزا، الذين يعول عليهم أكثر من غيرهم لمساعدته على إشباع نهمه في هز الشباك ودفع الفريق إلى الأمام في قتاله على الألقاب المحلية والأبطال.

من يحل مكان البارسا والريال في قلوب المشجعين؟

لا شك في أن عملاقي الدوري الاسباني ريال مدريد وبرشلونة خلقا حالة مثيرة وفريدة في السنوات الـ15 الماضية، وأرغما عالم كرة القدم على الانقسام في تشجيعهما، وساعدهما وجود أسماء بحجم ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو، و«ام اس أن»، و«بي بي سي»، وبيب غواديولا وجوزيه مورينيو، في وقت انتشرت فيه وسائل التواصل الاجتماعي، ما أوصل شعبية الناديين عنان السماء، لكن ما هو الحال اليوم؟

الصراع دائما يحتدم بين كبار الاندية الاوروبية، على كسب قلوب وعقول الاجيال الجديدة من عشاق كرة القدم، فلم يعد كافياً ضم أبرز النجوم لتحقيق ذلك، بل يجب ان يكون العمل متكاملاً. واليوم، أصبح باريس سان جيرمان المتهم الأكبر في تجريد الدوري الاسباني من أبرز نجومه في السنوات الاخيرة، بدءاً من البرازيلي نيمار في 2017، وصولاً إلى ميسي وسيرخيو راموس اليوم، ليفقد الليغا أبرز عناصر الجذب والتشويق، برحيل النجوم عن الريال والبارسا بسبب أزماتهما المالية وسوء ادارتهما، والتي عكست مدى ليونة الأرض التي يقفان عليها، وضحالة نموذج الادارة عبر الانتخاب الرئاسي، الذي يوصل بمهندس ومحام لادارة شؤون منظومة اقتصادية قبل ان تكون كروية، ليصطدما بالتأثيرات السلبية لجائحة كورونا، وتتكشف عيوبهما بالرزوح تحت طائلة ديون مهلكة ارغمتهما على التخلي عن أبرز نجومهما، على عكس الاندية التي يملكها أثرياء وصناديق سيادية ومستثمرون من الطراز الرفيع، لتستغل فترة سماح اليويفا، من المحاسبة، عبر قانون العدل المالي، حيث شجع الاتحاد الأوروبي للعبة الملاك في ضخ الاموال في اللعبة للمساهمة في تخطي الازمات المالية التي خلفها الوباء.

عملاقا الليغا سيبقى على محبيه بفضل ما جمعه من انصار خلال العصر الذهبي في السنوات الـ15 الماضية، لكنه دخل في دوامة طبيعة كرة القدم التي تدور في شعبيتها، فالريال والبارسا لن يحصدا المزيد من الانصار، كونه يفتقد إلى العنصر الجاذب الحقيقي، وهو أولاً النجم السوبر ستار، وثانياً متعة المنافسات وشراسة التحديات، وهنا بات الحديث عن جامع «الغلاكتيكوس» الحالي باريس سان جيرمان، وعن قيادته لدورة حياة جديدة في عالم مشجعي كرة القدم، حيث سينجر الآلاف وربما الملايين صوب العاصمة الفرنسية، لرؤية الكوكبة الجديدة من «الخارقين»، لكن حتى هذا لن يشبع نهم وغريزة المشجع، والسبب الرئيسي فقدان المنافسة الحقيقية في الدوري الفرنسي، فحتى مثلما كان ينعت الدوري الاسباني بـ«دوري توم وجيري»، فان «ليغ 1» ليس فيه سوى «توم»!

لكن الهدف الرئيسي من تملك هذه الكوكبة من النجوم في فريق واحد مثل سان جيرمان ليس لتعزيز شعبية الدوري الفرنسي، لانه في الواقع هو قتله، بل الهدف الأكبر هو احراز لقب دوري أبطال اوروبا قبل مانشستر سيتي، ويا حبذا حصل هذا الامر الآن وليس غداً، ومع ذلك ستكون عقول وقلوب وأعين محبي كرة القدم على النادي الباريسي خلال مسابقة دوري الأبطال، لكن ستقل بصورة لافتة في الدوري المحلي. أما الدوري الإيطالي، الذي كان الأول الذي يصنع النجوم و«الغلاكتيكوس»، خلال عقدي الثمانينات والتسعينات، وكان اللعب لأحد أنديته حلم كل لاعب طامح ونجم واعد، انهار على وقع المنافسات الشرسة بين ملاك أندية الكاشيو إلى درجة دفع رواتب وبدل انتقالات تفوق المداخيل بصورة خيالية، وايضا التورط في شراء ذمم الحكام والمنافسين، ما أدخل الدوري في فضائح مهلكة، لطخت سمعته ونفرت منه الرعاة والمستثمرين، بل حتى مالكي حقوق البث، بالاضافة إلى سوء حال البنى التحتية، لينتهي به الحال اليوم إلى نقل مبارياته على «يوتيوب» لمحبيه في الشرق الأوسط وشمال افريقيا، وحتى وجود رونالدو مع يوفنتوس لم يشفع ولم يكف لاعادته إلى سابق عهده.

وهنا يأتي الدوري الانكليزي الممتاز، يقتل عضلاته بملايين مستثمريه الأثرياء، يجذب عشاق اللعبة الحديثة، والمنافسات الجدية، حيث تتنوع الفرق أصحاب الشعبية القادرة على جذب النجوم الكبار، بل يمكن للمشجع العادي، ان يسمي لاعبا نجما من كل ناد من العشرين في الدرجة الممتازة، كون الاثارة لا تنتهي في كل جولة من جولاته، فضلاً عن الاجواء الحماسية التي أشعلتها عودة الجماهير إلى المدرجات، حيث تنفرد مباريات البريميرليغ بأجواء ساحرة لا تضاهيها او تقترب من جودتها الا بعض منافسات البوندسليغا الألمانية، عدا عن الدهاء التسويقي لرابطة الدرجة الممتازة، التي باتت اليوم فقط تحاول نظيرتها في اسبانيا وايطاليا تقليدها والسير على خطاها.

الجماهير ستبقى تعشق أنديتها التي ترعرعت على حبها، لكن العين والقلب قد يحيدان إلى الدوري الأقوى والأثرى والأشرس في العالم... الدوري الانكليزي.

@khaldounElcheik

هل تعتبر جائحة كورونا مكسباً أم خسارة لكرة القدم الأوروبية؟

لندن – «القدس العربي»: جواد صيدم

لم تترك جائحة كورونا قطاعاً إلا وتغلغلت في جسده. فمن السياحة بكل أطيافها، إلى الدول وأنظمتها الاقتصادية والتعليمية، ونجحت في الإدلاء بتأثيراتها السلبية على العالم بأسره. فخلال العامين الماضيين تقريباً، لم أسمع عن تطور او تحسن اقتصادي في أي مجال أو قطاع يذكر حول العالم، سوى في قطاعات صناعة الكمامات والتلفزة والشراء الإلكتروني!

وعندما نأتي للحديث عن عالم الجلد المدور، أو كرة القدم، نرى أن أندية العالم كانت ولا زالت تعاني مادياً بصورة كبيرة، خصوصاً بعد غياب الجماهير عن الملاعب خلال الموسم الماضي وهبوط نسب المبيعات بشكل كبير. فعلى غرار عدم قدرة الأندية على ملء ملاعبها، فهي لم تتمكن أيضاً من التوصل لنسب مبيعات منتجاتها المعتادة في محلاتها عبر العالم على سبيل المثال، كما أنها لم تتمكن من افتتاح مراكز للتدريب باسمها حول العالم أيضاً، والذي عادةً ما يدخل الكثير من الأرباح السنوية. كما أن الشركات الراعية لم تتمكن من دفع المبالغ للأندية التي ترعاها، نظراً لتراجع مبيعاتها أيضاً. فخلال الصيف المنصرم رأينا الأندية الإسبانية الكبيرة تتخلى عن أسماء كبيرة في فرقها. فريال مدريد لم يجدد لقائده ونجمه الأول سيرجيو رأموس وباع أهم مدافعيه بعد رحيل راموس، رافايل فاران إلى مانشستر يونايتد من دون تعويضه بإسم جديد. كما تخلى برشلونة عن أسطورته التاريخية ليونيل ميسي لعدم قدرته على دفع راتبه الجديد، وهو نصف راتبه القديم تقريباً! كما يستمر النادي بالتلفاوض مع لاعبيه على إمكانية تقليل وتأجيل دفع رواتبهم ليومنا هذا. وفي الدوري الإيطالي نرى أن صاحب لقب دوري الموسم الماضي إنتر ميلان تخلى عن ركائز مهمة في فريقه، إذ باع روميلو لوكاكو وأشرف حكيمي بأسعار باهظة، من دون تعويضهم بأسماء تصل إلى مستواهم، فهما كانا أبرز عوامل تحقيق الإنتر للقب الدوري. وتختلف تفاصيل خروج اللاعبين في كل ناد إلى حد ما، لكن العامل المشترك والأبرز والأوضح أن الأندية الكبيرة لم تسلم أيضاً من عواقب هذه الجائحة.

ومع بداية هذا الشهر، صدمت حقيقة مما يحصل في الدوريين الإنكليزي والفرنسي. إذ أعلن نادي مانشستر سيتي مؤخرا عن ضم أحد أهم وأبرز المواهب في الدوري الإنكليزي جاك غريليش من نادي أستون فيلا بقيمة انتقال وصلت إلى حوالي 118 مليون يورو. ما جعل الصفقة صاحبة قيمة الانتقال الأعلى في تاريخ الدوري الإنكليزي. لتفاجأ بعد حوالي أسبوع بانتقال لاعب العام في الدوري الإيطالي روميلو لوكاكو إلى نادي تشلسي من إنتر ميلان بقيمة انتقال تصل إلى 115 مليون يورو، ما جعل الصفقة في الترتيب الثاني كأعلى قيمة في تاريخ الدوري الإنكليزي. وما يجعل الأمر أكثر دهشةً هو أن صاحب الرقم القياسي لقيمة بدل الانتقال الأعلى في تاريخ الدوري الانكليزي بول بوغبا لم يتزحزح عن عرشه كأعلى قيمة منذ عام 2016 عندما انتقل من يوفنتوس إلى مانشستر يونايتد بقيمة 105 ملايين يورو. فأن تكسر هذه القيمة مرتين في صيف واحد وفي خضم الجائحة يتناقض مع ما نراه من أتباع اقتصادية على باقي أندية العالم.

وعند التطرق إلى فرنسا لا صوت يعلو فوق صوت باريس سان جيرمان، النادي الذي يملك زادا بشرياً يقارن بنجوم كل كبار الأندية مجتمعة. فمع استقطابهم للكثير من نجوم العالم هذا الموسم أصبح النادي الأكثر كمالاً في جميع المراكز على أرضية الميدان برفقة مانشستر سيتي. فبعد انضمام سيرجيو راموس وجورجينيو فينالدوم وجانلويجي دوناروما، قام النادي الباريسي بما كان، بالنسبة للكثيرين، مستحيلاً وهو استقطاب ليونيل ميسي، أسطورة برشلونة التاريخية. ومع أن النادي الباريسي استقطب أربعة من هؤلاء اللاعبين مجاناً، إلا أنه التزم بدفع رواتب خيالية لأعوام عدة قادمة. وبعد قدوم ميسي تحدثت وسائل الإعلام الرياضية كثيراً عن تهرب نادي باريس سان جيرمان من لوائح وقوانين اللعب المالي النظيف لليويفا، ليتبين لاحقاً بحسب العديد من المصادر بأن اليويفا قرر التساهل مع كل أنديته الاوروبية بشأن المحاسبة في هذا القانون.

فالمتابع للموسم الماضي يرى تأثير غياب الجمهور على العديد من الأندية في أوروبا والتي اضطرت لبيع نجومها الأبرز للأندية الأمكن مالياً لتجاري خسارات الموسم الماضي والجزء الأكبر من الذي سبقه. لكن الجائحة أثرت على العالم أجمع، فما الذي يجعل بعض الأندية قادرةً على صرف المال بهذه المبالغ الهائلة خلال فترة الجائحة التي لم تنته بعد؟

العامل المشترك بين الأندية المذكورة أنها مملوكة لأشخاص أو أفراد ذي امكانات مادية كبيرة، وهم في الغالب مدعومون من دولهم. فهل هذا هو سبب هذا الواقع المتناقض الذي خلقته هذه الأندية؟ أم أن كرة القدم لم تتأثر بشكل كبير بالجائحة بسبب مخزونها المالي الكبير الذي تراكم خلال السنوات الماضية؟ وماذا يجعل بعض الأندية أوفر حظاً مادياً عن أندية أخرى خلال فترة الجائحة التي طغت على الكبير قبل الصغير؟

مجتمع

القيادي الفلسطيني علي فيصل:

اللاجئون الفلسطينيون في لبنان يعيشون أصعب مراحل حياتهم

عبد معروف

يعيش اللاجئون الفلسطينيون في لبنان أصعب مراحل حياتهم منذ نكبتهم الأولى عام 1948 وجاء الانهيار المالي والمعيشي في لبنان، ليهدد حياة اللاجئين وينذر بمخاطر إنسانية كبيرة.

حول الأوضاع التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في لبنان، التقت «القدس العربي» عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، ومسؤولها في لبنان، علي فيصل، وأجرت معه هذا الحوار:

○ ما هو تقييمك لوضع المخيمات الفلسطينية في ظل الأوضاع العامة في لبنان؟

● وضع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، صعب ومعقد من حيث انعكاسات الأزمة الاقتصادية اللبنانية والتي هي مضاعفة على شعبنا ارتباطا بالتأثيرات السلبية لجائحة كورونا، وفي ظل سياسات لبنانية لا تستجيب للمعالجات الاقتصادية للاجئين الفلسطينيين في لبنان، بغض النظر عن الحرمان التاريخي للفلسطينيين من حقوقهم الإنسانية، خاصة حق العمل والتملك وحق الضمان الاجتماعي والأجر المتساوي بين العامل أو الموظف اللبناني والعامل أو الموظف الفلسطيني، كذلك تراجع خدمات وكالة الأمم المتحدة «الأونروا» في ظل سياسة الضغط الأمريكي التي تمارس في سياق محاولة تطبيق صفقة القرن، وأيضا وقف الالتزامات الأمريكية الفعلية تجاه «الأونروا» وضغط واشنطن على عدد من الدول المانحة لتخفيض منسوب التزاماتها المالية تجاه الوكالة الأممية، وفي سياق ذلك شح الامكانيات لدى منظمة التحرير الفلسطينية التي تقدم بعض الامكانيات الإيجابية في هذا السياق والتي تحتاج إلى مضاعفته في هذا الوقت، لأن الأزمة الاقتصادية صعبة.

لذلك القضية مركبة في الحال الاقتصادي للاجئين الفلسطينيين من جهة مع الدولة اللبنانية وعدم شمولهم في الاستراتيجية الاقتصادية والصحية الحاصلة في لبنان ومن جهة ثانية تقاعس «الأونروا» وعدم تحملها لمسؤولياتها في هذا الصدد، وتراجع الدول المانحة في التعاطي مع الأزمة الاقتصادية للاجئين الفلسطينيين في لبنان.

ما أود قوله ان المرجعيات المعنية بمعالجة الملف الاقتصادي الفلسطيني ينبغي ان تتحمل المسؤولية. كجبهة ديمقراطية نخوض نضالا جماهيريا واسعا للضغط على «الأونروا» للاستجابة لمطلب عادل للاجئين، يقوم على ضرورة توجيه نداء عاجل للدول المانحة بإسناد من الدول المضيفة لوضع خطة إغاثة طارئة ومستدامة للاجئين الفلسطينيين وكذلك خطة استشفاء شاملة في ظل الوضع الاقتصادي الصعب، وفي نفس الاتجاه توفير العلاج الكامل للمصابين بأمراض وتوفير الدواء الكامل لهم وفتح سلم التوظيف للاجئين الفلسطينيين في لبنان، خاصة العاملين في المهن الحرة وأبناء الفئات الوسطى المحرومين من حق العمل، وملء الوظائف الشاغرة وهي بالعشرات، لأن ذلك بإمكانه أن يخفف الأزمة الاقتصادية التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في لبنان.

○ من هي المرجعية الرسمية المسؤلة عن اللاجئين الفلسطينيين؟

● «الأونروا» هي المسؤولة عن حياة اللاجئين الفلسطينيين وهي المرجعية الأولى المعنية بالأزمة الاقتصادية ومساعدتهم، ولكنها حتى الآن لم تفعل أي شيء سوى عملية توزيع مبالغ مالية لمرة واحدة، ورافق ذلك أخطاء مالية وعمليات هدر وفساد وفوضى.

ندعو إلى إيجاد خطة مستدامة واستراتيجية لحين إنتهاء الأزمة اللبنانية مع الأخذ بالاعتبار أن الدولة متجهة إلى رفع الدعم عن السلع الاستهلاكية الرئيسية بما فيها المحروقات والسلع الغذائية والدواء وتستعيض عن ذلك بالبطاقة التموينية لمئات الآلاف من العائلات اللبنانية ويبقى اللاجئ الفلسطيني محروما من هذه السياسة في الوقت الذي ينبغي لوكالة «الأونروا» أن تجد حلا، وعليها المسارعة لمعالجة هذه الأزمة بوضع خطة إغاثة واستشفاء شاملة طيلة الأزمة اللبنانية وتوفير الدعم المادي لاستدامة هذه الخطة، وتوفير الأموال لاستكمال إعمار مخيم نهر البارد شمال لبنان، والتعويض على أبنائه، ووضع خطة طوارئ كاملة لابنائه وإعمار المباني المدمرة ومعالجة موضوع الفلسطينيين الذين يقيمون في البراكسات أو في مكعبات إسمنتية ويتعرضون في الصيف لحر شديد وفي الشتاء لبرد قارس، وتقديم بدل إيجار كاف لهم إلى حين إعادة إعمار منازلهم المدمرة، ولكن حتى الآن «الأونروا» لم تستجب لهذه المطالب خاصة في وضع وصلت معه نسبة البطالة إلى 85 في المئة ونسبة خط الفقر تجاوز ذلك.

المطلوب اليوم، تنظيم حركة جماهيرية احتجاجية واسعة من قبل جميع مكونات الشعب الفلسطيني وخاصة هيئة العمل الفلسطيني المشترك ومنظمة التحرير الفلسطينية واللجان والاتحادات والحركات الشعبية الفلسطينية، حتى تتوفر كتلة ضغط على «الأونروا» وعلى الدول المانحة والدول المضيفة حتى تستجيب لخطة طوارئ شاملة ومستدامة لمعالجة الملف الاقتصادي، وحتى تتوحد خطط وبرامج العمل والعلاقة مع الدولة والحكومة اللبنانية ولجنة الحوار الفلسطيني اللبناني، لكي ينال اللاجئ الفلسطيني حق العمل والتملك، خاصة أن الأزمة الاقتصادية طاحنة في هذا المجال، وإلى أن يتم ذلك على الدولة اللبنانية أن تأخذ بعين الاعتبار أن هناك لاجئين فلسطينيين بأمس الحاجة إلى دعمها من خلال شمولهم بالخطة الاقتصادية والصحية.

○ ما هي مسؤولية الدولة اللبنانية تجاه اللاجئين الفلسطينيين؟

● لبنان هو المشرف على اللجنة الاستشارية الخاصة بالدول المانحة والدول المضيفة لوكالة «الأونروا» وبإمكانه أن يضغط أكثر على «الأونروا» والدول المانحة لتستجيب إلى المطلب الفلسطيني الإنساني العادل بهذا الشأن.

يعيش اللاجئ الفلسطيني حالة اقتصادية صعبة بل مزرية ولا تتوقف عند من يعيش داخل المخيمات بل تشمل من يعيش خارجها خاصة بعد رفع الدعم الذي ستقوم به الدولة اللبنانية.

ما يقدم اليوم، غير كاف ودائما هناك دعوة من هيئة العمل المشترك الفلسطيني للضغط من أجل تقديم المساعدات للاجئين، وستكون هناك اجتماعات متواصلة في بيروت، لطرح خطة عمل لتحرك فلسطيني شامل مدروس ومنظم ومنهّج ومتواصل إلى أن تستجيب «الأونروا» والدولة اللبنانية للمطلب الفلسطيني لتقديم الدعم من الدول المانحة، وهناك دعوة إلى اللجان الشعبية من أجل تنظيم تحركات بما لها من مكانة على مستوى المرجعيات الفلسطينية واللبنانية ومع الدول المانحة لتوفر الدعم المناسب، وهذا يتطلب حركة جماهيرية فلسطينية ضاغطة.

من شأنها أن توفر القدرة على مواجهة مشاريع التهجير والتوطين.

○ من هي الجهة المسؤولة عن تنظيم اللاجئين ورفع مستوى وعيهم خلال تحركاتهم المطلبية؟

● الفصائل الفلسطينية مجتمعة إلى جانب اللجان الشعبية والحركات والاتحادات الفلسطينية، جميعها مسؤولة وقادرة على الحشد الجماهيري، في حال تم وضع استراتيجية وطنية موحدة، بالإضافة إلى الإرادة السياسية. وأعتقد أن الجميع ملزم بإنجاح هذا الحراك الشعبي، لما في ذلك من حاجة وطنية وشعبية وقد سبق للفصائل الفلسطينة واللجان الشعبية منذ سنوات أن قامت بتنظيم تحركين كبيرين الأول، في مواجهة «الأونروا» حين تم وضع خطة لمدة 6 أشهر وتم تحقيق الكثير من المطالب، والثاني كان في مواجهة قرار وزير العمل اللبناني كميل أبو سليمان، وكانت هناك حركة شعبية كبيرة تم وضعها في إطار منظم من خلال مؤتمر شعبي عقد في مقر السفارة الفلسطينية في بيروت وخطة عمل لهيئة العمل الشعبي ولكافة الفصائل في مختلف المناطق، ثم أصبحت حركة جماهيرية منظمة ضخمة كبيرة، شاركت فيها حشود كبيرة من اللاجئين دفاعا عن حقهم في العودة والعمل والحياة.

اليوم، أدرك الجميع مخاطر المرحلة على المستوى السياسي والوطني والاجتماعي. نحن مسؤولون وعلينا تنظيم حركة جماهيرية لأن الأزمة الاقتصادية طاحنة ولا تعفي أحدا، خاصة في حال رفعت الدولة اللبنانية الدعم عن الدواء والغذاء والمحروقات، عندها سيتعرض اللاجئ الفلسطيني إلى كارثة اجتماعية كبرى، لهذا علينا التحرك لردم الهوة بين فصائل العمل الوطني الفلسطيني لتوفير حياة كريمة وتوفير مقومات الصمود لأبناء شعبنا.

قشطلية بالكعك

المكوّنات

6 أكواب حليب
كوب أرز مطحون
علبة قشطة (قيمر)
ربع كوب ماء زهر
ربع كوب ماء ورد
3 حبات مستكة مدقوقة مع رشة سكر
كوب بقسماط (كعك مطحون)
200 غرام زبدة
فستق حلبي مطحون للزينة

طريقة التحضير

نذيب الزبدة في مقلاة ونضع فوقها البقسماط ونقلبها حتى تتجانس وتاخذ لونا ثم نرصها في أطباق التقديم ونتركها جانبًا.

نخلط الحليب والأرز على البارد ثم نضعه على النار وقلب جيدا حتى يثقل الخليط.

نضيف القشطة ونقلب ثم ماء الورد والزهر والمستكة. نصب في الأطباق ثم نضعها في البراد وعند التقديم نزين بالفستق ونضيف القطر أو العسل.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

الفلفل الحلو

ما يميز الفلفل ألوانه المختلفة، كالأحمر والأصفر والأخضر، وكذلك اختلاف نكهاته، بيد أن أنواعه المختلفة وأشكاله المتنوعة تمتاز بفوائدها المذهلة، إذ ينصح به في علاج الكثير من الأمراض ولتخفيف الوزن. فما هي فوائد الفلفل الحلو؟

ينتمي الفلفل الحلو أو الفليفلة، كما يطلق عليها في بلاد الشام إلى فصيلة النباتات الباذنجانية ويعتقد أن موطنه الأصلي هو المكسيك، إذ عثر على بعض المكتشفات الأثرية التي تشير إلى وجوده هناك قبل 7 آلاف سنة، كما ذكر موقع «غيزوندهايت» الألماني المختص في تقديم النصائح الطبية. وانتقل الفلفل عن طريق الطيور إلى أمريكا الوسطى، ومن ثم انتقل مع البشر بعد اكتشاف القارة الأمريكية إلى أوروبا ومن إلى أنحاء العالم الأخرى قبل نحو 400 عام.

فوائد الفلفل الحلو

يحتوي الفلفل على كميات كبيرة من الكاليوم والكاليسيوم والزنك والمغنيسيوم. وهو مليء بالفيتامينات الضرورية، كفيتامين «أي» وفيتامين «بي» وفيتامين «سي».

كما يحتوي الفلفل الأحمر على كميات أكبر من فيتامين «سي» من الأنواع الأخرى من الفلفل، وتصل نسبة فيتامين «سي» في 100 غرام من الفلفل الأحمر إلى 400 مليغرام وهو بذلك أكثر مادة غذائية في الطبيعة غنية بفيتامين «سي» ما جعله مادة غذائية مثالية للقضاء على السمنة، كون أن فيتامين «سي» يساعد على صنع هرمون نورادرينالين الذي يقتل الدهون في الجسم. فيما تحتوي الأنواع الأخرى من الفلفل على نحو 140 مليغرام من فيتامين «سي» لكل 100 غرام.

والفلفل الحلو له خصائص صحية كبيرة، فهو مضاد للبكتيريا وللسرطان، ومسكن للألم، ويساعد على ضبط نسبة السكر في الدم، كما يخفض نسبة الدهون والكولسترول. ويحتوي على مركبات الفلافونويد والكاروتينات ولوتين وزياكسانثين وكريبتوزانتين، وهي مضادات أكسدة تحمي الجسم من الالتهابات وتقي من الأمراض وتقلل من نسب الإصابة بأمراض القلب.

استخدامات الفلفل في الطب

السكان الأصليون لأمريكا هم أول من عرف فوائد الفلفل في الطب وفي العلاج واستخدموه للعلاج من الإصابات ولوقف الالتهابات. ويستخدم الفلفل الحلو أيضا في الطب الحديث في علاج آلام الرأس وللوقاية من أمراض القلب. ونصح موقع «فيت فور فون» الألماني الإكثار بتناول الفلفل طازجا للاستفادة من فيتاميناته الكثيرة.

الحمل

الصعوبات توفّر لك ظروفاً أفضل للغد

الثور

العمل أكثر من اللازم يعرضك للإرهاق

الجوزاء

لديك روح المغامرة اليوم

السرطان

ترتاح لمجرى الأمور في الحياة المهنية

الاسد

وقوف الحبيب إلى جانبك يخفف توترك

العذراء

أنت شخص دائم التفكير في مستقبلك

الميزان

دراسات مستقبلية تغيّر مجرى عملك

العقرب

إياك والانغماس في الشراهة والسمنة

القوس

مسؤولياتك في العمل تزداد يوماً بعد يوم

الجدي

لا تكن من أصحاب الرأي المتصلّب

الدلو

لا تركّز على الجمال لدى اختيار الشريك

الحوت

الفترة المقبلة مليئة بالمفاجآت

جديد الطب

هل يحتوي طعام الأطفال على مواد مسرطنة؟

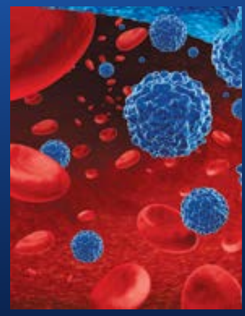

نقدم لأطفالنا الكثير من المنتجات الغذائية، والتي أحيانا ما يتناولها الكبار أيضا، من دون أن نعلم شيئا عن مكوناتها. فما هي الضوابط الجديدة التي سيفرضها الاتحاد الأوروبي قريبا بشأن معدلات المكونات الخطرة في المنتجات الغذائية؟

وقرر الاتحاد الأوروبي فرض مجموعة قواعد جديدة على صناعة المنتجات الغذائية المخصصة للأطفال في الدول التابعة للاتحاد. وتقرر تطبيق حدود صارمة لا يمكن تجاوزها على استخدام مادتي الرصاص والكادميوم لضمان سلامة المنتجات الغذائية قبل التصريح بتوزيعها وبيعها، وفقا لموقع مكونات الغذاء أولا المعني بسلامة المنتجات الغذائية.

ويمكن العثور على نسب من الرصاص والكادميوم في التربة الزراعية حيث يتواجدان فيها، سواء بشكل طبيعي أو نتيجة للنشاط الزراعي والصناعي للإنسان، بما يؤدي بالتالي إلى وصول المادتين للخضروات والفاكهة. وبالرغم من اعتبار المادتين سامتين، لا يشكل استخدامهما خطرا على الصحة طالما لا تتجاوز نسبتهما في الطعام معيارا محددا.

وأوضحت المفوضية الأوروبية، في بيان صادر عنها، أن الغرض من القيود الجديدة هو ضمان عدم تجاوز قائمة من المنتجات الغذائية للنسب المقبولة من مادتي الرصاص والكادميوم بهدف «خفض التعرض لمواد مسرطنة».

كما نبهت المفوضية الأوروبية من أن الطعام يعتبر «المصدر الرئيسي لمادة الكادميوم لدى غير المدخنين». ويمكن العثور على آثار تلك المادة في بعض أنواع الفاكهة والخضروات، فضلا عن منتجات الحبوب الغذائية التي يتم تناولها عادة بإضافة اللبن. بينما يتواجد الرصاص في التوابل والملح والفطر البري.

وأكدت مفوضة الصحة وسلامة الغذاء للاتحاد الأوروبي ستيلا كيرياكيدس أن «النظام الغذائي غير الصحي يرفع من خطر الإصابة بالسرطان» وأن القرار الأخير يأتي ضمن خطة الاتحاد لمحاربة السرطان. ومن المفترض أن تدخل القيود الجديدة المفروضة على مادة الرصاص حيز التنفيذ يوم 30 آب/اغسطس الجاري، بينما سيتم تطبيق القيود الخاصة بمادة الكادميوم يوم 31 من الشهر ذاته. وبالنسبة للمواد الغذائية الموجودة بالفعل في الأسواق والتي تحتوي على نسب أعلى من المعدل الجديد، سيتم السماح بالاستمرار في بيعها حتى نهاية شهر شباط/فبراير المقبل، وفقا لموقع أخبار سلامة الغذاء.

وكانت الولايات المتحدة قد كشفت في شهر نيسان/ابريل الماضي عن خطة شبيهة لخفض نسب المعادن الثقيلة وغيرها من المواد السامة في طعام الأطفال. وأشارت وكالة الغذاء والدواء الأمريكية إلى أنه مقارنة بقدرات المستهلك العادي، تعتبر الشركات والمزارع المتخصصة في إنتاج المواد الغذائية هي الجهة التي تملك القدرة الحقيقية على خفض معدلات المواد السامة فيما نتناوله من طعام.

بعد سن الخمسين هذه الفيتامينات لا غنى عنها

مع تقدم العمر، تزداد أهمية الفيتامينات لضمان صحة الجسم، لكن ما هي أنواع الفيتامينات التي يحتاجها الإنسان فوق الخمسين، ولماذا؟ ومتى تصبح المكملات الغذائية مفيدة؟

الفيتامينات هي مواد عضوية أساسية للحفاظ على جميع وظائف الجسم المهمة. قاعدة تسري على جميع الفئات العمرية. ولكن بعضا منها يحظى بأهمية قصوى مع تقدم العمر. السبب يكمن في أنه وكلّما تقدمنا في العمر، كلّما أصبح النظام الاستقلابي والتمثيل الغذائي في الجسم بطيئا، كما تشدد على ذلك جمعية «كبار السن الألمان» الألمانية.

فيتامينات «ب» بجميع أنواعه، على سبيل المثال، يدعم عملية التمثيل الغذائي خاصة للكربوهيدرات والدهون والبروتين، وأيضًا التمثيل الغذائي للدماغ والعضلات والأعصاب – وبالتالي فلا غنى عنه. كما تعتبر فيتامينات «ب» مهمة أيضًا لتكوين الدم والجهاز المناعي ولمكافحة التهابات الجسم. ويمكن أن يؤدي نقص هذه الفيتامينات إلى تعزيز الاكتئاب.

فيتامينات بالغة الأهمية

على الصفحة الرسمية للإرشادات الطبية التي تقدمها وزارة الصحة الألمانية، يتم التركيز على قائمة فيتامينات بالنسبة للفئة العمرية 50 وما فوق، تحتوي على فيتامين «د» وفيتامينات «ب» خاصة «ب 12» وحمض الفوليك واليود.

– فيتامين ب 12 أو كوبالامين: مهم جدا لتقسيم الخلايا وتكوين الدم الجديد. ويمكن أن يؤدي نقص هذا الفيتامين إلى فقر الدم والشلل والاضطرابات الحسيّة وضعف التركيز والتغيرات النفسية.

– فيتامين د: أشعّة الشمس هي مصدر هذا الفيتامين الذي له دور أساسي في بناء العظام والأسنان وتقوية العضلات، كما أنه يعزز دمج الكالسيوم ويساعد على امتصاص الحديد والأوكسجين وامتصاص الدم.

– حمض الفوليك: أو فيتامين ب 9 كما كان يطلق عليه سابقا، مهم لتكوين الدم وانقسام الخلايا، وهو أيضًا مكوّن مهم للمعلومات الوراثية في نواة الخلية. ويؤدي النقص منه إلى إضعاف دفاع الجسم ضد العدوى وقد يتسبب في فقر الدم.

– حمض اليود: الأساسي لعمل الغدة الدرقية والتي تساهم بدورها في تطور ونمو الخلايا بالإضافة إلى عملية الأيض. وفي حال نقصانه تحدث زيادة مفاجئة للوزن متعلقة باضطرابات في الغدة الدرقية، تورم إلى غير ذلك.

أين نحصل على هذه الفيتامينات؟

الخضروات الطازجة والفواكه والأعشاب ومنتجات الحبوب الكاملة، أهم مصادر الفيتامينات المغذية.

الخبر السار يكمن في أن النظام الغذائي المتوازن يغطي بشكل كبير الاحتياجات الغذائية المتزايدة للأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 50 عامًا، بما في ذلك احتياجات حمض الفوليك واليود.

يجب فقط الحرص على نظام غذائي متوازن ومتنوع يحتوي على الكثير من الخضار والفواكه والسلطات والأعشاب ومنتجات الحبوب الكاملة والبقوليات والمنتجات الحيوانية الخالية من الدهون. كما يوصي خبراء التغذية بشكل خاص بنظام البحر الأبيض المتوسط الغذائي «حمية البحر الأبيض المتوسط» كما يطلق على مطبخ دول الحوض المتوسط المعتمد على زيت الزيتون والسمك والأطعمة الطازجة عموما.

في حال تعذر الحصول على الخضروات الطازجة يمكن اعتماد الخضروات المجمدة. ولا بد من طهيها بلطف وعدم التمادي في ذلك، مع الحرص على تناولها نيئة قدر الإمكان. فعلى سبيل المثال على شكل سلطات. أضف دائمًا كمية صغيرة من الزيت إلى سلطتك، ومن الأفضل زيت الزيتون أو بذور اللفت أو الكتان أو زيت الجوز، حتى يتمكن جسمك من امتصاص الفيتامينات التي تذوب في الدهون.

هل المكملات الغذائية ضرورية؟

كقاعدة عامة، يمكن تغطية الاحتياجات اليومية من الفيتامينات بنظام غذائي متوازن وطازج من دون الحاجة إلى المكملات الغذائية الصناعية. لكن هناك من الأطباء من ينصح الفئات التي تزداد احتياجاتها للفيتامينات لتناول هذه المكملات، من بينها كبار السن والرياضيين والمدخنين والحوامل والمرضعات. أو حتى أولئك الذي يعانون من التوتر.

لكن هناك أطباء يحذرون من تناول هذه المكملات، لأنها حسب رأيهم تسبب آثاراً جانبية غير مرغوب فيها، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالفيتامينات التي تذوب في الدهون والتي وفي حال بالغنا في تناولها تتراكم في الجسم، كما هو الحال بالنسبة لفيتامين د. (DW)

منوعات

فيلم يطرح سؤال كيف تحول «أجمل يوم سياسي» إلى «كمّامات»؟

«بيروت في عين العاصفة»
وثائقي مصري فضاء مفتوح للانتفاضة والشابات

بيروت-«القدس العربي»: زهرة مرعي

مع «بيروت في عين العاصفة» وقّعت المخرجة الفلسطينية مي المصري فيلمها الوثائقي السابع الذي أرّخ لمرحلة الانتفاضة الشعبية في العاصمة اللبنانية، المتعاقدة منذ أكثر من نصف قرن مع الأحداث الجسام. في الأفلام السابقة كان رفيق دربها مهنياً وإنسانياً حاضراً ببصمته، لكن جان شمعون رحل تاركاً المهمة كاملة بعهدتها. وهكذا ومع اندلاع انتفاضة 17 تشرين الأول/اكتوبر 2019 امتشقت مي المصري الكاميرا وحيدة وبدأت رحلة التوثيق لربيع لبناني انعقد الأمل عليه كثيراً، إلا أنه تدحرج نحو الشيخوخة مبكراً. فجذور النظام اللبناني معمّرة وما زالت بأوج قوتها، إلى عوامل أخرى داخلية ساهمت في إخماد حماسة المطالبين بالتغيير. إذ يبدو النظام محمياً ومصاناً ذاتياً بوجه العوامل الطبيعية، وحتى الوبائية كما جائحة كورونا، ومحمياً ممن يرونه لا يزال قادراً على خدمة مصالحهم ممن هم في الخارج. إذ تصف إحدى بطلات الوثائقي «بيروت في عين العاصفة» يوم 17 تشرين الأول/اكتوبر بـ«أجمل يوم سياسي في البلد». لتعود للقول وهي محبطة: «بعد شهر.. فراغ .. مش طبيعي.. شوي.. كل الناس كمامات!!».

في السياق التوثيقي والسردي شكلت الفتيات العصب الأساسي لفيلم «بيروت في عين العاصفة». فمعروف عن المخرجة مي المصري ميلها لتقديم صوت النساء وآرائهن في أفلامها. فتيات هذا الوثائقي هنّ: الشقيقتان المعروفتان في عالم الغناء الإنتقادي السياسي الساخر والراب ميشال ونويل كسرواني. وحنين رباح التي تعمل في الإعلام، وكذلك الفتاة العراقية لجين جو التي تعيش في لبنان والمتخصصة في الإخراج.

في قلب بيروت وخلال امتلاء الساحات بالمتظاهرين دارت كاميرا مي المصري. نقلت ذلك الأمل العارم الذي لفّ المكان وناسه، وكأن التغيير بات قاب قوسين أو أدنى، وأن ثمار الثورة لا بدّ ستصبح يانعة في القريب العاجل. هذا الوثائقي الذي أخذ من الانتفاضة ركنه الأول، ذهب مع بطلاته الأربع في اتجاهات مختلفة خاصة بهن، تحكي أفكارهنّ وقناعاتهن في الحياة. شريط فتح لتلك الفتيات مساحة تعبير مزجت بين الشخصي والعائلي والعام. وكل منهنّ سردت المؤثرات العائلية والمجتمعية في تكوين وعيها وفكرها.

إلى اللقطات المختارة والمعبّرة في ذروة إحتشاد المتظاهرين، فتحت مي المصري الكاميرا لفتياتها. الشقيقتان نويل وميشل كسرواني ظهرتا كشخصيتين عاتمتين من خلال الغناء الذي تقدمانه. فنانتان تعبران بعمق وبساطة عن أفكارهما حيال الوطن والناس والزعيم. هذا الزعيم الذي يشكّل كنموذج عقدة العقد في بلد له هيكلية مُركبة لصالح مصالحه واستمراريته، وليس لصالح الناس كما وصلنا من الكلمات التي كتبتها وغنّتها الشقيقتان كسرواني.

اختارت مي المصري بطلات «بيروت في عين العاصفة» من بيئات ومناطق مختلفة، لكنهن ورغم الاختلاف حيال بعض المفاهيم الاجتماعية، كنّ متفقات على حاجة الوطن لنفض التركات السياسية والاقتصادية التي ترهق كاهل الشعب. فهذا الشعب يحتاج لوطن يختلف عن ذاك المفصّل على قياس زعماء الطوائف في رأي تلك الفتيات.

قد يستغرب مُتابع لهذا الوثائقي حضور الفتاة العراقية لجين جو ضمن نسيجه الخاص بحدث لبناني كبير كما انتفاضة 17 تشرين الأول 2019 ويطرح سؤال لماذا؟ فتاة تروي حجز الحرية الذي كان مفروضاً عليها مع شقيقاتها في وطنها العراق ومن قبل والدها. قيد كسرته الفتيات وهربن. في لبنان وجدت لجين طعماً مختلفاً للحياة. ولكن لماذا هي موجودة في شريط «بيروت في عين العاصفة»؟ السؤال مطروح للنقاش من ضمن أسئلة كثيرة غيرها لم تجد طريقها بالوصول إلى صانعة الفيلم المخرجة مي المصري. فعرض الفيلم لأول مرة في المركز الثقافي الفرنسي في بيروت، لم يتبعه حوار. في الحد المعلل من قبلي لحضور لجين جو في الفيلم أن الفتيات الأربع تصدين في تعبيرهنّ أو ردهنّ على أسئلة المخرجة عن صلتهن بالأب.

إن كانت الأيام الأولى للانتفاضة قد دغدغتها مشاعر وآمال تقول للمنتفضين أنهم بدأوا يحققون تقدماً لجهة إعادة صياغة الهوية والوطن على أسس سليمة، لكنّ الزمن لم يطل كثيراً حتى ظهرت القنابل المسيلة للدموع، والرصاص المطاطي والهراوات. وهكذا أحاطت مي المصري بكافة المفاصل الأساسية من الرحلة القصيرة للانتفاضة. وفي الوقت عينه راحت إلى لقطات فيها جانب مميز كالجميلين اللذين «كسدرا» في وسط بيروت بين المتظاهرين بأريحية كبيرة. وأن تجسدت نهايات الفيلم بعاصفة بيروت التاريخية المتمثلة بتفجير المرفأ، حيث العاصفة لا تزال في أوجها وإلى تصاعد، فالمشهد الختامي حكايات من القرى الجنوبية في مواجهة العدوان الكبير الذي بدأ في حزيران/يونيو من سنة 1982.

–«بيروت جيل الحرب» 1988: فيلم يرصد جانباً من الحرب الأهلية حيث يقرأها هذا الوثائقي من خلال ثلاثة أجيال عاشوا في داخلها وتأثروا بها.

–«أحلام معلّقة» 1992: يحكي قصة أربع شخصيات نسائية في مجتمع مزّقته الحرب الأهلية وكذلك الاجتياح الصهيوني.

–«طيف المدينة» 1999: فيلم درامي يحكي عن «رامي» الذي يشبه المئات غيره، ترك قريته الجنوبية هرباً من الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة إلى بيروت فيتيه في فوضاها. تندلع الحرب الأهلية، يُخطف والده، فيحمل السلاح.

–«يوميات بيروت» 2006: وثائقي تسجيلي وفيه نقرأ الشباب اللبناني الباحث عن ذاته وسط غشاء كثيف من الضباب. يسعى لإلغاء الطائفية السياسية والقضاء على الفساد. أحلام رواد الشباب وقضي عليها نهائياً في المرحلة التي تلت اغتيال رفيق الحريري.

–«33 يوما» 2007: إنها يوميات الحرب الكبيرة والمدمّرة التي شنتها إسرائيل على لبنان في 12 تموز/يوليو 2006 واستمرت 33 يوماً. رصدت مي المصري في شريطها هذا حال النازحين إلى حديقة الصنائع، وتوقفت عند حال الأطفال بشكل خاص.

ثنائية الثقافة والسياسة في السينما المصرية الرؤى والملامح

كمال القاضي

في التكوين البنائي للسينما المصرية علامات ودلالات، فهناك من المُعطيات ما يُشير إلى الابتعاد المقصود عن الأجواء السياسية وإثارة القضايا الحساسة في بعض الأفلام التي تُسمى بالتجارية، وهي المعنية بذوق الطبقة الشعبية من الجمهور واهتماماتها الترفيهية، وهذه النوعية تعبر عنها الأفلام الكوميدية التي تحقق رواجاً أعلى وتصل بمعدلات الإيراد إلى الحدود القصوى، لذا فهي دائماً المأمونة والمرغوبة حيث احتمالات الخطر فيها نادرة وتكاد تكون معدومة.

ويُستثنى من الأفلام الكوميدية التقليدية عينات خاصة لنجوم اعتادوا على تضمين أفلامهم بعض المفاهيم والمعاني الرامية إلى النقد السياسي والاجتماعي في الكثير من الأحيان، ومن هؤلاء عادل إمام الذي قدم وجهات نظر معارضة في أفلام كوميدية صريحة مثل «كراكون في الشارع» و«المتسول» و«شعبان تحت الصفر» و«الإرهاب والكباب» و«الواد محروس بتاع الوزير» و«رسالة إلى الوالي» و«المنسي وعصابة حمادة وتوتو» و«الأفوكاتو» وغيرها.

كذلك قدم أحمد عيد، نماذج مهمة من نفس الفصيل تمثلت في فيلم ثقافي و«ليلة سقوط بغداد» و«أنا مش معاهم». ولم تقتصر التجارب الكوميدية السياسية بشكل عام على هذه العناوين فقط، بل أضيف إليها نوعيات وعناوين أخرى مُعززة يجدر منها بالذكر فيلم «طلق صناعي» على سبيل المثال وهو نوع فريد امتزجت فيه الكوميديا بالسياسة على نحو مُثير ومُلفت وكان له وقع خاص على الجمهور من مُختلف الطبقات والفئات.

أما النوعيات السينمائية المغايرة والمختلفة التي وضحت فيها الرؤى السياسية الناقدة فهي كثيرة للغاية، وربما تكون الغالبة لدى بعض المخرجين الذين اهتموا بإشكالية التوازي بين السياسة والثقافة داخل الإطار السينمائي، ومن أبرز هؤلاء المخرجين الذين شكلت أفلامهم وعياً جماهيرياً خاصاً في المراحل القريبة نسبياً للسينما المصرية، المخرج دواد عبد السيد المشغول دائماً بواقع الفقراء والمهموم بطرح القضايا الاجتماعية المشتبكة بطبيعتها مع السياسة بحكم الظروف والمشتركات الأساسية بينهما. فمنذ فيلمه الأول «الصعاليك» وهو لا يزال مُتمسكاً بنظرية الربط بين السياسة كسياج عام والقضايا الإنسانية والاجتماعية، ولم يحد عبد السيد عن هذا الخط الإبداعي طوال مسيرته الفنية ولعل أفلامه الشهيرة، «سارق الفرح» و«رسائل البحر» و«الكيت كات» و«أرض الأحلام» تعكس ذلك بوضوح، فكثيراً ما أثارت الجدل وخلفت عواصف من ردود الأفعال المؤيدة والرافضة.

ومن بين البارزين أيضاً في تطبيق نظرية الثقافة والسياسة المخرج خيري بشارة صاحب الأفلام المهمة، «يوم مر ويوم حلو» و«إشارة مرور» و«آيس كريم في جليم». فبرغم بساطة الأفكار وعفوية التناول، إلا أن هناك عمقاً في الرؤية والطرح والتركيز على التفاصيل الصغيرة الدالة على الحالة الإبداعية بكل أبعادها، فهكذا يتسم الأسلوب الإخراجي عند بشارة بين مُنتهى البساطة ومُنتهى العمق في آن واحد، وهو ما يجعل أفلامه صالحة لكل الأعمار والفئات والمستويات.

المخرج الراحل محمد خان يعد واحداً من أميز المبدعين في هذا الخصوص، كونه صاحب مدرسة في التعبير بالصورة إلى أبعد مما يتوقعه المشاهد، فالرمزية عنده ليست فقط في الجملة الحوارية المكتوبة، وإنما الصورة أيضاً لها دلالة قوية في تأكيد المعنى المقصود، وكثيراً ما راهن خان على بلاغة الصورة وحدها في استبيان المفهوم وإيضاح القصد، ولأن الهاجس السياسي حاضر من جوانب الأزمة، سواء على المستوى الشخصي أو المستوى العام، فلا فرق عنده بين ما يؤرق الفرد وما يؤرق المجموع، الكل داخل دائرة الأزمة. بيد أن الفارق في طرح المشكلات والأزمات بين نصر الله وغيره من المخرجين، هو الخطاب واللغة، فهو يستخدم خطاباً فلسفياً غير دارج، لكنه يحمل ذات المضمون وينبئ بما يهم المواطن البسيط.

الأفلام القليلة التي أخرجها المخرج محمد أمين يمكن اعتبارها نوعية خاصة جداً تتوافر فيها كل المُعطيات المؤدية إلى إثارة النقاش والجدل حول القضايا الشائكة، ولعلنا أشرنا إلى بعضها في السطور السابقة، فأفلامه التي تتميز بنبرة النقد العالية برغم فكاهتها، كان لها الصدى الأقوى في الساحة الثقافية والاعتبار الأكبر من الناحية النقدية، علماً بأنها لم تستمر طويلاً في دور العرض.

لكن الغاية المنشودة من الأفلام قد تحققت بصور شتى فمعظم ما عُرض منها أسفر عن نتائج إيجابية، فيلم ثقافي «ليلة سقوط بغداد» و«بنتين من مصر» و«فبراير الأسود» مجموعة استثنائية لسينما لعبت على وتر التأثير الذهني والثقافي وابتعدت عن المُتكرر والمُتشابه والتقليدي فنجحت بامتياز وظهر تأثيرها في محيط جمهورها المُستهدف، فلم تكن تلك الأفلام موجهة لعوام الناس بقدر ما كانت تخاطب شريحة معينة من المثقفين والمهتمين بالشأن العام.

ما عرضناه ليس سوى ملمح دال على ثنائية الثقافة والسياسة في السينما المصرية المُعاصرة وفق ما أشرنا إليه وما حاولنا أن نُبرزه في تحليل موجز وتمييز خاص.

في معظم أفلامه فهو شريك ضالع في تدبيج الثنائية الثقافية السياسية، حتى وإن بدت أدواته ناعمة الملمس، فـ«ضربة شمس» و«أحلام هند وكاميليا» و«بنات وسط البلد» و«الفرقانة» و«شقة مصر الجديدة» و«زوجة رجل مهم» و«ملك وكتابة» كلها أفلام ليست خارجة عن إطار الاشتباك الحتمي بين الثقافة والسياسة والفن، حيث كل ما هو متصل بهموم المواطن يقترب من خط التماس في المعادلة الثلاثية المُشار إليها.

ولا يمكن استبعاد المخرج يسري نصر الله عن منطقة الألغام بحيز السينما السياسية، فأفلامه تشي بمضامينها، «سرقات صيفية» و«المدينة» و«باب الشمس» فكل فيلم من هذه الأفلام يعرض جانباً

الجمهور المصري على موعد مع ألبومات جديدة في موسم غنائي قوي

عمرو دياب

القاهرة ـ «القدس العربي»: فايزة هنداوي

فصل الصيف والإجازات هو الموسم المثالي لطرح الأغاني والألبومات الجديدة، خاصة بعد ظهور نتيجة الثانوية العامة، لذلك يعمل عدد كبير من المطربين على طرح ألبوماتهم في الفترة المقبلة استغلالا لهذا الموسم.

ومن المتوقع أن تشهد الفترة المقبلة منافسة قوية بين عدد كبير من المطربين والمطربات في مصر. ويستعد المطرب محمد عدوية، لطرح ألبومه الغنائي الجديد، على طريقة السينغل قبل طرح الألبوم كاملا.

ويتعاون عدوية في ألبومه الجديد، مع عدد كبير من الشعراء والملحنين، مثل، أحمد جابر، وتيام علي، ومحمد شحاتة، ووسام عبد المنعم، وأحمد جابر.

كما سجل عدوية أغنية «ناس وداسوا» التي تجمعه مع مطرب الراب سداوي، وتقول كلمات الأغنية: «جابوا جابوا سيرتي، قلبوا قلبوا بقوا ضدي، غلبوا عندي، منهم زادت حيرتي، ناس وداسوا بافترا في الرأس هموم متلتلة طب ليه يا دنيا مش كده».

ومن المتوقع أن يطرح المطرب محمد حماقي خلال أيام أغنية «عايزك تسمعني» من ألبومه الجديد «يا فاتني» وهي من كلمات أمير طعيمة وألحان عمرو مصطفى، وتوزيع نادر حمدي.

وتقول كلمات الأغنية: «عايزك تسمعني ومَش عايزك تعذرني ولا تسامح، صدقني ما نمتش لا دقيقة ولا ثانية من امبارح، إحساس وينطفي تدريجي، بتغيب وأما بتيجي مبحسش فرق كبير».

وكان حماقي قد أصدر مؤخرا أغنية «لو هتسيب» من كلمات تامر حسين، وألحان وتوزيع أحمد إبراهيم، ماستر طارق مدكور، وهي أغنية رومانسية درامية.

ويتعاون حماقي في ألبومه الجديد، من كل من الشعراء أيمن بهجت قمر، وأمير طعيمة، وتامر حسين، ومحمد عاطف، وعزيز الشافعي. ومن الملحنين، يتعاون حماقي مع عمرو مصطفى، وتامر علي، ومحمد النادي، أما الموزعون، فيتعاون مع كل من تميم وتوما، وأحمد إبراهيم، وأمين نبيل. أما مصطفى كامل فطرح مؤخرا رابع أغاني ألبومه الجديد «وجع قلبي» وتحمل اسم «نفسي ثم نفسي» من كلمات هشام عبد الحليم وألحان محمد سراج وتوزيع احمد باريتون.

وكان مصطفى كامل قد طرح قبلها أغنية «بلا بينا نهزر» من كلماته وألحان فتحي مصطفى كامل، وتوزيع اسلام ساسو، وقدمها بشكل مختلف وجديد عن أغانيه السابقة .

ويستعد الملحن حسام حمدي لطرح ألبوم جديد يحمل اسم «ذكريات 60» ومن المقرر طرحه على موقع الفيديوهات يوتيوب، ضمن مبادرة مطرب جديد.

ونشر حسام حمدي بوستر ألبومه الجديد عبر حسابه الشخصي على موقع تبادل الصور والفيديوهات إنستغرام.

وكان حسام حمدي طرح منذ عدة أسابيع أغنية «ذكريات» على موقع الفيديوهات يوتيوب والتي صورها على طريقة الفيديو كليب، وتم تصويرها في أحد الأماكن بمنطقة الهرم وهي الأغنية الرئيسية للألبوم، من كلمات وألحان محمد متوكل وتوزيع محمد حنفي.

ويتعاون حمدي في ألبومه الجديد مع عدد كبير من صناع الموسيقى، وعدد من الشعراء منهم أيمن الطويل وكامل يوسف ومن الملحنين محمد حنفي ويشارك حسام بنفسه في الألحان، وأكد أن الألبوم سوف يكون ضجة في عالم الموسيقى حيث إنه يحمل أصواتًا جديدة وقوية.

فيما أعلنت أنوشكا أنها طلبت من الفنان الشاب محمد إبراهيم يسري عمل أغنية لها لأن كلماته كبيرة ومليان مشاعر، وأحاسيس، وسوف تعلن عن ألبوم جديد لها بعد أن ابتعدت بسبب الدراما وكورونا.

محمد حماقي

يستعد كذلك المطرب محمد قماح لطرح ألبوم غنائي جديد قريبا. والألبوم من إنتاجه ويتكون من 8 أغاني، كلها من ألحانه وتوزيعه، أما الكلمات فللشاعر أحمد مرزوق وهندسة صوتية خالد رؤوف. الألبوم سيحمل اسم «انتي واحدة elegante» وهي الأغنية التي طرحها قبل فترة وحققت نجاحا كبيرا، وأكد قماح أن الألبوم سيضم أفكارا مختلفة.

وطرحت سميرة سعيد أغنية «الساعة اتنين بالليل» من كلمات تامر حسين وألحان عزيز الشافعي وتوزيع وسام عبد المنعم.

أغنية «الساعة اتنين بالليل» هي الثالثة من ألبوم الديفا سميرة سعيد، والتي قررت طرحه كأغانٍ سينغل على مدار الشهور المقبلة، حيث بدأت بالأغنية الرومانسية «بحب معاك» والتي حققت 3 ملايين و600 ألف مشاهدة على موقع يوتيوب، وهي من كلمات محمود طلعت، وألحان أحمد العدل، وتوزيع أحمد حسام، ومكيس وماستر إلهامي دهيمة.

مصطفى كامل

محمد رمضان أيضا طرح أغنية جديدة، تحمل اسم «على الله» وذلك عبر قناته الرسمية على موقع الفيديوهات يوتيوب، وظهر فيها وهو يرتدي الملابس البدوية، حيث تم تصوير الأغنية في صحراء مدينة العلمين الجديدة.

كما ينتظر جمهور عمرو دياب، طرح ألبوم جديد للهضبة كما اعتاد كل صيف، وكذلك جمهور تامر حسني، حيث عادة ما تشهد الساحة الغنائية منافسة قوية بين أغانيهما، ويؤكد جمهور كل نجم منهما أنه الأول بلا منافس.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10362 الأحد 22 آب (اغسطس) 2021 – 14 محرم 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10362 Sunday 22 August 2021

لماذا عدد أيام يوليو وأغسطس 31 يومًا؟

باريس ـ «القدس العربي»:
آدم جابر

خلافا لبقية أشهر السنة الميلادية، يتميز شهرا تموز/يوليو وآب/أغسطس بأنهما الشهران الوحيدان المتعاقبان خلال العام واللذان عدد أيام كل منهما 31 يومًا. فما السبب وراء ذلك؟

قبل عهد الإمبراطور يوليوس قيصر، كان التقويم الروماني، الذي كان ساري المفعول منذ تأسيس روما عام 45 قبل الميلاد، كان عشرة أشهر فقط، من أجل أن يتوافق مع المراحل القمرية، حسبما ذكرت صحيفة «ويست فرانس» الفرنسية.

يمتد التقويم إلى 304 يومًا من آذار/مـارس إلى كانون الأول/ديسمبر. يتم تسمية كل شهر إما على اسم «إله» أو على رقم. Quintilis هو الشهر الخامس الموافق لشهر تموز/يوليو. Sextilis هو الشهر السادس. بعد ذلك ستتم إضافة أشهر آب/اغسطس، وكانون الثاني/يناير، وشباط/فبراير، لأن أيامهم لم يتم احتسابها من قبل، ليصبح التقويم 355 يومًا.

قام الإمبراطور يوليوس قيصر، بناءً على نصيحة عالم الفلك سوسيجين من الإسكندرية، بتكييف التقويم مع الدورة الشمسية، والتي تبلغ بالتحديد 365.25 يوم. ليتحول التقويم إلى 365 يوما. ومن أجل أن تتوافق مع الدورة الشمسية، يتم إضافة يوم واحد كل أربع سنوات إلى شهر شباط/فبراير. على أن تتناوب الأشهر الأخرى بين 30 و31 يومًا: 31 يومًا لشهر تموز/يوليو، الذي تمت إعادة تسميته Julius تكريماً للإمبراطور قيصر. و30 يومًا لشهر آب/اغسطس.

وفي عهد الإمبراطور أغسطس قيصر، تم تغيير اسم شهر Sextilis إلى أغسطس، وذلك بهدف إرضاء غرور الإمبراطور. غير أن الإمبراطور أغسطس لم يتحمل كون شهره أقصر من شهر يوليوس قيصر.

هذه، إذن، هي الطريقة التي تمت بها إضافة يوم إلى شهر آب/أغسطس ، والذي يحتوي الآن على 31 يوماً على غرار شهر تموز/يوليو.

ومن أجل تفادي أن يكون هناك ثلاثة أشهر متتالية من 31 يومًا، نسحب يومًا من شهر أيلول/سبتمبر، ونضيف يومًا إلى شهري تشرين الأول/اكتوبر وكانون الاول/ديسمبر.

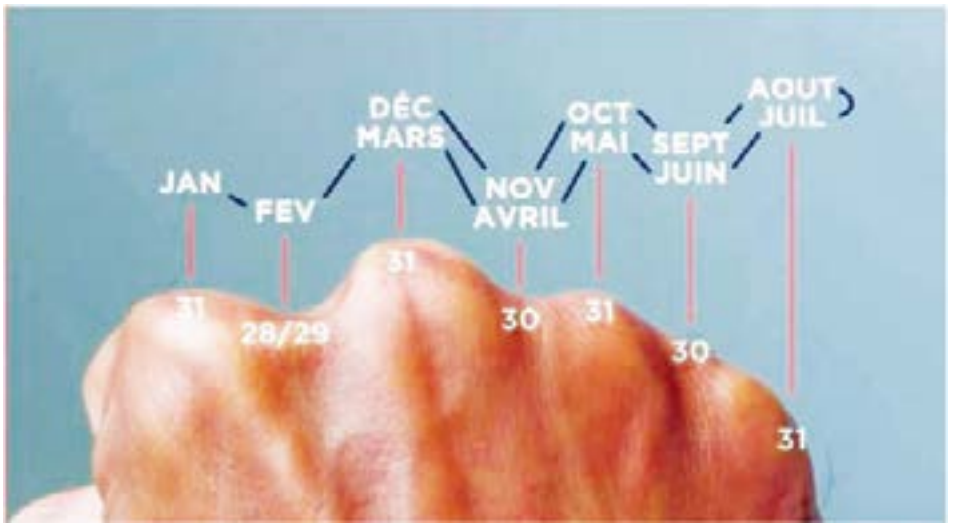

ومنذ ذلك الحين، لم يتغير التقويم الغريغوري أو الميلادي الذي نستخدمه الآن. ليسجل التاريخ، بذلك، أن غرور إمبراطور كان وراء هذا الشذوذ: 31 يومًا لشهر تموز/يوليو و31 يومًا لشهر آب/أغسطس.

الخفافيش بعد ولادتها تناغي كالرضّع من البشر

يبدو أن بعض صغار الخفافيش ثرثارة جدا، وهي تلجأ إلى المناغاة، تماما كالأطفال الرضّع لدى البشر.

يمر جميع أطفال العالم بهذه المرحلة من التلفظ المكثف بأشباه كلمات بلا معنى، من مثل «غاغا» و«بابابا» وسواها بغية تعلّم التحكم بنظامهم الصوتي.

وتُظهر دراسة نُشرت في مجلة «ساينس» أن نوعاً من الخفافيش موجود في أمريكا الوسطى يلجأ أيضاً إلى هذا التمرين الذي تشبه خصائصه المناغاة البشرية.

وتشرح المعدّة المشاركة للدراسة ميريام كنورنشيلد من متحف التاريخ الطبيعي في برلين أن «الأطفال البشر يثرثرون على ما يبدو للتفاعل مع والديهم من ناحية، ولكن أيضاً عندما يكونون بمفردهم، من أجل استكشاف أصواتهم فقط على الأرجح، وهذا أيضًا ما يلاحظ لدى هذا النوع من الخفافيش».

وتتواصل الخفافيش في ما بينها باستخدام الموجات فوق الصوتية، لكنها قادرة أيضاً على إصدار أصوات يمكن للبشر سماعها.

وتقول الباحثة التي تعمل على هذه الخفافيش منذ عام 2003 «بالنسبة إلى آذاننا، يبدو الأمر أشبه بالتغريد العالي النبرة». ويتميز هذا النوع من الخفافيش المعروف بـ«ساكوبتيريكس بيليناتا» بخصوصية عدم الاختباء في الكهوف المظلمة، بل هي تبقى على الأشجار، وبالتالي تسهل مراقبتها بحرية.

وبادرت الباحثة أهانا فرناندیز التي تعمل أيضاً لحساب متحف برلين للتاريخ الطبيعي إلى تسجيل أصوات مناغاة 20 خفاشاً صغيراً في كوستاريكا وبنما بين عامي 2015 و 2016 وقضت لهذا الغرض ساعات في الغابات.

وهذه الثدييات التي تملك حناجر كالبشر تبدأ بالمناغاة بعد نحو ثلاثة أسابيع من ولادتها، وتستمر فيها ما بين سبعة وعشرة أسابيع حتى يحين موعد فطامها.

وخلال هذه الفترة، تخصص الخفافيش نحو 30 في المئة من وقتها خلال النهار لهذا النشاط.

وتدوم جلسات المناغاة سبع دقائق في المتوسط، وفقاً لحسابات الباحثين. لكنّ إحداها كانت طويلة جداً إذ استمرت 43 دقيقة، علماً أن تواصل الخفافيش البالغة لا يستغرق عموماً سوى بضع ثوان.

وتوضح ميريام كنورنشيلد أن «هذا الأمر خاص جداً، ولا تمارسه أنواع الخفافيش الأخرى التي أجريت عليها دراسات إلى الآن». وتضيف أن هذه الخفافيش «ثرثارة جدا».

وحُوّلت هذه الأصوات صوراً تطلق عليها تسمية الطيف. وتوضح العالمة أن «لكل مقطع لفظي شكلاً محدداً جداً، ويسهل تالياً التعرف عليه بالعين المجردة».

وأجريت تحليلات لأكثر من 55 ألف مقطع لفظي. ويُلاحظ أن الخصائص المشتركة عالمياً للمناغاة عند الرضع من البشر موجودة لدى الخفافيش.

ومن ذلك على سبيل المثال التكرار والافتقار إلى المعنى، فضلاً عن أن هذه الأصوات تتبع إيقاعاً معيناً.

علاوة على ذلك، وكما هي الحال لدى البشر، ليس منحنى التعلم خطياً.

وحتى وقت فطام الخفافيش الصغيرة، لم تكن تتقن كل المقاطع اللفظية الخمسة والعشرين التي تستخدمها تلك البالغة، مما يشير إلى أنها تستمر في تعلمها بعد ذلك.

وأثبت الباحثون أن صغار الخفافيش تتعلم في وقت مبكر جداً أغنية من ستة مقاطع، تستخدمها الذكور لجذب الإناث.

وتشرح ميريام كنورشيلد أن صغار الخفافيش «تستمع إلى الذكور البالغة وهي تغني، ثم تقلد تلك الأغنية».

والمناغاة غير موجود سوى لدى عدد قليل جدا من الأنواع الأخرى، كبعض الطيور، ونوعين من قرود القشة الأمريكية، وربما أيضاً الدلافين أو الحيتان البيضاء.

لماذا لا تحتاج بعض الحيوانات إلى خطوة التعلم هذه فيما بعضها الآخر يحتاجها؟

تقول الباحثة أن «التنقل والتواصل في بيئة مظلمة» يبدو عاملاً مهماً. لكنّ تعقيد النظام الصوتي يوفر أيضاً الكثير من الاحتمالات، كما هي الحال في البشر ، وبالتالي ربما الخفافيش. (أ ف ب)